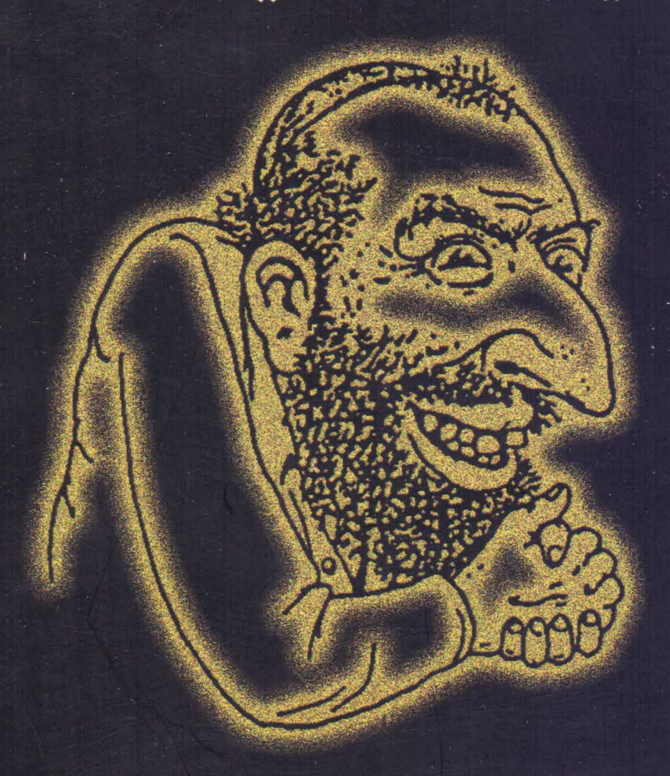
المجلس
الأعلى
للثقافة

صورة اليهودي

في الأدب الشعبي العربي



خالد عبد الحليم أبو الليل

هذا الكتاب أول دراسة أكاديمية عربية متخصصة تتناول موضوع " صورة اليهودي في الأدب الشعبي العربي " .
ولا تنبع أهمية هذا الكتاب في ريادته لمعالجته هذا المجال، الذي اكتفى فيه الدارسون العرب بتقديم أوراق بحثية صغيرة حيناً آخر، أو لكونه يحاول البحث عن الصورة التي رسمها الأدب الشعبي العربي لليهودي، وعما إذا كانت صورة إيجابية أو سلبية . وإنما تنبع أهمية هذا الكتاب - إلى جانب كل هذا - في سعيه إلى التعرف على الصورة التي رسمها الأدب الشعبي العربي في مدوناته الشعبية، والصورة التي يرسمها له في رواياته الشفاهية المتناقلة حتى وقتنا الراهن؛ وذلك بهدف التعرف على مدى التغير الذي لحق بتلك الصورة مابين الماضي والحاضر. بين ماض، كانت اليهودية فيه مجرد ديانة، تعيش جنبا إلى جنب مع الإسلام والمسيحية، وحاضر تداخلت فيه الديانة اليهودية مع المصالح السياسية الصهيونية.

الغلاف : مصطفى الجزار



المجلس الأعلى للثقافة

صورة اليهودي
في الأدب الشعبي العربي

خالد عبد الحليم أبو الليل



٢٠١٢

المجلس الأعلى للثقافة

الأمين العام
أ.د. سعيد توفيق

رئيس الإدارة المركزية
د. طارق النعمان

المشرف على التحرير والنشر
أشرف عامر

الإشراف الطباعى والمالى
ماجدة البربرى

السكرتارية التنفيذية
عزة أبو اليزيد

الإخراج الفنى
مصطفى الجزار

التدقيق اللغوى
نيرمين محمد ممدوح
ممدوح المتولى

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو الليل، خالد عبد الحليم
صورة اليهودي في الأدب الشعبي العربي/ خالد عبد الحليم أبو الليل
القاهرة : طبعة خاصة بالمجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١١
٢٥٢ ص، ٢٤ سم
١ - الأدب الشعبي العربي
٢ - اليهودي في الأدب العربي
أ - العنوان ٣٩٨,٢

رقم الإيداع ١٩٩٥٨ / ٢٠١١
الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-704-842-2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التي تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هي اجتهادات أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس.

حقوق النشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 27352396 **Fax:** 27358084
www.Scc.gov.eg

صورة اليهودي
في الأدب الشعبي العربي

"كانت هناك منافسة في الغطس تحت الماء بين ثلاثة، كان أحدهم مسلمًا والثاني مسيحيًا والثالث يهوديًا، على أن الشخص الذي يجلس أطول فترة تحت الماء سيحصل على جنيه. فخرج المسلم بعد نصف دقيقة، ثم تبعه مباشرةً المسيحي، أما اليهودي فلم يخرج حتى الآن"

تعليق من الراوي الشعبي المصري

"لقد فضّل اليهودي أن يخسر حياته عن أن يخسر الجنيه".

نكتة شعبية

"حطوا الحية واليهودي في كيس.. طلعت الحية تستغيث"

مثل شعبى

مقدمة

هذا الكتاب أول دراسة أكاديمية عربية متخصصة تتناول موضوع "صورة اليهودي في الأدب الشعبي العربي". ولا تنبع أهمية هذا الكتاب في ريادته؛ لمعالجته هذا المجال، الذي اكتفى فيه الدارسون العرب بتقديم أوراق بحثية صغيرة حينًا، وغير وافية حينًا آخر، أو لكونه يحاول البحث عن الصورة التي رسمها الأدب الشعبي العربي لليهودي، وعما إذا كانت صورة إيجابية أو سلبية. وإنما تنبع أهمية هذا الكتاب – إلى جانب كل هذا – في سعيه إلى التعرف على الصورة التي رسمها الأدب الشعبي العربي في مدوَّناته الشعبية، والصورة التي يرسمها له في رواياته الشفاهية المتناقلة حتى وقتنا الراهن؛ وذلك بهدف التعرف على مدى التغير الذي لحق بتلك الصورة ما بين الماضي والحاضر. بين ماضٍ، كانت اليهودية فيه مجرد ديانة، تعيش جنبًا إلى جنبٍ مع الإسلام والمسيحية، وحاضر تداخلت فيه الديانة اليهودية مع المصالح السياسية الصهيونية. والقارىء لهذا الكتاب سيتعرف على طبيعة الصورة التي رسمها الوجدان الشعبي العربي لليهودي عبر تاريخه الطويل، ثم كيف تغيرت هذه الصورة، متأثرة بالأوضاع السياسية التي طرأت على المجتمعات العربية في القرن العشرين. إن هذا التحول – في نظرة الوجدان الشعبي العربي تجاه هذه القضية – يكشف عن مدى عمق العلاقة وحيويتها بين الأدب الشعـبي وذلك الشعب الذي يفرز ذلك الأدب، فالأدب الشعبي لا يتم إنتاجه بمعزل عن الأوضاع والسياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية المحيطة به. ولعل معالجة قضية اليهودي في الأدب الشعبي خير دليل، يؤكد تلك العلاقة.

وتتألف الدراسة من مدخل يعرض لأهمية الدراسة وأهدافها، وأربعة فصول، يختص كل منها بدراسة إحدى القضايا. ففي الفصل الأول يتم استعراض صورة اليهودي في التاريخ الاجتماعي العربي على مدى عصوره، ومدى اختلافها وتشابهها مع صورته في الأنواع الأدبية الشعبية العربية المختلفة مثل الأغنية الشعبية والنكتة والمثل. ويعالج الفصل الثاني صورة اليهودي في الحكاية الشعبية في نصوص مدوّنة من التراث العربي القديم مثل ألف ليلة وليلة، وبعض الحكايات الواردة عنه في كتب التفاسير الدينية، ومقارنتها بالنصوص الشفاهية التي تم جمعها من الريف المصري. ويدور الفصل الثالث حول دراسة العلاقة بين المأثورات الشعبية والهوية، متوقفا عند سرقة دولة إسرائيل للمأثور الشعبي العربي وتهويده؛ بهدف خلق هوية إسرائيلية، وقد تم التوقف عند نماذج من المأثور العربي المسلوب. وفي الفصل الرابع – والأخير – يقارن المؤلف صورة اليهودي بين مسرحية تاجر البندقية والحكايات الشعبية العربية، التي هي بمثابة روايات عربية للمسرحية الإنجليزية.

هذه الدراسة حلقة أولية توضح صورة اليهودي في نوعين أدبين شعبيين، هما: الحكاية الشعبية العربية، والقص الغنائي الشعبي العربي. إنها حلقة من سلسلة حلقات تتناول الموضوع نفسه مستقبليا في أنواع أدبية شعبية أخرى، مثل السير الشعبية العربية على سبيل المثال، التي تفرض فيها صورة اليهودي نفسها على الدارسين.

خالد أبو الليل

أغسطس ٢٠٠٩

مدخل

إن أول شيء يستدعي منا التوقف عنده – ونحن بصدد دراسة هذا الموضوع – هو تلك الأسماء المتعددة التي أُطلقَت على اليهود. إن هناك تسميات ثلاث، في حكم المترادفات، أُطلقت على اليهود، هي: إسرائيل أو بنو إسرائيل، والعبريون واليهود. وعن أسباب هذه التسميات، فـ "الأولى نسبة مباشرة إلى إسرائيل، وهي الكنية التي كان يحملها يعقوب بن إسحاق – الذي استحوذ على الجزء الأكبر من ميراث أبيه – منذ عودته من بلاد ما وراء النهرين. أما العبريون، فقد اُختلف حولها. فقيل حسب ما يرى المستشرق الفرنسي دي بوا إيميه – إنها مستمدة من اسم "عابر"، وهو اسم أحد أجداد إبراهيم. وقد ظلت عادة اتخاذ اسم أحد رؤساء القوم القدامى وخلعه على الأبناء شائعة لدى العرب المحدثين[1]. في حين يرى جمال حمدان أنها مشتقة من هجرتهم من كلدان إلى كنعان؛ حيث "عبروا" النهر – نهر الفرات أو نهر الأردن، لا ندري أيهما المقصود تماما – فسموا بالعبرانيين... أما التسمية باليهودية فتدل أصلاً على أبناء يهودا ***Jehudah,*** ***Judah***، أحد أبناء يعقوب، الذين أصبحوا يمثلون البقية المهمة من بني إسرائيل بعد الأسر البابلي، فصارت تُطلق – فيما بعد – على الإسرائيليين جميعًا"[2]. إن هذه التسميات كانت تستخدم – فيما قبل –على نحو مترادف، وعلى نفس القدر والدرجة في الاستخدام، وهو ما يختلف عن استخدامها في العصر الحديث، إنْ من حيث المعنى، أو من حيث درجة الاستخدام. فلقد أخذت تسمية إسرائيل بعدا سياسيًا؛ لتدل

---

(١) دي بوا – إيميه: كيف خرج اليهود من مصر القديمة؟ الدراسة التاسعة، موسوعة وصف مصر، ج ٢، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢، ص ٣٢٧.

(٢) د. جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، كتاب الهلال، العدد (٥٤٢)، فبراير ١٩٩٦م، ص٥٤.

على الوطن القومي أو الدولة التي يقطن فيها اليهود، وتأخذ كلمة اليهودي بعدا دينيا؛ لتدل على الديانة اليهودية، في حين بدأ استخدام كلمة عبراني في التراجع، فلم تعد تستخدم بكثرة مثل نظيرتيها، وإن دلت على المعنيين السابقين معا. ولعل سبب التراجع في درجة استخدامها في العصر الحديث يعود إلى التنبه إلى أصل معنى الكلمة السيىء في الحضارات القديمة. فكلمة عبرانيين تقابل "عند المصريين القدماء كلمة ***Habiru***، وعند البابليين ***Khebirru***،ولو أن هذه وتلك تعني - في رواية - البدو أو اللصوص أو المرتزقة، كما وصفهم أعداؤهم في كنعان؛ إشارة إلى طبيعتهم كرعاة متخلفين حضاريا بالنسبة لهم"[1].

إن هذا الكتاب يستهدف تحقيق عدد من الأهداف، بعضها إسلامي ديني، وبعضها الثاني عربي قومي، وبعضها الثالث أدبي فني. وتتمثل أهم هذه الأهداف فيما يلي:

١- التعرف على صورة اليهودي في عدد من الأنواع الأدبية الشعبية العربية، مثل الأمثال، والنكات الشعبية، والحكايات الشعبية، والأغاني والمواويل الشعبية.

٢- التعرف على صورة اليهودي في التراث الشعبي العربي المدوَّن، ومقارنتها بصورة اليهودي في المأثور الشعبي العربي الشفاهي؛ لمعرفة مدى التطور والتغير الذي لحق بصورة اليهودي هذه ما بين القديم والجديد، أو بين الشفاهي والمدوَّن. أي صورة اليهودي - التي سادت الأدبيات العربية القديمة - يوم أن كانت اليهودية مجرد دين فحسب، ليس لها أبعاد سياسية (وذلك فيما قبل ظهور الحديث عن القومية اليهودية في القرن ١٩)، وصورة اليهودي في العصر الحديث في

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٥.

الأدبيات العربية الشعبية الحديثة، ولكن بعد أن اختلط فيها الجانب الديني بالأهداف السياسية والقومية لدولة إسرائيل.

٣- التعرف على التراث الشعبي العربي الذي سرقته إسرائيل؛ بهدف بناء قومية إسرائيلية في أرض فلسطين. وذلك من خلال استقراء أرشيف الفولكلور الإسرائيلي، والبحث فيه عن الموتيفات القصصية والحكايات الشعبية ذات الأصل العربي، وذلك بعد أن تم إضافة هذه الموروثات الشعبية العربية إلى الأرشيف الإسرائيلي، على اعتبارها موروثًا شعبيًا إسرائيليًا.

٤- التعرف على الصورة الجديدة التي يرسمها الموروث الشعبي الإسرائيلي لليهودي/ الإسرائيلي. وذلك بعد الخلط الذي تعمده الإسرائيليون بين كلمتي اليهودي والإسرائيلي، واعتبارهما شيئًا واحدًا. فهي صورة أكثر إيجابية من تلك الشائعة في أدبياتنا العربية؛ إذ يسعى هذا التراث الشعبي اليهودي/ الإسرائيلي أن يرسخ لتلك الصورة الجديدة لليهودي بين الأجيال العربية والإسرائيلي الجديد؛ بهدف التخلص من تلك الصورة السلبية التي تسود إبداعاتنا الشعبية العربية.

٥- التعرف على الصورة التي يرسمها الموروث الشعبي الإسرائيلي للعربي والمسلم، وهي صورة تربط العربي بالهمجية والإرهاب.

٦- وضع خطة للتصدي لعملية الاستيلاء هذه والاستيطان من قِبَل الإسرائيليين على الموروث الشعبي العربي الشفاهي، وذلك بعمل أرشيف فولكلوري عربي، يضم الموروث الثقافي الشعبي العربي الشفاهي من كل أنحاء العالم العربي؛ للتأكيد على وحدة الجذور العربية المشتركة من ناحية، وللمحافظة على الهوية الدينية والثقافية العربية من ناحية ثانية، ولكشف ادعاءات إسرائيل وسرقاتها من ناحية ثالثة، ولتوضيح أنه لا توجد

مشكلة بين العرب أو المسلمين وبين اليهود بوصفها ديانة سماوية، وإنما الخلاف يتضح مع ما ترمي إليه إسرائيل من أهداف سياسية من ناحية رابعة.

٧- مقارنة صورة اليهودي "شايلوك" في مسرحية "تاجر البندقية" لوليام شكسبير، بصورة اليهودي في الرواية الشعبية الشفاهية العربية لحكاية "تاجر الملح"، التي تعد المقابل العربي الشعبي لهذه المسرحية، ومحاولة التعرف على الأصل الذي استقى منه شكسبير مسرحيته، وعما إذا كانت الحكاية الشعبية العربية تمثل ذلك الأصل، أم أنه استقاها من منابع ومصادر أخرى شعبية كانت أو دينية أو فنية.

الدراسات السابقة:

سأتوقف هنا عند الدراسات التي اتخذت من صورة اليهودي موضوعا لها، سواء تلك التي درسته في مجال الأدب الرسمي أو الشعبي.

١- دافيد فيليبسون: "اليهود في الرواية الإنجليزية/ ١٩٥١":

تمثل دراسة فيليبسون "اليهود في الرواية الإنجليزية" عام ١٩٥١م، أول دراسة تتناول اليهود في الأدب الإنجليزي. وقد ناقش المؤلف ضرورة دراسة هذا الموضوع وشرعيته، رغم أن اليهود أصبحوا إنجليزًا؛ ومن ثم فلا داعي للحديث عن اليهود وغير اليهود. وتغطي الدراسة الفترة الزمنية من عام ١٥٩٠م حتى عام ١٩٠٠. واستهدف المؤلف إقناع غير اليهود بأنه يمكن لليهودي أن يتصرف بطريقة عادية لا تختلف عن طريقة حياة البرجوازي اليهودي. ويهاجم فيليبسون الكتب المؤلفة عن اليهودي، والتي حَضّت على معاداة السامية، والتي منها "يهودي

مالطة/ ١٥٩٢م" لكريستوفر مارلو؛ إذ اتهمه المؤلف بالشطط في تأليب الناس ضد اليهود، وانتهى إلى أن الأدب الإنجليزي لا يتحرى الدقة أو الصدق في تصوير اليهودي. وانبرى فيليبسون في الدفاع عن اليهود، فراح يفند بالحجج الاتهامات التي وجهت إلى اليهود، والتي منها ميلهم إلى المراباة، وثقافة الفظاظة والخشونة وقلة التهذيب التي تميز اليهود، فأثبت أن في كل هذا تحملاً على اليهود، وأنها صفات لم تقتصر عليهم دون الآخرين دينيًا كانوا أو عرقيًا. ومن الواضح أن فيليبسون وقع في الخطأ نفسه الذي انتقد فيه دارسي اليهود، مارلو وشيكسبير وغيرهما، واتهام الجميع بتحاملهم على اليهود، ومعاداتهم للسامية؛ إذ وجدناه متحيزًا إلى أبعد الحدود لليهود، ودفاعه المستميت عنهم، دون وصفهم بأي صفة سيئة.

٢- إدوارد كاليش: "اليهودي في الأدب الإنجليزي كمؤلِّف وكموضوع/ ١٩٠٩":

وينطلق فيه المؤلف من وجهة النظر السابقة؛ حيث إن العالم أساء إلى اليهود، وأخطأ في فهمهم. وهنا يفرق كاليش بين نوعين من الكُتّاب، نوع دافع عن اليهود، مثل كمبرلاند في مسرحيته "اليهودي/ ١٧٩٤م"، ووالتر سكوت في روايته "إيفانهو/ ١٨١٩م"، وجورج إليوت في روايتها "دانييل ديروندا/ ١٨٧٦م"، وهؤلاء نالوا ثناء المؤلف. وفريق آخر هاجم اليهود في أعمالهم الأدبية، مثل مارلو في مسرحيته "يهودي مالطة/ ١٥٩٢م"، ووليم شكسبير في مسرحيته "تاجر البندقية/ ١٥٩٤"، وتشارلز ديكنز في رواية "أوليفر تويست/ ١٨٣٨م"، وهذا الفريق بالنصيب الأكبر من نقد المؤلف. ويبدأ كاليش كتابه بدراسة بالاد القرون الوسطى، التي شنت هجومًا على اليهود، بدعم من الكنيسة، وتوظيف الإنجيل لتشويه صورة شعب إسرائيل. كما أنه راح – في الوقت نفسه – يدافع عن الصور القميئة – من وجهة نظره – التي رسمها هؤلاء الكُتّاب لليهود، وأرجع ذلك إلى عدم وجود معرفة شخصية من هؤلاء الكُتّاب بشخصية اليهود، وأنهم كانوا مجرد نقلة وتابعين

أمناء لأسلافهم. وليس بخافٍ على من يقرأ هذا الكتاب - كسابقه - التحيز الكبير من المؤلف لليهود، وهو ما أبعد مؤلِّفه عن الموضوعية المرجوة. وتلتقي مع هذا النوع من الكتابات مؤلفات مجموعة من الكُتّاب، ممن تبنوا الدفاع عن اليهود، ومنهم م. ج. لاندا، المنحدر من أصول أنجلو - يهودية، في كتابه "اليهودي في الدراما/ ١٩٢٦م". وتتبلور أهمية الكتاب في حصره كل المسرحيات التي تتضمن شخصيات يهودية منذ البداية حتى عصره. وفي السياق نفسه تأتي دراسة مونتاجيو مودر "اليهود في الأدب الإنجليزي حتى نهاية القرن التاسع عشر/ ١٩٣٦م". والكتاب مليء بالمتناقضات الخطيرة. ففي الوقت الذي يؤكد أن الوضع الحالي لليهود في المجتمع الإنجليزي أصبح أفضل، راح يدافع عن صورة اليهودي السيئة في أعمال ديكنز وشكسبير.

٣- الألماني هيرمان سينشمير في كتابه: "شيلوك: تاريخ شخصية:

هو كتاب تم تأليفه أثناء الحكم النازي، وتمت مصادرته عام ١٩٣٦م-١٩٣٧م، ثم نجح المؤلف في نشره في إنجلترا عام ١٩٤٧م. والكتاب يتناول تحليلاً لشخصية شايلوك باعتبارها تجسيدًا لليهودي الجائل، ويهوذا الخائن والمرابي اليهودي الجشع، على نحو ما قدمها شكسبير في مسرحيته. وبحكم يهودية المؤلف فقد تعاطف مع شخصية شايلوك، واليهود عمومًا. غير أنه قد شاب الكتاب تناقض كبير، فتحمسه لأدب شكسبير لا يمنعه من القول إنه كان ينبغي عليه أن ينهي محاكمة شيلوك بالانتصار له، أي أنه يريد لأحداث المحاكمة أن تجري على غير ما أراد شكسبير.

٤- برنارد جريبانير في كتابه: "حقيقة شايلوك/ ١٩٦٢م":

والكتاب ينحو منحى الدراسة السابقة، من حيث محاولة مؤلفه تمحيص النص الشكسبيري لمسرحية "تاجر البندقية". ويرى المؤلف أن يهودية شيلوك شيء

عارض، فالمصادفة هي التي جعلته يهوديًا، مع ضرورة ألا نعتبره ممثلاً لليهود، وأن من يعتبرونه كذلك فهم أعداء اليهودية. فكل الشعوب تحتوي على أبرار وأشرار، والموضوعية تقتضي منا أن نعترف بذلك. ويخلص المؤلف إلى تبرئة شكسبير من تهمة معاداة السامية؛ لأنه لو كان معاديًا لها حقًا لما فات النظام النازي استخدام مسرحية "تاجر البندقية" بوصفها سلاحا للحط من شأن اليهود، وهو ما لم يفعله النازيون.

٥- جوشوا ترانشينبرج: "الشيطان واليهود: مفهوم العصور الوسطى عن اليهود وعلاقة هذا المفهوم بمعاداة السامية الحديثة/ ١٩٤٣م":

والكتاب – حسب ما يصنفه المؤلف- هو دراسة ثقافية أكثر من كونها دراسة نقدية أدبية، والدراسة ليست منبتة الصلة بعملية إبادة اليهود في أوربا، مضيفًا أن حاضر اليهود مرتبط بماضيهم. ويقول ترانشينبرج في هذا الشأن: "إذا كان اليهودي في يومنا الراهن محتقرًا ومبعثًا للخوف، فالسبب يرجع إلى أننا ورثنا هذه الفكرة في القرون الوسطى. فاليهودي كشخصية شيطانية تعادي الإنسانية مثلما صورتها عقلية القرون الوسطى لا تزال مسيطرة على خيال الناس". وحاول المؤلف البحث في الأسباب الداعية إلى معاداة السامية، والتي أرجعها إلى كراهية الأجانب، وتضارب المصالح الاقتصادية والاجتماعية وأساليب الدعاية التي يستخدمها الديماجوجيون، وحاجة الإنسان إلى كبش فداء، واليهود – من وجهة نظره – هم ذلك الكبش. ويضيف المؤلف أن كراهية اليهود ليست أمرًا عقلانيًا بالمرة، بل مسألة تتصل بوعي الكاتب ولا وعيه، وأن عالم النفس يونج لم يجانبه الصواب، عندما ربط بين أسطورة اليهودي الشرير وتوارثها، وبين استقرارها عبر الأزمنة والعصور في لا وعي الإنسانية الجماعي، والمعروف ب ***archetype***، أي النموذج الأصلي المتوارث. ويخلص المؤلف إلى أن أسطورة اليهودي بوصفه شيطانًا رجيمًا، هو نتاج فكر القرون الوسطى، المتوارث عن الأجيال المتعاقبة، والذي عكسته آدابها.

٦- إدجار روزنبرج: "من شيلوك إلى سفنجاي/ ١٩٦٠م":

وهي دراسة شاملة عن صورة اليهودي في الأدب الإنجليزي، تناول فيها المؤلف العلاقة القائمة بين المؤلف والنص في ضوء ما قدمه الناقد البنيوي جاكوبسون. والكتاب يتناول أهم الشخصيات اليهودية التي تعرض لها الأدب الإنجليزي في أعماله، مثل شيلوك، وفاجن وسفنجاي في ضوء هذا المنهج. وينتهي المؤلف إلى أن هناك نوعًا من التواصل بين المؤلف بوصفه مرسلاً للرسالة، والقاريء بوصفه متلقيًا لهذا العمل. ويضيف أن الروائيين لا يعكسون بالضرورة مواقف مجتمعاتهم من اليهود، بل يعكسون على أحسن تقدير الذوق السائد بين جمهور القراء.

٧- هارولد فيش: "الصورة المزدوجة/ ١٩٧١م":

والمقصود بالصورة المزدوجة هنا، أي الصورة المزدوجة لليهودي بوصفه شريرًا وخيرًا. والكتاب يغوص بعمق في الصورة التقليدية لليهودي، فيرى أن الشخصية اليهودية في الأدب الحديث عبارة عن نموذج تقليدي متوارث على نهج عالم النفس يونج، ومنبعها اللاوعي الجماعي للإنسان الحديث، وهو يعزو الصورة السيئة لليهودي إلى رغبة المسيحيين في وضع وزر إحساسهم بالخطيئة على كاهل اليهود. فالمسيحيون سفكوا دماء آلاف اليهود بسبب عقيدتهم، وشعورهم بالذنب، جعلهم يلقون هذا الحمل الثقيل على كاهل اليهود/ ضحاياهم، وهو ما يعرف في علم النفس بالتحويل ***Transference***، أو الاستبدال ***Substitution***.

٨- كما أن هناك عددًا من المقالات التي تناولت الموضوع نفسه، والتي منها، مقالة جينا ميتشل، " كاريكاتور روح البول دوج/ عام ١٩٧٤م"، والتي دارت حول كاتبيّ المغامرات سيريل ماك نيل، وجون بوتشان. كما كتب فيرا دولانوفا "حول اليهودي الغني/ ١٩٨٩م"، وهي مقالة حاولت استجلاء حقيقة العداء الأدبي للسامية. وتذهب المؤلفة إلى أن النمط الحديث في تصوير

اليهود – بغض النظر عن نية المؤلف– لا يمكن فصله عن الصور القديمة لهم وعن تاريخهم القديم والحديث(١).

وعلى نحو ما هو واضح من استقراء الدراسات السابقة، فإن هناك دافعًا – غير موضوعي في أحيانٍ كثيرة – كان كامنًا وراء تأليف هذه الدراسات، تمثل في يهودية بعض هؤلاء المؤلفين، أو التعاطف مع اليهود، ورغبتهم في الدفاع عنهم. لذا فقد حُمّلت معظم هذه الدراسات بهذه الرغبة، فغابت عنها موضوعية العلم، فجاءت معظمها –إن لم يكن جميعها– مُحمّلة بدوافع سياسية، على نحو ما تمثّل في اتهام مؤلفي الأعمال الأدبية التي احتوت على شخصيات يهودية سلبية، بأنهم أعداء للسامية، وهو ما يتنافى مع روح العلم والإبداع.

وفي مجال الدراسات العربية التي اهتمت بالبحث عن صورة اليهود، نجد عددًا من الدراسات التي انشغلت بذلك، منها:

١– د. رمسيس عوض: "اليهود والأدب الأمريكي المعاصر/ ١٩٩٨م":

والكتاب يؤكد أن القوة اليهودية المسيطرة على عقل الأمريكان وفكرهم ليست وليدة اليوم. فمنذ أربعينيات القرن العشرين، عندما بدا التغلغل اليهودي في الأدب الأمريكي، وأمريكا تمثل الاحتياطي الاستراتيجي لليهود. فيهود أمريكا يملكون الآن مراكز أبحاث خاصة بهم، تعمل على ترسيخ اقتناع اليهودي الأمريكي بأنه جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الأمريكي. ولقد تمثل ذلك في إنشاء جمعية مينورا في جامعة هارفارد عام ١٩٠٦م؛ تهدف إلى اندماج اليهود في المجتمع الأمريكي. كما تهدف إلى تجنيد جميع الموارد اليهودية لدعم الجهود التي يبذلها اليهود للإسهام في إثراء الحياة الفكرية الأمريكية. ويتوقف المؤلف – في دراسته –

(١) نقل بتصرف عن د. رمسيس عوض: اليهود في الأدب الإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٩–٢٠.

على الأسماء اليهودية المعروفة في النقد الأدبي، والأسماء التي لمعت في الرواية الأمريكية الحديثة والمعاصرة. والتعرف على أهم الإسهامات الأدبية اليهودية قديمًا وحديثًا في الفكر الأمريكي لمعاداة العرب، ومناصرة إسرائيل داخليًا وخارجيًا.

ويخصص المؤلف فصول دراسته لمعالجة القضايا الآتية: دور المجلات اليهودية الثقافية، الخمسينيات وذروة التغلغل اليهودي في الأدب الأمريكي، النقاد اليهود في أمريكا، أدب الاغتراب: ديلمو شوارتز، شاؤول بيلو، برنارد مالامود، فيليب روث وأدب الاعتراف، نورمان مالر، الصحوة الدينية اليهودية في الأدب الأمريكي. ومن الواضح أن الكتاب اهتم بمحاولة الكشف عن ربط اليهود، كُتّابًا ونقادا، بين الدين والسياسة والأدب، وكيف تم توظيف الأدب لخدمة تلك الأغراض السياسية، وكيف ساعدتهم أمريكا في تحقيق ذلك في المجتمع الأمريكي[١].

٢ - د. رمسيس عوض: "اليهود في الأدب الإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين/٢٠٠٦م":

يحاول الكتاب التعرف على موقف الأدباء الإنجليز من اليهود في الفترة التاريخية، القرن ١٨ حتى القرن العشرين. والكتاب بعد أن يستعرض أهم الدراسات السابقة التي اتخذت من اليهود موضوعًا له، يقوم بالتوقف على التغير الذي أصاب نظرة الكُتّاب والأدباء إلى اليهود منذ القرن ١٨؛ حيث بدأت تحل نظرة العطف على اليهود بدلاً من نظرة الكراهية والبغضاء لهم، على نحو ما كان شائعًا فيما قبل ذلك التاريخ. ويتوقف المؤلف عند صورة اليهود في الكتابات النثرية الإنجليزية في القرن الثامن عشر، ثم كتّاب المسرح الإنجليزي واليهود في القرن الثامن عشر. ولقد غلبت على كتابات تلك الفترة صورة اليهودي السيئة. ومع نهاية

---

(١) د. رمسيس عوض: اليهود والأدب الأمريكي المعاصر، دار الهلال، العدد (٥٧٥)، نوفمبر ١٩٩٨م.

القرن ١٨ وبداية القرن ١٩، تبدأ تلك النظرة في التغير؛ حيث تحل محلها نظرة العطف عليهم. ويتوقف المؤلف عند مجموعة من الأعمال الأدبية التي تنتمي إلى تلك الفترة، في أواخر القرن ١٨ وبدايات القرن العشرين، مثل كولمان، وفيردناند ودبيدين، وبوتشان، وكبلنج، وبرنارد شو، وبيلوك وتشسترتون. ويستكمل ذلك بوقوفه عند كُتَّاب روائيين إنجليز في القرن العشرين مثل: ويندهام لويس، وتشارلز وليامز وجراهام جرين. وفي القسم الأخير من الكتاب، يتوقف المؤلف عند الكُتَّاب الإنجليز اليهود بعد الحرب العالمية الثانية، وتأثير ما حدث لليهود بعد الهولوكست في الكتابات الأدبية إبان تلك الفترة[١].

أما عن دراسة صورة اليهودي في الأدب الشعبي، فنجد – في هذا السياق – دراسة بولندية عن "صورة اليهودي في الثقافة الشعبية البولندية"، تنتهي إلى أن هناك ثمة خصائص وعوامل اجتماعية ساهمت في تكوين صورة نمطية خاصة باليهود، مما حدا بالمجتمع البولندي إلى خلق جدار فاصل صلب فصل اليهود عن مواطنيهم البولنديين، وأبعدهم عنهم، وعزلهم إلى حد كبير عن الثقافة البولندية. وتحدد الكاتبة ملامح الشخصية اليهودية، من خلال تحليلها واستقرائها للثقافة الشعبية البولندية، فترى أن صورة اليهودي بوصفه بائعًا متجولاً أو صاحب حانة، تمثل صورة نمطية يتواتر تكرارها كثيرًا بشكل ثابت لا يتغير في هذه الثقافة. كما أن هناك صورة اليهودي التاجر (تاجر دقيق، تاجر ماشية، تاجر أدوات مستعملة) التي يتواتر تكرارها أيضا، ونادرًا ما ترد صورة اليهودي الحرفي أو الموظف في المخيلة الشعبية البولندية. وتذكر المؤلفة أن معظم الشخصيات اليهودية في الحكايات الشعبية رجل؛ إذ ليس للمرأة وجود – إلا في النادر – على مسرح

---

(١) د. رمسيس عوض: اليهود في الأدب الإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، مرجع سابق.

أحداث الحكاية الشعبية. وترى الكاتبة أن هذه النماذج النمطية تعكس الموقف الحالي للبيئة التي عاش فيها اليهود، ولا يزال يعيش بعضهم فيها. كما تعكس مشاعر الناس تجاههم وفكرتهم عنهم أيضًا، فعلى سبيل المثال فلقد صُوِّر الشيطان في إحدى الحكايات وهو يرتدي غطاء رأس يهودي[1].

وفي دراسة أخرى عنوانها "ألف مثل يهودي ومثل يهودي من المغرب"، قام بها دارس يهودي على مجموعة أمثال شعبية عربية جُمِعت من المغرب. وقد اعتمد الكاتب – في دراسته – على مخطوط واحد، يدَّعي المؤلف أنه يحتوي على مجموعة من الأقوال اليهودية المأثورة، والأمثال الشعبية اليهودية، التي كانت شائعة على ألسنة يهود المغرب، والمتداولة في استعمالاتهم اليومية. ولقد حاول ذلك الدارس اليهودي التأكيد على أن هذه الأمثال تنسب إلى اليهود دون غيرهم من المغاربة، وذلك بهدف التأكيد على وجود نموذج معين مميز للحياة اليهودية، على النحو الذي يشخص خبرة الأجيال اليهودية المتعاقبة عامة. ونظرًا إلى أن الدارس استهدف من دراسته، تلك الأهداف العامة التي سعت إليها الدراسات الفولكلورية اليهودية، التي تسعى إلى غرس ثقافة شعبية في نفوس الأجيال اليهودية المعاصرة، والتأكيد على تمايزهم الاجتماعي والعرقي، لذا فإن الدارس راح يستعرض هذه الأمثال التي يقول إنها يهودية. ومن هذا المنطلق فإن أحمد مرسي راح يفند تلك المزاعم من خلال ذكر المقابل العربي والروايات العربية المتعددة لهذه الأمثال المذكورة في المخطوط المدروس، مؤكدًا أن هناك مقابلاً عربيًا لهذه الأمثال، سواء من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، وهو الأمر الذي يثبت – على حد قول أحمد مرسي – أمرين في غاية الأهمية:

---

(١) نقلاً عن د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، ص١٥، ١٦، (نقل بتصرف).

أولاً: أننا إذا افترضنا أن ما يدَّعيه الدارسون اليهود من انفصال اليهود وتميزهم بحياة وعادات خاصة بهم عن غيرهم من أفراد الشعوب التي عاشوا بينها قرونا، فإن هذا يستلزم بالضرورة تميزهم بقيم خاصة بهم تمامًا وممارسات لا يشاركهم فيها غيرهم، وعادات لا تتشابه مع عادات الآخرين. ومن ثم، ينعكس هذا التمييز وتلك الخصوصية على أنماط تعبيرهم التي تعد مرآة تؤكد تميزهم وخصوصيتهم. غير أن هذه الأمثال التي يشير إليها ذلك الدارس اليهودي تنقض تلك المحاولة؛ إذ تواتر رواياتها في الأقطار العربية، وعدم وجود ما يميز الشعب اليهودي دون غيره، يُجِبُّ ذلك الرأي.

ثانيًا: أن الروايات العربية لهذه الأمثال الواردة في المخطوط المدروس ينفي القول بيهودية تلك الأمثال، ويؤكد على ملكيتها للتراث الإنساني(١).

ولقد تمت معالجة موضوع اليهود عربيًا من زوايا مختلفة، مثل دراسة وضع اليهود في مصر والعالم العربي دراسة تاريخية في شتى العصور التاريخية، في العصور الإسلامية الأولى، والعصر المملوكي والعثماني والعصر الحديث. كذلك فقد تمت معالجة الموضوع فنيًا، على نحو ما تمثل في عدد من الأعمال القصصية والمسرحية، مثل مسرحية "شيلوك الجديد" لعلي أحمد باكثير. كما تمت دراسة اليهود أنثروبولوجيا، على غرار الدراسة المهمة التي قدمها جمال حمدان "اليهود أنثروبولوجيا". والكتاب صدر في منتصف الستينيات من القرن العشرين. وتتبع أهميـة الكتاب بكونه يعالج جذور القضية الفلسطينية، لا من زاوية سياسية أو دينية، على نحو ما كان شائعًا آنذاك، وإنما يعالجها من الناحية الأنثروبولوجية. فينطلق من الواقع السياسي، الذي يوظف مقولة ذات طابع عنصري بأن "العرب واليهود أبناء عم"؛ للانتهاء إلى نتيجة ذات طابع سياسي، مؤداها اعتراف حكام عرب بالكيان الإسرائيلي في المنطقة. ومن هنا كانت أهمية المدخل الأنثروبولوجي

---

(١) نقل بتصرف عن المرجع السابق، ص ١٩ – ٢١.

لدراسة اليهود، فتوقف عند دراسة الأصول القديمة في التاريخ الجنسي والديني لهم، متتبعًا انتشارهم في العالم، ثم تحليل الواقع اليهودي الراهن. ويرى المؤلف أهمية هذا المدخل العلمي لدراسة اليهود؛ للرد على الدعايات الصهيونية، خاصة أن معظم الكتابات العربية تعتمد على مصادر يهودية وصهيونية(١).

ولم تتعرض دراسة عربية متخصصة لمعالجة موضوع "اليهودي في الأدب الشعبي العربي". باستثناء دراسة أحمد علي مرسي "الفولكلور والإسرائيليات/ ١٩٧٧م"، ودراسة فرج قدري الفخراني "الموتيف العربي في القصص الشعبي ليهود مصر: دراسة بنائية من واقع أرشيف القصص الشعبي اليهودي/ ٢٠٠٢م". والدراستان لم تنشغلا بالموضوع من زاوية البحث عن صورة اليهودي في الأدب الشعبي العربي، بقدر انشغالهما بقضايا أخرى انطلقت منها دراستهما. وفي دراسته "الآخر في الثقافة الشعبية/ ٢٠٠١م" يخصص سيد إسماعيل ضيف الله مبحثًا صغيرًا – ومهمًا – عن الآخر اليهودي. وقد ضمَّن كتابه نص "خضرة الشريفة" الذي سبق أن أورده زكريا الحجاوي في كتابه "حكايات اليهود"، ثم توقف عنده بالتحليل، مستخلصًا عددًا من النتائج(٢). أما كتاب "حكايات اليهود/ ١٩٦٨" لزكريا الحجاوي، فإنه يحمل توجهًا مختلفًا، سواء من حيث لغته ذات الطابع الصحفي، أو من حيث طبيعة الموضوعات التي تطرق إليها الكتاب، التي تتماشى وطبيعة الغرض الذي أُلِّف خصيصًا من أجله؛ متماشيًا – بالتالي – مع طبيعة المرحلة التاريخية التي تم تأليفه فيها. فلقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٦٨م، أي عقب هزيمة ١٩٦٧م؛ ومن ثم كان الدافع الأساسي للكتاب هو بث الروح القومية المفقودة في نفوس المصريين، والتأكيد على عدوانية اليهود وعنصريتهم ووحشيتهم. وللكتاب قيمة كبيرة على مستويات متعددة، من بينها، ما تضمنه من

---

(١) د. جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، دار الهلال، الطبعة الثانية، فبراير ١٩٩٦م.

(٢) سيد إسماعيل ضيف الله: الآخر في الثقافة الشعبية، تقديم د. أحمد مرسي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ١٠٢ وما بعدها.

نصوص شعبية حول اليهود، بعضها انقرض واندثر، ولم يصبح لها وجود شفاهي لولا تدوين الحجاوي لها في كتابه، الأمر الذي ساعد على المحافظة عليها.

من هنا تأتي أهمية الدراسة التي بين أيدينا، في إلقائها الضوء على هذه القضية، ذات الأهمية الكبرى، والتي لم تجد من المتخصصين السابقين من وجه جهوده لدراستها على هذا النحو المختلف.

الفصل الأول

اليهودي في التاريخ والأدب الشعبي

ينطلق هذا الفصل من محاولة التعرف على الصورة التي رسمها الوجدان الشعبي العربي لليهودي في إبداعاته الشعبية على مر عصوره؛ بهدف الوصول إلى التحقق من فرضية أساسية ننطلق في دراستنا منها. مؤدى هذه الفرضية يتمثل في: هل صورة اليهودي في الإبداع الشعبي العربي أصابها تغير وتحول، نظرًا إلى الظروف السياسية المستحدثة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين؟ أم أن هذه الصورة اتَّسمت بالثبات على مدار العصور، في معزل عما يحيط بها من عوامل مختلفة؟ وكذلك مدى التقاء هذه الصورة مع صورته فى التاريخ العربى الرسمي؟ وسوف نتلمس ذلك في – فى هذا الفصل – في عدد من الأنواع الأدبية الشعبية، كالأمثال والنكت والأغاني الشعبية.

(١)

صورة اليهودي فى التاريخ العربي عبر عصوره المختلفة

عندما ظهر الإسلام في أرض شبه الجزيرة العربية، اقتنع كثيرون من أهل الكتاب به، فاتخذوه دينًا لهم، عن رضا واقتناع، وليس عن خوف وارتياع، على نحو ما يذهب البعض. فسماحة الدين الإسلامي بمبادئه وقوانينه الإنسانية، وسماحة المسلمين الذين كانوا نموذجًا فريدًا في فهمهم وتطبيقهم لمبادئ الإسلام، كانا سببًا

فــي إظـــهار صورة طيبة للإسلام أمام الآخر، سواء كان آخرًا دينيًا أو عرقيًا؛ مما أدى إلى دخول الكثيرين منهم في دين الله أفواجا. عاش أهل الكتاب في حمى المسلمين في هدوء وسلام، فلم يُمَسُّوا بسوء أو أذى من أحد من المسلمين. غير أن هذا لا ينفي وجود بعض منهم – من هؤلاء الذين دخلوا الإسلام – قد دخلوه لتحقيق أهداف شخصية، منها الهروب من دفع الجزية، أو بسبب هاجس الخوف عند الأقلية، ومعظم هؤلاء كانوا من اليهود. وتنقل لنا كتب التاريخ والسير قصصًا كثيرة عن هؤلاء اليهود الذين كانوا يتلاعبون بإسلامهم (فيتظاهرون بإسلامهم ويبطنون غير ذلك)، وبمجرد أن واتتهم فرصة الإعلان عن يهوديتهم، أو الإفصاح عن حقدهم للإسلام أو الإساءة إليه، فعلوا ذلك، دون تردد منهم. كما أن من اليهود من قابل هذه المعاملة الحسنة بمعاملة سيئة. ومن القصص المتواترة الكثيرة عن ذلك، تلك القصة التي كان يقوم فيها الجار اليهودي بإلقاء فضلاته أمام منزل الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولم يعبأ الرسول بذلك، فكان يأخذها ويلقيها بعيدا، ثم حدث أن مرض هذا اليهودي، فلاحظ الرسول – الذي لم يكن قد علم بمرض جاره اليهودي – أنه لم ير فضلات اليهودي منذ أسبوع، فسأل عنه، فأخبره الصحابة بمرض اليهودي، فأصرَّ الرسول على زيارته. فلما عاد الرسول اليهودي – في منزله – كان ذلك درسا عمليًا منه في حق الجار، وكان سببًا في إعلان هذا الرجل لإسلامه أمام الملأ. ولقد كان الموتيف القصصي المشترك بين القصص والحكايات العربية المدوَّنة في كتب هذه الفترة وتفاسير العلماء، هو الحديث عن هؤلاء اليهود الذين يرتكبون بعض الأفعال المماثلة لتلك الحادثة، وهي الإساءة للرسول أو الصحابة أو للإسلام، ثم الصفح عنه، مما يكون سببًا في دخوله الإسلام. فهذه القصص استهدفت وظيفة وعظية؛ بهدف نشر الإسلام. وهذا يعني عدم وجود صورة نمطية سلبية ***negative stereotype*** مأخوذة عن يهوديِّ تلك الفترة.

وعندما فتح المسلمون مصر لم يختلف الأمر كثيرًا، فلقد (انتشر الإسلام في مصر انتشارًا واسعًا، إذ كان إقبال القبط – بصفة خاصة – على اعتناق الإسلام، وترك دينهم المسيحي، يتزايد تدريجيًا، كلما تقدم العهد بالعرب في مصر حتى صار من بقي منهم على دينه المسيحي، قليل العدد، بعد أن كان لهم الأغلبية العددية بين المصريين. ونلاحظ أن الإقبال على اعتناق الدين الإسلامي، كان على نطاق أوسع في عصر الولاة عنه في عصر الدول المستقلة – أي الدول الطولونية والأخشيدية والفاطمية – التي أصبح القبط فيها أقلية ولكن لهم أهميتهم وكيانهم في المجتمع المصري)[1]. أما بالنسبة لليهود فإنهم لم يقبلوا على الإسلام بكثرة في هذا العصر. فالمصادر التاريخية المختلفة (قلما تشير إلى اعتناق اليهود للدين الإسلامي، وتركهم دينهم اليهودي، اللهم إلا في عصر الخلفاء الفاطميين وبصفة خاصة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، وإن كان عدد من أقبل منهم على التحول عن دينه إلى الإسلام كان ضئيلا بالنسبة إلى عدد القبط المتحولين إلى الدين الإسلامي)[2]. ولقد أحسن العرب الفاتحون معاملة أهل الذمة ف (حظي كل من اليهود والقبط بتسامح الخلفاء الفاطميين، وحسن معاملتهم لهم، ويتجلى ذلك في استخدام الخلفاء الفاطميين لهم في مختلف الوظائف على نطاق واسع، والاشتراك معهم في الاحتفالات بأعيادهم الدينية، والسماح لهم ببناء الكنائس والأديرة الجديدة، وتدمير القديم منها، ذلك إلى جانب منادمتهم، ومصادقة الكثير منهم...)[3]. ولم يكن هناك فرق بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة (المسيحي واليهودي) في مقابل التزام أهل الذمة بدفع ما عليهم من جزية، التي قد ترتفع أو تنخفض من فترة إلى فترة، ومن حاكم إلى حاكم؛ تبعًا لطبيعة الفترة، ولسياسة الحاكم في تعامله

---

(١) فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني، ٢٠٠٠م، ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٣.

معهم، وموقفه منهم. أما بالنسبة ليهوديّ تلك الفترة ف (... من الثابت تاريخيًا أن اليهود عوملوا كغيرهم من غير المسلمين، فكانوا يؤدون الجزية ويسمون أهل الذمة، وكان لأهل الذمة من القبط واليهود في مصر دورهم في الحياة العامة طوال هذه الفترة، وقد تمتعوا في معظم الأحيان بكامل حرياتهم الاجتماعية والدينية والاحتفال بأعيادهم الدينية، وأيضًا الاحتفال بتولية رؤسائهم وقادتهم الدينيين.......)(١). ولقد استمر الأمر على هذا الحال في عصر الولاة والدولة الطولونية والإخشيدية. غير أن الملاحظ هو ندرة المصادر التاريخية التي اهتمت باليهود في هذه العصور – على نحو ما أشار إلى ذلك الباحثون-. وربما يرجع السبب في عدم الاهتمام أو الالتفات إلى وضع أهل الذمة عامة واليهود خاصة في مصر في هذه الفترة إلى روح التسامح التي سادت المجتمع المصري في هذه العصور؛ الأمر الذي ترتب عليه عدم وجود مشاكل تستدعي الحديث عنها في المدوّنات؛ ومن ثم فلم يكن هذا الموضوع مادة للكتابة عنها في تلك الفترة.

وترتب على روح التسامح هذه أن مارس أهل الذمة نشاطهم الاقتصادي، خاصة التجاري منه، ف (أهل الذمة، سواء القبط أو اليهود، قد قاموا بدور عظيم في تجارة مصر الداخلية،...، وازدهر نشاطهم التجاري في مصر وخاصة في العصر الفاطمي. وكان نشاط اليهود المقيمين في مصر واضحًا في هذا الميدان، وكان لهم في مصر نقابة للصيارفة)(٢). فلقد قام اليهود بدور لا يستهان به في تجارة مصر في ذلك العصر؛ إذ (كان لليهود دور عظيم في التجارة آنذاك واشتغلوا بجميع أنواع التجارة، كما اتصلوا بالحكام والخلفاء لاشتغالهم في تجارة المجوهرات والتحف القيّمة)(٣).

---

(١) فرج قدري خضيري الفخراني: الموتيف العربي في القصص الشعبي ليهود مصر، دكتوراه، جامعة جنوب الوادي، قسم اللغات الشرقية، ٢٠٠٢م، ص١٨.
(٢) فاطمة مصطفى عامر، المرجع السابق، ص ١٢٣.
(٣) المرجع السابق، ص ١٢٧.

غير أنه تنبغي الإشارة – هنا – إلى أنه رغم اقتناع قطاع ليس بالقليل من أهل الذمة المتحولين إلى الإسلام بتعاليم الإسلام ومبادئه، فكانوا صادقين في إعلان إسلامهم، فإن منهم من اعتنق الإسلام ليس رغبة فيه، وإنما لوجود عوامل أخرى شجعتهم على ترك ديانتهم، والدخول في الإسلام. ولقد تمثلت أبرز تلك العوامل التي كانت تشجع أهل الذمة على ترك دينهم واعتناق الإسلام، في الأعباء الاقتصادية العالية المفروضة عليهم، لما يدفعونه من جزية، بوصفهم ذميين. فالجزية (كانت موردًا، من أهم الموارد المالية للدولة الإسلامية في مصر، في عصر الولاة خاصة. ومن ثم كان كثير من أهل الذمة يرغب في الخلاص من هذا العبء المادي، عن طريق ترك دينه واعتناق الإسلام، إذ كان في الغالب من يعتنق الإسلام يعفى من أداء الجزية)[1].

ويتمثل عامل آخر في تزايد إقبال أهل الذمة على الإسلام فيما كان يتعرض له الذميون (من المضايقات وإلزامهم بعدم التشبه بالمسلمين في لباسهم بل إلزامهم بأنواع معينة من الملابس أو منعهم من ممارسة بعض عاداتهم وطقوسهم الدينية، وغير ذلك من سبل التضييق والعسف بهم في بعض الفترات مما كان يؤدي إلى إسلام الكثير منهم تخلصًا من هذه المضايقات...)[2]. ويتمثل عامل ثالث في أن (بعض الذميين كان يترك دينه المسيحي أو اليهودي، ويعتنق الإسلام، طمعًا في بعض المناصب الرئيسية في إدارة البلاد، ولكن هناك كثيرًا من أهل الذمة يقبلون على اعتناق الإسلام إعجابًا بتعاليمه الرشيدة)[3]. ولقد توفرت تلك الصفة بكثرة في اليهود المتحولين للإسلام، إذ دفعتهم رغباتهم الاقتصادية أو طموحاتهم الإدارية إلى اعتناق الإسلام. فعلى سبيل المثال عندما أراد كافور أن يعهد إلى ابن كليس – وكان يهوديًا – بالوزارة فإن يهوديته حالت بينه وبين تحقيق ذلك، فبادر ابن كليس

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٢.
(٢) المرجع السابق، ص ١٨٣.
(٣) المرجع السابق، ص ١٨٣.

إلى ترك دينه اليهودي واعتناق الدين الإسلامي وتولي الوزارة في سنة ٣٥٦ هـ. وقرأ القرآن، وصلى في المسجد الجامع، واستدعى رجلاً من أهل العلم بالقرآن، وعلوم اللغة العربية، ليتتلمذ على يديه، ويعلمه تعاليم الدين الإسلامي.

ولقد انتشر اليهود في العصر الفاطمي في كثير من المدن المصرية، كالإسكندرية والقاهرة، كما اكتسب اليهود الوافدون طباع المصريين وعاداتهم وتقاليدهم، أي أن اليهود قاموا بالمحافظة "... على بعض العادات الاجتماعية والخلقية التي انتشرت بين المصريين مثل مؤازرة الضعيف ومد يد العون للمحتاجين، وبذل أقصى الجهد لمساعدتهم وتحقيق مطالبهم، وقد أفادت وثائق "الجينزا" عن وجود تشابه كبير بين التكوين الداخلي للعائلة اليهودية والعائلة المصرية، مما نعده إضافة وثائقية للحياة الاجتماعية لليهود في فترة الحكم الفاطمي"[١]. خلاصة القول عن حال اليهود في مصر الفاطمية، إنه نظرًا لما ساد ذلك العصر من روح التسامح، فإننا يمكن أن (نعد العصر الفاطمي بمثابة العصر الذهبي لليهود، فقد تمتعوا فيه بالتسامح الديني، كما أسهموا في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والإدارية والاجتماعية في المجتمع المصري طوال تلك الفترة، باستثناء عصر الخليفة الحاكم بأمر الله الذي تعرض فيه أهل الذمة من يهود ونصارى لبعض الاضطهادات التي سرعان ما عدل عنها قبل وفاته، وعادت سياسة التسامح إزاء أهل الذمة إلى ما كانت عليه من قبل)[٢].

---

(١) فرج قدري خضيري الفخراني، المرجع نفسه: ص ٢١.

(٢) محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٥٥.

ولقد صور لنا أحد شعراء العصر الفاطمي ازدياد نفوذ اليهود زمن الدولة الفاطمية ومدى اتساع نفوذهم، وتحكمهم في الناس في صورة هزلية، دعا فيها إلى اعتناق اليهودية مادام أنها أقرب وسيلة للوصول إلى السلطان والنفوذ فقال:

يهود هذا الزمان قد بلغوا	غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والملك عندهم	ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم	تهودوا فقد تهود الفلك (المرجع نفسه، ص٥٠).

أود أن أختم حديثي عن حال اليهود في هذا العصر (أقصد منذ الفتح الإسلامي حتى العصر الفاطمي) بالقول بكثرة المسيحيين الداخلين في الإسلام، واندماجهم في المجتمع المصري، مقارنة بعدد اليهود القليل، وعدم اندماجهم فيه. فبالرغم من كل ما أبداه الفاطميون – ومن سبقهم – من روح التسامح وكل محاولات الاندماج تجاه اليهود، فإن كثيرا من هؤلاء اليهود، كانوا يتظاهرون بتحولهم إلى الإسلام، ولكنهم في سرائرهم ظلوا مؤمنين بدينهم اليهودي. والدليل على ذلك عودة كثير منهم إلى اليهودية بعد أن أذن لهم الخليفة الحاكم بأمر الله بذلك في سنة ٤١١ هـ. كما انعكس عدم الاندماج هذا في عدم انتشار اللغة العربية بين طوائف اليهود، على عكس المسيحيين، فـ (المصادر التاريخية، قلما تشير إلى انتشار اللغة العربية بين اليهود – وذلك بعكس ما لمسناه بالنسبة للقبط – ولعـل ذلك كـان راجعا كما ذكرنا مرارا إلى قلة عدد اليهود في مصر بالنسبة لعدد القبط)[١].

أما في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، فلقد كانت مصر ملجأ لليهود المضطهدين في بلادهم بسبب المسيحيين. ونظرا لتعاطف اليهود مع الفاطميين، ومشاركتهم في عدد من المؤامرات، التي كانت تستهدف القضاء على الأيوبيين، فإن الأيوبيين تعنتوا ضدهم في بداية حكمهم. غير أن الأيوبيين سرعان ما احتووا اليهود، بعدما تأكدوا من انصياعهم للحكم الأيوبي. فلقد (كان من الطبيعي أن يتشدد صلاح الدين في أول أمره مع اليهود بسبب ما ارتكبوه في حقه من مؤامرات. ومع هذا يمكن القول بأن سياسة صلاح الدين كانت تتسم بالحكمة والتماسك، فقد أثر عنه أنه حاكم عطوف متسامح، بدليل ما تشير إليه الأحداث التاريخية من اشتغال اليهود في العصر الأيوبي بالدواوين، واستعانة حكام تلك الدولة بالكُتّاب وجامعي الضرائب من بين اليهود والنصارى. وربما يكون السبب في ذلك أيضا ولاء اليهود

---

(١) فاطمة مصطفى عامر، المرجع السابق، ص ٢١٣.

الناتج عن قلة عددهم، بالإضافة إلى خبرتهم الطويلة في مجال الدواوين، وعدم مقدرة كثير من المسلمين على القيام بمثل هذه الأعمال لقلة خبرتهم بالمسائل الإدارية والمالية)[١]. فمع تقدم الوقت بالدولة الأيوبية بدأ اليهود يستردون وضعهم الاجتماعي، على النحو الذي سبق أن وصلوا إليه في عهد الفاطميين، وبالتالي استردوا وضعهم الاقتصادي والتجاري والحرفي، فبدأوا يشاركون في مختلف المهن والحرف فلقد (مارس يهود هذا العصر جميع الحرف والصناعات التي سبق لهم ممارستها إبان الدولة الفاطمية مع بعض التغيرات القليلة؛ إذ يستشف من إحدى وثائق الجنيزة التي وصلتنا من هذا العصر اشتغال اليهود بالعديد من الحرف كحرفة الصباغة، وصناعة المعادن والزجاج والمحلي، بالإضافة إلى صناعة الخمور والسكر والعسل)[٢].

وفي عصر سلاطين المماليك شارك اليهود في نشاط المجتمع المصري الذي كان اليهود جزءًا لا يتجزأ منه، يتأثرون بأحداثه ويؤثرون فيها، كما يخضعون للظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية التي يخضع لها المجتمع. ولقد تمتع اليهود (تحت حكم المماليك بكل ما تمتع به إخوانهم المسلمون من حقوق وامتيازات باستثناء بعض فترات الشدة القصيرة الأجل التي كانت تعمد الدولة خلالها إلى إلزام أهل الذمة بالشروط العمرية، والتي كثيرا ما استثني منها اليهود...)[٣]. فاليهود لم يتعرضوا للاضطهادات إلا في أوقات الشدة والاضطرابات والفتن فقط، وفيما عدا ذلك كانوا يتمتعون بكل ما كان يتمتع به المسلمون من حقوق وامتيازات في عصر المماليك؛ ذلك لأن (اليهود كانوا في الواقع جزءًا لا يتجزأ من المسار العام للتاريخ المصري، لذلك كان من الطبيعي أن أصدر بعض سلاطين المماليك

---

(١) محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة، المرجع السابق، ص ٥٦، ٥٧.
(٢) المرجع السابق، ص ٦٠.
(٣) المرجع السابق، ص ١٦٣.

العديد من المراسيم لصالح أهل الذمة جاء في بعضها التذكير: ".. بأن تكون جهتهم مرعية على الدوام وذمتهم محفوظة بذمة الإسلام..."(١). وهو الأمر الذي يدل على مدى حرص سلاطين المماليك على التزام جانب العدالة تجاه اليهود عملاً بتعاليم الدين الإسلامي، (فقاموا بالدفاع عن مصالحهم ومنحهم قدرًا كبيرًا من الحرية، كما قاموا بمنح بعضهم العديد من الألقاب مثل الشيخ، والشيخ الفخر، والشيخ الأجل، والشيخ الجليل، والريس، والحضرة السامية، والرئيس والكافي والمقرب والحكيم وتاج الحكمة وثقة الملوك والسلاطين)(٢). وتكشف لنا المصادر التاريخية عن أن اليهود المصريين لم يشذوا عن البناء الاجتماعي العام في ذلك الزمان، كما أنهم مارسوا حياتهم اليومية بشتى جوانبها داخل إطار الحياة العامة للمجتمع المصري كله. (فاليهود – كما يقول قاسم عبده قاسم – لم يكونوا جيبًا أنثروبولوجيًا داخل المجتمع المصري، ولكنهم دخلوا في النسيج الاجتماعي شأنهم شأن سائر المصريين، فلم تكن هناك حدود صارمة تفصل اليهود وبقية المصريين؛ الأمر الذي أدى إلى ذوبانهم في المجتمع فتحدثوا لغته، ومارسوا عاداته وتقاليده"(٣).

ولا يختلف الأمر كثيرًا في العصر العثماني، فمن حيث الخريطة الجغرافية لليهود في مصر العثمانية، نلحظ ثمة تغيرًا، يتمثل في ميل اليهود (إلى الاستقرار بالمدينة دون القرية، وبتركزهم الشديد بمدن الوجه البحري دون الصعيد، وبخاصة القاهرة ذات الأغلبية اليهودية، والكثافة السكانية العالية نسبيًا، ودارت حركتهم في فلك القاهرة والثغور "إسكندرية – رشيد – دمياط" التي استأثرت بالقسط الأكبر من نشاط الجماعة، ولعبت الهجرة الداخلية بين المدن والقرى دورا مهمًا في صياغة وتشكيل التوزيع الجغرافي بحيث يميل إلى تأكيد الطابع الحضري للجماعة

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٩٩.
(٣) فرج قدري خضيري الفخراني، المرجع نفسه، ص ٢٢، ٢٣.

بالأساس)[١]. أما من حيث علاقة اليهود بالمجتمع المصري المحيط بهم – طوال العصر العثماني – فلقد اتسمت بالاستقرار، وعدم وجود ما يعكر صفو هذه العلاقة الحميمة، التي قوامها روح الود والتسامح بين المسلمين واليهود، بل كانت أماكن العمل مسرحًا يلتقي فيه المسلم والمسيحي واليهودي. ولقد تركت المجتمعات العربية تأثيرها في الجماعات اليهودية التي تعيش فيها، فلم تخرج تلك الجماعات عن أعراف المجتمعات العربية وتقاليدها، بل تبنت أخلاقياتها وسلوكياتها. فاليهود لم يخرجوا (عن العرف الاجتماعي السائد والقيم الأخلاقية لمجتمعهم، من حيث الالتزام بمقتضيات السلوك، والآداب العامة ذات الطابع المحافظ، أو يشذوا عن القواعد المعمول بها، والقوانين المتعارف عليها لدى طوائف الحرف، فالتحقوا بها، واتسعت عضويتها لهم ولغيرهم من أهل الملل المختلفة والأقوام المتباينة دون أدنى تفرقة أو تمييز)[٢]. ومن ذلك أيضًا نجد ذلك التناقل للعادات والمعتقدات فيما بينهما، كأن يهتم المسلمون بتبييض قبورهم وتزيينها على غرار اليهود، أو أن يتبرك اليهود بالأولياء المسلمين. لقد تم ذلك الاندماج بين اليهود وغيرهم من ساكني المجتمعات المقيمين فيها، باستثناء فئات قليلة من اليهود لم تنجح في إحداث ذلك التجانس؛ لانتمائها إلى أصول أجنبية، مما أدى إلى تخففهم من بعض العادات الشرقية المحافظة. أما عن النشاط الثقافي لليهود في مصر العثمانية، فلقد أنشأ اليهود ما يسمى ب "الحيدر" على غرار "الكتّاب"، كما كانوا يستخدمون اللغة العربية في كافة مجالات الحياة اليومية. ولقد توقف فرج الفخراني – بالتفصيل – عند المشترك الثقافي والاجتماعي للمصريين واليهود[٣].

---

(١) محسن علي شومان: المرجع السابق، ص ٣٤٥.

(٢) محسن علي شومان: المرجع السابق، ص ٣٦٠.

(٣) يمكن الرجوع في المشترك بين المصريين واليهود في العادات والتقاليد إلى المرجع نفسه، ص ٢٦، ٢٩، ٢٧،٢٨.

كما تنوع النشاط المهني لليهود في مصر العثمانية، فبالإضافة إلى المهن التى اشتهر اليهود بامتهانها، نجدهم يدخلون في نسيج المجتمع المصري من خلال مشاركتهم في مهن كانوا بعيدين عنها فيما قبل. فلقد (احترف اليهود العمل بعدة مهن برعوا فيها منذ عصور تاريخية أقدم كالصيرفة، وأتت الهجرات بعناصر وافدة من التجار، كما برز عدد من المتسببين والباعة، والسماسرة والدلالين، وتجار الجواهر، والصاغة والأطباء، والحكماء، والمتطببين، والجرائحيين، والعطارين، وقطافي الزباد، والزبدانيين، والتراجمة، وبعض المهن المتعلقة بالمواد الغذائية كالذباح، والقصاب، والجزار، والكرشي، والملاح، والزيات، والطباخ، والخمار، والمدولب في الطواحين، فضلاً عن أصحاب المهن الخاصة بالثياب والملابس، والمظهر العام "المزين - الحلاق" والنظافة الشخصية "الحمامي"، وأرباب الملاهي، دون أن يتقيدوا بمهنة واحدة. وإنما وجد بينهم من انتقل بين أكثر من حرفة أو جمع بين أكثر من حرفة في وقت واحد، وبغير أن يكون لقاعدة التوارث المهني دخل فيها)[١]. أي حدث تمازج وتداخل بين المصريين واليهود. فلقد دخل عدد كبير من اليهود في الإسلام، كما بدأ يحدث تزاوج بين المصريين واليهود؛ إذ تمدنا بعض الوثائق في العصر العثماني بوجود عدد من الزيجات المختلطة بين المسلمين واليهود، مما يؤكد "عدم انعزال اليهود عن مجتمعهم، وتنفي عنهم، مع غيرهم، شبهة ظهورهم ككيان متقوقع أو مغلق على ذاته بمنأى عن المحيط الاجتماعي"[٢].

ولقد استمرت روح التسامح هذه بين المصريين واليهود، واختلاط اليهود في النسيج الاجتماعي المصري، للدرجة التي أصبحوا فيها جزءًا لا يتجزأ من المجتمع المصري، يساهمون في بنائه والنهوض به شأنهم في ذلك شأن غيرهم من المسلمين والمسيحيين. وقد ظلت هذه الروح حتى نهاية القرن التاسع عشر، أي مع محاولات تأسيس دولة إسرائيل. ومما يؤكد سيادة روح التسامح هذه في القرن

---

(١) محسن علي شومان، المرجع السابق، ص ٣٥٧.
(٢) المرجع نفسه، ص ٣٠.

التاسع عشر، ما ذكره المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم، حينما أشار إلى الوضع الديني الاجتماعي لليهود في مصر بقوله: "ولليهود ثمانية معابد بحيهم بالقاهرة. وهم يتمتعون بالتسامح الديني، ويخضعون لحكم أقل تعسفًا في مصر منه في أي بلد أخرى من بلدان السلطنة التركية"[1]. ولكن مع بدايات القرن العشرين بدأت هذه الصورة تأخذ في التغير. فالصورة التي سيطرت على اليهود حتى قبل ذلك التاريخ هي صورة اليهودي البخيل المحب لجمع الأموال، والتاجر الحريص على زيادة دخله. وقد حلت محل هذه الصورة صورة اليهودي المغتصب لحقوق الآخرين، وهو ما عكسه الوجدان الشعبي في حكاياته وسيره وأغانيه الشعبية. والسؤال الذي يطـــرح نفسه: إذا كـــان المسيحيون واليهود يمثلان فئة واحدة، هي "أهل الكتاب" أو "أهل الذمة"، وكانا يعاملان المعاملة نفسها، لماذا ربط المصريون اليهود - دون المسيحيين - بهذه الصفات السلبية، في حين لا نجد صورة سلبية عامة ثابتة ومستقرة عن المسيحيين في ذهن الجماعة الشعبية، شأنهم في ذلك شأن المسلمين؟ ثم - وهذا هو الأهم - لماذا أقبل المصريون - في فترات ما قبل الإسلام - على المسيحية بوصفها دينًا، في حين لم يقبلوا على اليهودية؟

والسؤال الأخير ليس سؤالاً جديدًا، بل سبق أن طرحه المصري القديم، فـــ "في معركة حامية، قديمة، بين كاتبين، أحدهما مصري والثاني يهودي، الأول عالم إسكندراني اسمه "أبيون" والثاني الكاتب المؤرخ اليهودي الشهير "يوسيفوس" وكان ذلك بعد المسيح عليه السلام بحوالي ثمانين سنة، ومصر آخذة بالالتزام المسيحي نصًا وروحًا. في هذه المعركة سأل الكاتب المصري المؤرخ اليهودي: لماذا أقبلت مصر على الدين المسيحي ولم تقبل على الدين اليهودي؟.... "[2]. أما عن السؤال الأول ففي رأيي أن هذه المسألة تعود إلى الانتماء. فالمسيحيون هم جزء من نسيج

---

(١) إدوارد وليم لين: المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم، ترجمة: عدلي طاهر نور، الجزء الثاني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ذاكرة الكتابة، ط ٣، ١٩٨٨م، ص ٢٢٩.

(٢) زكريا الحجاوي: المرجع السابق، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

هذا المجتمع، لم يقل انتماؤهم، ولم يضعف في يوم من الأيام. أما بالنسبة لليهود فلم يعرفوا هذا الانتماء، لأنهم اعتمدوا على التجارة، والتجارة تعني كثرة الترحال وعدم الاستقرار، وهو ما يؤكده الأصل اللغوي السيِّىء لكلمة "عبراني" في الحضارات القديمة. فكلمة عبراني تقابل "عند المصريين القدماء كلمة ***Habiru***، وعند البابليين ***Khebirru***، ولو أن هذه وتلك تعني – في رواية – البدو أو اللصوص أو المرتزقة، كما وصفهم أعداؤهم في كنعان؛ إشارة إلى طبيعتهم كرعاة متخلفين حضاريًا بالنسبة لهم". وهو ما يعني عدم وجود انتماء لدى اليهود إلى مكان بعينه، بل يتمثل انتماؤهم الوحيد إلى المال؛ وبالتالي لم يكن لديهم انتماء إلى مصر، وهو ما أدركه المصريون، فانعكس في أدبهم الشعبي. أما بالنسبة إلى المسيحيين فإن الذاكرة العربية تحتفظ لهم في طياتها بمواقف تاريخية كثيرة دافع فيها المسيحيون إلى جانب المسلمين عن مصر وعن العالم العربي. كذلك فإن الذاكرة الشعبية تحفظ أيضًا أحاديث نبوية بعضها صحيح وبعضها ضعيف، تؤكد عمق العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، والتي منها أن من علامات القيامة الكبرى قيام حرب بين اليهود والمسلمين، وسيساعد المسيحيون المسلمين في هذه الحرب، التي ينتصرون فيها على اليهود؛ بفضل مساعدة المسيحيين لهم[1]. من هنا يأتي نفور الجماعة الشعبية العربية من "اليهودي" واستكانتها إلى "المسيحي"، وهي استكانة تاريخية سبق أن عالجها الجاحظ في رسالته "في الرد على النصارى"، الذي لاحظ تفضيل

---

(١) فلقد ورد في الصحيحين: "حدثنا قتيبة بن سعيدحدثنا يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبيء اليهودي وراء الحجروالشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". وهذا الحديث تشيع روايته بين الناس وقت احتدام الأزمات بين العرب وإسرائيل. ولقد أضافت الجماعة الشعبية على هذا النص مساعدة المسيحيين للمسلمين في هذه الحرب، وهو ما يقارب بين المسلمين والمسيحين من ناحية، ويزيد من حدة الصراع بين المسلمين واليهود من ناحية أخرى.

المسلمين للنصارى على اليهود، مبررًا ذلك بأن ذلك من خطأ العوام[1]، وهو تفسير نخبوي فوقي لا يلمس عمق الظاهرة. غير أن المهم هنا هو إشارة الجاحظ إلى قدم تلك الروح التي تربط المسلمين بالمسيحيين، وتجذرها في عقلية الجماعة الشعبية العربية وقلوبهم.

وتنبغي الإشارة إلى أن صورة اليهودي على نحو ما تم تصويرها في التاريخ الاجتماعي العربي والإسلامي منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث، لم تكن بمعزل عن نظيرتها في المجتمعات الأوربية، بل لا أغالي إذا ما قلت إن صورة اليهودي التي تم توضيحها في المجتمع العربي كانت أكثر إنصافًا لليهود، وتقديرًا لهم عن نظيرتها في المجتمع الأوربي. فعلى سبيل المثال، تعرض اليهود في المجتمع الإنجليزي للاضطهاد؛ لأنهم رفضوا الانصهار في المجتمع. كما أن الإنجليز منعوهم من الانضمام إلى نقابة الحرفيين في القرون الوسطى، أو الاشتغال بالزراعة أو الالتحاق بالوظائف الحكومية، ولم يجد اليهود أمامهم سوى الاشتغال بالأعمال المصرفية؛ الأمر الذي مكنهم من الثراء واكتناز الأموال الضخمة، تلك الأموال التي دأب الملوك على اقتراضها، ثم مصادرتها أو الاستيلاء عليها عن طريق فرض المكوس والضرائب الباهظة. وكان كلما حلت أزمة مالية بالمجتمع الإنجليزي، يلجأ الملوك إلى فرض قيود على أموال اليهود، على غرار ما فعله الملك إدوارد الأول - عندما واجهته أزمة مالية - استن قانونًا يحرم على اليهود الاشتغال بالربا، ويسمح لهم بالاشتغال بالأعمال الصغيرة والحرف والزراعة. ولقد حرمت عليهم الأراضي البريطانية لمدة ٣٧٤ سنة، وذلك في الفترة ما بين ١٢٩٠م حتى عام ١٦٥٦م، باستثناء حالات قليلة كانت العائلة الملكية تستقدم فيها أطباء

---

(١) راجع مناقشة سيد ضيف الله لمسألة تفضيل الجماعة الشعبية "المسلمة" للنصارى على اليهود، ومحاولة فرض هيمنة سلطوية نخبوية؛ تستهدف تغيير تلك النظرة الشعبية من قبل النخبة المثقفة، التي كان من مصلحتها نبذ الآخر الديني؛ لتحقيق مصالح شخصية. (المرجع نفسه، ص ١٠٣، ١٠٤).

يهودا، ورغم ذلك فإن هؤلاء الأطباء قد تعرضوا للاضطهاد والازدراء من قبل الإنجليز. وقد ساعدهم على ذلك تغلغل صورة نمطية غاية في السوء عن اليهودي، استمرت حتى العصر الحديث؛ حيث ظهرت صورة نمطية عنه، وهي صورة شيطانية مفزعة أحيانًا، وتبعث على الضحك أحيانًا أخرى. وهي صورة اتّسمت ببعض الخصائص فهي إما لرجل بخيل مقتر كثير التلويح والتشويح بيديه، وشهواني يملك طاقة جنسية هائلة، أو لرجل مخنث بصورة تدعو إلى الانزعاج، وهو ما عكسه أدب القرون الوسطى. ثم بدأ اليهود تدريجيًا في العودة إلى إنجلترا فـــي الفترة من ١٣٦٠م حتى ١٦٦٤م، غير أن وجودهم فيها لم يكن له أية شرعية أو صفة قانونية، الأمر الذي اضطر الملك تشارلز الثاني إلى اتباع سياسة قبولهم في البلاد بهدوء، ودون إثارة أية مشاكل أو عقبات قانونية. وفي عام ١٧٣٥م تقدم البرلمان الإنجليزي بمشروع منح الجنسية الإنجليزية لليهود المقيمين في إنجلترا لمدة ثلاثة أعوام أو أكثر، وبالسماح لليهود المتجنسين بالجنسية الإنجليزية بامتلاك الأراضي. غير أن هذا المشروع تسبب في إثارة أعمال العنف والشغب بين الجماهير الإنجليزية الساخطة. وقد اضطر هذا الحكومة الإنجليزية إلى سحب اقتراحها. وعندما حدث اضطهاد لليهود في روسيا وأوربا الشرقية، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فإنهم هاجروا إلى إنجلترا في هدوء ومداراة؛ حتى لا يجلبوا على أنفسهم ثورة الإنجليز. ولما تزايدت أعداد اليهود المهاجرين في إنجلترا، دبت الشحناء بين الإنجليز واليهود، متخذة شكلاً عرقيًا ودينيًا، أي بين المسيحية واليهودية، أو بين اليهود وغير اليهود؛ مما أدى إلى استحالة اندماج اليهود في المجتمع الإنجليزي[1]. وتفاديا لهذه المشكلة فكان تفكير إنجلترا في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين؛ حتى يتقوا شر اليهود. غير أنه ينبغي الإشارة إلى أن هذا "الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوربا الوسيطة

(١) نقلاً بتصرف عن د. رمسيس عوض: اليهود في الأدب الإنجليزي من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ص ٥، وما بعدها.

والحديثة لا يرجع إلى التعصب الديني وحده بقدر ما يرجع إلى طريقة حياة اليهود وانعزالهم، وطبيعة حرفهم الابتزازية، ومركب إحساسهم المتضخم بأنفسهم وادّعاءاتهم بالتفوق الموهوم"[1].

---

(١) د. جمال حمدان: مرجع سابق، ص١٦٧.

(٢)

صورة اليهودي في عدد من الأنواع الأدبية الشعبية العربية

إذا كانت هذه هي صورة اليهودي على نحو ما قدمها التاريخ الرسمي العربي، عبر عصوره المختلفة، فإن الصورة لم تختلف كثيرا في الأدب الشعبي؛ إذ جاءت متوازية مع ما قدمته الوثائق التاريخية. ففي الوقت المعاصر، يشيع في مجتمعنا المصري عدد من التعابير الشعبية التي تحمل في طياتها صورة سلبية ووصفا لطبائع الإنسان اليهودي، منها قولهم "دا انت يهودي"، أو "تقولشي البعيد يهودي" وهو تعبير يدل استخدامه - في مصر وفي عدد كبير من المجتمعات العربية والعالمية - على البخل الشديد أو الإنسان الذي لا يسعى إلا إلى مصلحته الشخصية، متجاهلاً مصالح الآخرين، بل يسعى إلى إلحاق الأذى بهم، من خلال المكر والخداع. كذلك كان يشيع في ريفنا المصري - وحتى وقت قريب - شخصية "السَّمَّاوي"، وهي شخصية كانت تستخدم لتخويف الأطفال وإلقاء الرعب في نفوسهم، على غرار شخصيات أخرى ارتبطت بالوظيفة نفسها، مثل "أبو رجل مسلوخة"، و"أمنا الغولة". غير أن شخصية "السَّمَّاوي" - التي تنسب إلى السم، ومنها قولهم "دا أنت سم" - تربطها العجائز في الريف المصري باليهودي. وهو ما يؤكده الحجاوي بقوله: "كان المصريون، في الريف، إلى أجيال قريبة، يعتقدون في أسطورة، يستعملونها في تخويف الأطفال من الابتعاد عن القرية، أو عن البيت، في المدينة، حتى لا يخطفه (السَّمَّاوي). والعجائز يصفون السَّمَّاوي، خاطف الأطفال بأنه.. اليهودي، بحيث تتمثل الخيانة واللؤم وتعذيب البشر، في إنسان واحد، هو اليهودي"[١].

---

(١) زكريا الحجاوي: حكاية اليهود، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشعبية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ١١٠.

كما يشيع في المجتمع المصري – وبالطبع العربي أيضًا – الكثير من الأمثال الشعبية التي ترسخ للصورة نفسها لليهود. من هذه الأمثال "احتاجوا لليهودي، قال اليوم عيدي"، فمعروف أن اليهود لا يعملون في أعيادهم، خاصة يوم السبت، والمثل يؤكد أن اليهودي كلما طلبت منه قضاء شيء ما، يبحث لك عن الأعذار المصطنعة الواهية، بأن ذلك اليوم هو يوم عيده، حتى لو لم يكن عيدًا، وإنما هي رغبة اليهودي في عدم قضاء حوائج الناس، والبحث عن علة دينية مصطنعة، أي فكرة التلاعب بالدين، وتوظيفه توظيفًا نفعيًا؛ لقضاء منفعة دنيوية شخصية. ولقد أورد الراغب الأصفهاني المثل برواية أخرى في كتابه "محاضرات الأدباء"، بقوله: "أحوج ما تكون إلى اليهودي يقول اليوم السبت"، وليس بالضروري أن يكون ذلك اليوم الذي تطلب فيه مساعدة ما، أنت أحوج ما تكون فيها إليه، هو يوم السبت، ولكنها الحيلة والرغبة في عدم تقديم يد المساعدة للمحتاج. ومن الأمثال أيضًا التي ترسخ لعدم رغبة اليهود في المساعدة، وأنهم لا يرغبون في ذلك، المثل الشعبي القائل: "زي ساعي اليهود.. ما يودي خبر ولا يجيب خبر". وعن أكاذيب اليهود ومزاعمهم الباطلة، فقد ألصق الوجدان الشعبي المصري هذه الصفة بهم، فقال: "زي قراية اليهود.. تلتينها كدب"، ومعروف أن القراءة هنا ترتبط بقراءة الكتب المقدسة، والمثل يقال للشخص الكثير الكذب، فتقرنه باليهودي الذي يقرأ من التوراة، ويكذب على الله والناس. ولأن ظاهر اليهود – كما يرى المصريون – غير باطنهم، فكثيرًا ما ردد المصريون أمثالاً شعبية تؤكد تلك الصفة، مثل: "زي تُرَب اليهود.. بياض على قلة رحمة"، أو "زي قبور الكفار.. من فوق جنينة، ومن تحت نار"، وكقولهم "زي اليهود.. وش نضيف، وجبة زي الكنيف"[1]. فكلها أمثال تؤكد أن ظاهر اليهود غير باطنهم، فهم يقابلونك بوجه نظيف وجميل ومبتسم، ولكنهم يضمرون بداخلهم السوء للآخرين، فداخلهم سيء مثل سوء المرحاض. كما تؤكد الأمثال أن مصير كل اليهود – مهما فعلوا – هو النار. وبالتالي فإذا كان لأغنياء اليهود النصيب في الاستمتاع بالحياة الدنيا، فإن فقراءهم

---

(١) الكنيف: هو المرحاض

فقدوا الاستمتاع بالحياتين معًا، فبحكم فقرهم فقدوا حق الاستمتاع بالدنيا، وبحكم أعمـــالهم، فإن مصيرهم "جهنم"، على نحو ما يقول المثل الشعبي "زي فقرا اليهود.. لا دنيا ولا آخرة". وهو الأمر الذي أدي إلى نفور المصريين منهم، وقد وصل حد النفور إلى أكثر المهن احتقارًا في المجتمع، وهي مهنة الدعارة، فثلاثة لا تضاجعهم المرأة الداعرة أو المومس، وبالطبع يأتي اليهودي على رأسهم ولقد أدرك المصريون حرص اليهود على جمع المال؛ ومن ثم بخلهم الشديد، فكثر الحديث عن حرص اليهود المادي، وفقراء اليهود وأغنيائهم، فانعكس ذلك في أمثالهم، وهو ما توضحه الأمثال التالية:

"أفلس من اليهودي يوم السبت"، فاليهود لا يتعاملون بالنقود يوم السبت.

"زي فقرا اليهود.. لا دنيا ولا آخره".

"عامل زي اليهودي لما يفلّس.. يدور في دفاتره القديمة" ويعلق أحمد تيمور على ذلك المثل بقوله: "فاليهودي في حال الرخاء يكون مشغولاً بما هو أهم، وعند الإفلاس يعود إلى التنقيب في دفاتر حسابه القديم، وقد خص المثل اليهود بالذكر لأن أكثر المقرضين منهم"[1]. ومن أمثال فصحاء المولدين، التي ينقلها أحمد تيمور "إذا افتقر اليهودي.. نظر في حسابه العتيق / ص٤٢٦". كما أن الوجدان الشعبي العربي يقرن اليهودي بالتخريب والدمار، فحسب ما يقول المثل الشعبي: "اليهودي والقرد يخربوا مدينة" .

كما انعكست تلك الصورة السلبية لليهودي في نوع أدبي شعبي آخر، هو النكتة الشعبية. حيث يتناقل الوجدان الشعبي المصري الكثير من النكات التي تسخر من بخل اليهود وحرصهم الشديد، كتلك التي تقول إنه "كانت هناك منافسة في الغطس تحت الماء بين ثلاثة، كان أحدهم مسلمًا والثاني مسيحيًا والثالث يهوديًا،

---

(١) أحمد تيمور: الأمثال العامية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦م، ص٤٢٥.

على أن الشخص الذي يجلس أطول فترة تحت الماء سيحصل على ريال[1]. فخرج المسلم بعد نصف دقيقة، ثم تبعه مباشرة المسيحي، أما اليهودي فلم يخرج حتى الآن". ويعلق الراوي الشعبي المصري:

"لقد فضّل اليهودي أن يخسر حياته عن أن يخسر الريال".

أو كالنكتة الشعبية التالية: "كان فيه مرة واحد يهودي ساعاتي اسمه كوهين أبوه مات، ووصاه قبل ما يموت إنه ينشر نعيه ف الجرنان. فراح اليهودي فحب يختصر الكلام علشان ما يدفعشي كتير. فقال لهم: "مات فلان الفلاني" فقالوا له مش هتدفع ف الخبر أقل من كذا، فممكن تضيف جملة ف النعي، فقال لهم: خلاص قولوا: "مات فلان الفلاني وابنه كوهين بيصلح الساعات".

وفي مجال الأغنية الشعبية، نجد موقفًا شعبيًا ضد اليهود، على نحو ما تمثله الأغنية التالية:

في حلل للّي.. خلّي طبخ لي حلاوة

في حلل للّي.. وانا من صغر سني ف مصر باغني

طلعت عليّه اليهود بالسيف هتقتلني

حزنت عليّه شوارع مصر والستّات

أمي تقول دا غرق واختي تقول دا مات

وبنت عمي تقول دا ف حضن غيري بات

اللسمر خطبني واللبيض قبّض الجنيهات[2]

---

(١) الريال: عملة مصرية، قدرها عشرون قرشًا، أي خُمس الجنيه المصري.

(٢) الأغنية لراوية امتنعت عن ذكر اسمها، عزبة البرنس، مركز إطسا، محافظة الفيوم، تم التسجيل مساء السبت ١٦- ٩-٢٠٠١م.

فالأغنية تصور اليهود بوصفهم مغتصبين للعرض والشرف ولأرواح المصريين، بل بأنهم مغتصبون للفرحة والسعادة للمصريين. فهؤلاء النسوة اللاتي تسيطر عليهن الفرحة والبهجة مذ نعومة أظافرهن، قُتلت هذه الفرحة ووئدت على أيدي اليهود، الذين يتربصون بالمصريين، فهم مصدر الرعب والقلق في المجتمع العربي.

إذًا فلقد انعكست هذه الصورة لليهودي بكل ما تنطوي عليه من معانٍ سلبية في كل الأنواع الأدبية الشعبية العربية. وهذه الصورة السلبية النمطية ليست وليدة اللحظة الراهنة، وإنما تم استخلاصها عبر أزمنة وعصور سابقة، ناشئة عن احتكاك واندماج مستمر بين اليهود والعرب في شتى مناحي الحياة، في مجتمعات عربية وإسلامية مختلفة. فلقد (تراكمت عبر العصور مجموعة من الحكم والأمثال والمأثورات الشعبية عبَّرت عن موقف ديني معين، ممزوج بخبرة التعامل مع اليهود فهم: كفار – ملاعين – لاعبون بالتوراة – عقيدتهم فاسدة وقراءتهم كاذبة، يتميز الواحد منهم بالحرص والبخل الشديد، وهو مستغل نهاز للفرص، وهي صفات مرذولة بالغ البعض في تجسيمها وتضخيمها، كالقول بأنهم عديمو النفع لا فائدة ترجى من ورائهم، وتجاوزوا في ذلك إلى حد السخرية منهم ونعتهم بأنهم أشباه "القرود")[1]. ولقد برر المستشرق الفرنسي دي بوا – إيميه ترسيخ هذه الصورة عالميًا عن اليهودي، أو فيما أسماه بالنقائض التي تُعاب عليهم، إلى عدد من الأسباب، تمثلت في: "حالة الإذلال التي انتهوا إليها في كل مكان، وحيث إنه لا دور لهم في إدارة شئون الدولة، كما أنه ليس بمقدورهم أن يمتلكوا الأراضي، ولا أن يتمتعوا بحرية العمل الحقلي، تلك التي تربي الروح والوجدان، بل ولأنهم – فوق ذلك – يضطرون لأن يقيموا في أحياء منفصلة في داخل المدن، تُغلق عليهم بواباتها كل مساء، وأن يعيشوا فيها مكدسين، بعضهم فوق الآخر، وألا ينخرطوا

(١) محسن علي شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثاني، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٣.

في أي فن شريف، فلم يعد يتبقّلهم من عمل يقومون به إلا أن يشتروا وأن يبيعوا"[1].

وسيعالج الفصل الثاني – من هذا الكتاب – محاولة التعرف على حقيقة صورة اليهودي في الحكايات الشعبية بين المدوّنة والشفاهية؛ وكذلك فى القصص الشعبيى الغنائي؛ ومن ثم فسأتوقف عند عدد من قصص التراث العربي المدوَّن في أشهر كتبه "ألف ليلة وليلة"، أو في أشهر تفاسيره الدينية، مقارنًا إياها ببعض الحكايات الشعبية الشفاهية التي قمت بجمعها من ريف مصر، والتي كان فيها "اليهودي" مادة وموضوعا أساسيا فيها، مثل حكاية "تاجر الملح"، وحكاية "اللي يزعل هاسلخ وشه"، وحكاية "الكريم والخواجه والديب والحية".

---

(١) دي بوا – ايميه: كيف خرج اليهود من مصر القديمة؟ الدراسة التاسعة، موسوعة وصف مصر، ج ٢، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢، ص ٣١٤.

الفصل الثاني

صورة اليهودي بين القصص الشعبي المدوَّن والشفاهي

(١)

صورة اليهودي في القصص العربي المدوَّن

أسعى – في هذ الفصل – إلى تقديم الصورة التي رسمتها بعض المدوَّنات العربية التراثية لليهود، وسأقتصر هنا على اختيار ثلاثة قصص من ألف ليلة وليلة، وبعض القصص التى تعرضت لليهودى في كتب التفاسير. وكذلك سيتم التوقف عند عدد من الحكايات الشفاهية، والقصص الشعبي الغنائي، للتعرف على صورة اليهودي فيها، ومدى التقائها أو اختلافها عن صورته في المدونات الشعبية.

(١ – ١)

صورة اليهودي في حكاية "أحمد الدنف وحسن شومان مع الدليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة"

وهي الحكاية التي اشتهرت بحكاية " عليّ الزيبق المصري"، والتي استقلت بسيرة مستقلة، تحمل الاسم نفسه. فقد تعددت الشخصيات اليهودية في هذه الحكاية، وأول هذه الشخصيات هي شخصية "عذرة اليهودي الصائغ / الجواهرجي". وهو يهودي طمّاع غيور، فكان يغار من جاره الجواهرجي، إذا باع شيئًا وهو لم يتمكن من البيع مثله، فهذا اليهودي كان "صاحب مال كثير وكان يحسد جاره إذا باع بيعة ولم يبع هو..."[١]. وكانت طبيعة شخصية عذرة اليهودي – بأطماعه وحسده –

---

(١) ألف ليلة وليلة، المجلد الثالث، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ص٢٢٠.

مدخلاً لـ"دليلة النصابة" كي تحتال عليه، فحدث أن احتالت على زوجة شاه بندر التجار واصطحبت ابن شاه بندر إلى محل صاغة اليهودي، الذي كان يعرفه جيدًا، فاحتالت عليه وأخذت منه مصاغا بألف دينار، مُدعّية أنها لابنة الشاه، مقابل أن تركت ابن شاه بندر التجار رهينة. وعندما جاءه الشاه ليصطحب ابنه – بعد أن عرف أن ابنه عند اليهودي – طالبه اليهودي بالألف دينار، فأجابه الشاه بأن هذه العجوز/ دليلة النصابة احتالت عليه، فابنته لا تحتاج ذهبًا أو مصاغًا. فما كان من اليهودي إلا أن يستنجد بالخليفة "الله ينصر فيك الخليفة"، ثم يستجير بالمسلمين، "فصرخ اليهودي وقال أدركوني يا مسلمين /ص٢٢١". ثم انضم إلى بقية الأشخاص الذين احتالت عليهم فيما قبله، وهم: الحمّار، وابن التاجر، والصبّاغ؛ للبحث عنها؛ فقام اليهودي بالتخطيط لهم، بأن يذهب كل واحد منهم من طريق، ثم يلتقوا في ساعة معينة عند دكان الحاج مسعود المزيِّن المغربي، لأنهم لو ذهبوا بجملتهم في طريق واحد بحثًا عنها، فلن يتحقق المراد من البحث. وبالفعل عثر الحمّار عليها في أحد الطرق. وبعد عدد من الحيل التي فعلتها دليلة معهم، ثم مع الوالي وزوجته، ثم مع البدوي، ثم مع المقدمين أنفسهم، خاصة عليّ الزيبق، انتهى الأمر بأن أخذت دليلة الأمان من الخليفة – بعد وساطة المقدَّم حسن شومان، مُقدَّم درك بغداد – فسلّمت نفسها إلى الخليفة، وأعادت ما سبق بعد أن استولت عليه إلى أصحابه.

والملاحظ – هنا – أن شخصية عذرة اليهودي لم تكن شخصية لها هذا القدر من التأثير في الأحداث، فهو مجرد واحد من أشخاص عديدين، احتالت عليهم "دليلة النصابة". كان الطمع والحقد والحسد، أهم صفاته التي ساهمت في إنجاح مهمة دليلة، ثم إن مهنته بوصفه "جواهرجيًا أو صائغًا"، من المهن التي ارتبطت باليهود منذ قديم الأزل، حتى وقتنا الراهن. لم تحرك اليهودي – إذًا – دوافع دينية ضد المسلمين، فهو يعيش في حمى المسلمين وخليفتهم، وعندما لحقه أذى من جراء دليلة المحتالة، راح يستجير بالمسلمين "أدركوني يا مسلمين"، كما استجار بالوالي،

ثم بالخليفة. فهو يدرك أن هذه وظيفة المسلمين، الذين يعيش في حماهم، ويدفع إليهم الجزية بانتظام. كما أن هذا اليهودي لم يلحق أذى بأحد من المسلمين، ولكنه احتيل عليه، شأنه شأن غيره من المسلمين، الحمّار، وابن التاجر، والمزيّن المغربي، والصبّاغ.

تُقابلنا في الحكاية نفسها شخصيتان يهوديتان أخريان، هما عذرة اليهودي وابنته قمر. فأما عذرة – هنا – فهو عذرة ذلك الساحر اليهودي، وليس عذرة الصائغ، الذي احتيل عليه في بداية الحكاية. فلقد وقع الشاطر عليّ الزيبق في غرام زينب ابنة دليلة المحتالة، فلما تقدم إليها بهدف الزواج، اشترط عليه خالها زريق أن يكون مهرها "بدلة قمر بنت عذرة اليهودي وحوائجها". فقبل عليّ الزيبق هذا الشرط، الذي كان فيه مغامرة كبيرة بحياته. فعذرة اليهودي "ساحر مكّار غدّار يستخدم الجن وله قصر خارج المملكة حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة وذلك القصر ظاهر للناس مادام قاعدا فيه ومتى خرج منه فإنه يختفي، ورزق ببنت اسمها قمر وجاء لها بهذه البدلة من كنز فيضع البدلة في صينية من الذهب ويفتح شبابيك القصر وينادي أن شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم كل من أخذ البدلة تكون له، فحاول بالمناصف سائر الفتيان فلم يقدروا أن يأخذوها وسحرهم قرودا وحميرا فقال عليّ لا بد من أخذها وتتجلى بها زينب بنت الدليلة المحتالة ثم توجه عليّ المصري إلى دكان اليهودي فرآه فظا غليظا..."[1]. توجه عليّ المصري إلى اليهودي بعد مراقبته له، فتعارفا وصارح علي اليهودي بحقيقة أمره، وأراد منه البدلة في سلام، ولكن اليهودي حذره، فلما لم يستجب لتحذيره عليّ، سحره اليهودي، فصار حمارا، وصار يركبه إلى دكانه، ثم باعه لسقّاء، ليحمل عليه الماء، ولكن عليا الذي هو في هيئة حمار، ولكنه مازال يعقل ويسمع، احتال على السقّاء وزوجته حتى أعاداه إلى اليهودي، وأعاد اليهودي إليه أمواله، ثم أعاده

---

(١) ألف ليلة وليلة، ص ٢٤٠.

إلى هيئته الإنسية، ناصحًا إيّاه أن يصرف نظره عن البدلة. غير أن عليا لا يقبل نصيحة عذرة اليهودي، بل يصر على تحقيق هدفه، مما أثار غيظ اليهودي فقال له: "يا عليّ أنت مثل الجوز لو لم تتكسر لم تؤكل/ ص ٢٤٣". فعزّم عليه فقلبه دبًا، ثم ربطه في وتد من حديد وصار يرمي له فضلات طعامه، ويركبه إلى دكانه. ولما جاءه رجل يرغب في شراء دب لزوجته، التي تحب أكل لحم الدب، فوافق اليهودي وأهداه الدب؛ كي يذبحه ذلك الرجل؛ ومن ثم يتخلص اليهودي من علي نهائيًا. وبعد أن يقوم الجزار بسن سكاكينه لذبح علي/ الدب، فإن عليا يتمكن من الهروب منهم، ويعود إلى قصر اليهودي، الذي يعيده إلى هيئته البشرية، فتراه قمر بنت عذرة اليهودي، فتقع في حبه. ويحذره اليهودي للمرة الثالثة، غير أن عليا يصر على هدفه؛ فيسحره اليهودي في هيئة كلب. وصار علي يمشي بين الكلاب؛ ولأنه كلب غريب نبحت عليه كلاب الحي، فقام شخص اسمه "السقطي" بإنقاذه من الكلاب، واصطحبه إلى بيته، فتعرفت ابنته على حقيقة علي البشرية، وكان لها علم بالسحر، تعلمته من جاريتها، التي تعلمته بدورها من سيدها عذرة اليهودي. ولما وقعت ابنة السقطي في حب علي، فأعادته إلى هيئته البشرية الأولى. غير أن جاريتها – التي علمتها السحر – ذكرتها بالشرط الذي اشترطته عليها، وهو ألا تفعل شيئًا من السحر إلا بمشورتها، وأن تتزوج من الشخص الذي تريده هي أن يتزوج بها. ويتمكن علي بمساعدة ابنة السقطي وجاريتها، ثم بمساعدة قمر ابنة اليهودي، أن يعود بالبدلة وحوائجها وبرأس اليهودي، فيتزوج بالفتيات الثلاث، ثم بزينب ابنة دليلة المحتالة.

إن المتأمل لشخصية عذرة اليهودي الساحر – هنا – سيتأمل أنها نمط مختلف عن شخصية عذرة اليهودي الجواهرجي. فعذرة الساحر شخصية شريرة تهوى إلحاق الأذى بالآخرين، بل تتحدى الآخرين بسحرها وشرها "... ونادى اليهودي أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم من أخذ هذه البدلة بشطارته فهي له.../ ص٢٤٠". أي أنه شخصية فاعلة ومؤثرة تأثيرًا سلبيًا في الآخرين،

الأمر الذي أفقده حياته، على نحو تدخّل فيه الدين، فأصبح الصراع بينه وبين الشاطرعلي الزيبق المصري يأخذ اتجاها طائفيا، بين يهودي ومسلم. فاليهودي يلوّح بما يمتلكه من قوة السحر في مواجهة عليّ، الذي اعتمد على قوة العقل والمعرفة، وكانت النتيجة أنْ أعلنت ابنة اليهودي إسلامها، مما ساهم في كتابة النهاية لليهودي. أما شخصية عذرة اليهودي الجواهرجي فهي شخصية مفعول فيها، يتم خداعها لطمعها وحقدها على الآخرين، أي أن دافع الطمع والحقد دفعاه إلى إتمام الخديعة عليه، وهي صفات سيئة، ولكنها إنسانية، فكانت النتيجة أن هب المسلمون والوالي والخليفة، بعد أن استجار بهم؛ لإعادة حقوقه إليه، وقد تم ذلك له؛ لأن الصراع لم يأخذ بعدًا دينيًا.

وتتمثل الشخصية اليهودية الثالثة في هذه القصة، في شخصية "قمر ابنة عذرة اليهودي الساحر". فهي فتاة تمتلك بدلة مذهبة، ولها بعض الحوائج مثل التاج والحياصة والناموسة الذهبية. وقعت في غرام الشاطر عليٍّ المصري، بمجرد أن رأته، بعدما أعاده أبوها الساحر اليهودي من صفة الدب إلى هيئته البشرية، فوقع حبه في قلبها منذ هذه الوهلة، وراحت تستعطف أباها؛ لكي يعفو عنه، واستجاب أبوها لرجائها، شريطة أن يتراجع عن هدفه الذي جاء من أجله، أعني الحصول على بدلتها وحوائجها الذهبية. غير أن إصرار عليّ قوبل برفض من أبيها، وزيادة حب وولع من قبلها للشاطر عليٍّ، فقام اليهودي بتحويله على هيئة كلب. وقد رغبت في مساعدة الشاطر عليٍّ، فراحت تتابع أخباره، حتى عرفت أنه يقيم في منزل السقطي، فذهبت إليه هناك، وعرضت عليهم المساعدة، ولكن ابنة السقطي – التي أساءت استقبالها ليهوديتها، ولكن قمرًا ابنة اليهودي أخبرتها أنها أعلنت إسلامها، ونطقت بالشهادتين أمامها وأمام الشاطر عليٍّ – أخبرتها أن عليا قد عاد إلى هيئته البشرية؛ بفضلها هي وجاريتها. عندئذ أعلنت قمر خبر قتلها لأبيها اليهودي، وأشاحت الغطاء عن رأس أبيها، التي أهدتها مع البدلة وحوائجها الذهبية إلى الشاطر عليٍّ؛ ليوفي بوعده مع دليلة المحتالة وأخيها زريق السمّاك. وتنتهي

الحكاية بزواج الشاطر عليً منها مع الفتيات الثلاث الأخريات (ابنة السقطي – الجارية – زينب ابنة دليلة النصابة).

إن شخصية قمر ابنة الساحر عذرة اليهودي، تختلف عن الشخصيتين السالفتين؛ إذ أنها شخصية أصابها تطور في بنائها، مما انعكس بدوره على بنية الحدث في الحكاية. فشخصيتها تعرفنا عليها من خلال بدلتها الذهبية، التي كانت مطمعًا للآخرين، لم يكن لشخصيتها تأثير في البداية، ولكن البداية الفعلية لدورها في الحكاية يبدأ مع رؤيتها للشاطر عليّ، مما غيَّر في تركيبتها الشخصية، فراحت تفصح عن نفسها وعن رغباتها. فلقد أخذت الحكاية بعدًا دينيًا مع شخصيتها، كشف عنه لقاؤها بابنة السقطي والشاطر عليً – في منزل السقطي – إذ أساء الشاطر عليً استقبالها، وسبها، قائلاً لها: "ما جاء بك هنا يا بنت الكلب/ ص٢٤٤". غير أن الوضع اختلف تمامًا بمجرد أنْ أخبرته بإسلامها، ونطقت الشهادتين، ثم قالت: "أنا جئت أمير نفسي لك بالبدلة والقصبة والسلاسل ودماغ أبي عدوك وعدو الله ورمت دماغ أبيها قدامه وقالت هذه رأس أبي عدوك وعدو الله.../ ص٢٤٤". ولإسلامها وقتلها أباها قصة يحكيها الراوي، فيقول: "وسبب قتلها أباها أنه لما سحر عليا كلبا رأت في المنام قائلاً يقول لها اسلمي فأسلمت فلما انتبهت عرضت على أبيها الإسلام فأبى الإسلام بنِجته وقتلته فأخذ عليٌّ الأمتعة.../ ص٢٤٤". أي أن شخصية عذرة اليهودي – (الأب، وهو يرمز إلى الأجيال اليهودية القديمة التي تحمل حقدًا وكرهًا للإسلام، وتفاخرًا بيهوديتهم) – كانت سببًا في إشعال نار الفتنة الطائفية بين المسلمين واليهود، رغم كل ما حظي به اليهود من حسن معاملة وحرية دينية في ظل حكام الدول الإسلامية المتتابعين على مصر والعالم العربي. والمتأمل لنهاية هذه الحكاية، أعني إعلان قمر لإسلامها، يذكرنا بالقصص الديني الوعظي، الذي يستهدف غاية وعظية، على غرار قصص الرسول "صلى الله عليه وسلم" مع اليهود، التي تبدأ باختلاف ديني، وتنتهي بإعلان غير المسلم لإسلامه.

(١-٢)

صورة اليهودي في حكاية "مسرور التاجر مع معشوقته زين المواصف"

اليهودي – هنا – ليس له اسم، ولم يُفصح الراوي عن يهوديته في بداية القصة. فهو معروف بأنه زوج زين المواصف، تلك الزوجة التي عشقت التاجر مسرور، وعشقها مسرور، فضحى من أجلها بكل ما يملك من أموال؛ ليتحقق مراده بالوصال معها. وعاشا في رغد من العيش، حتى عودة اليهودي – زوج زين المواصف – من سفره، فاتفق العشيقان على خداع الزوج/ اليهودي. فتردد العشيق مسرور التاجر على محل عطارة اليهودي أكثر من مرة، حتى اطمأن إليه الزوج، فعرض العشيق عليه أن يشاركه في مشروع ما، فرحب اليهودي، ودعاه إلى منزله، فنجحت – بذلك – خطة العشيقين، في أن يتم الوصال بينهما. وكنوع من إكمال الخديعة على الزوج، ادَّعت الزوجة أنها لا ترغب في الظهور أمام ذلك الأجنبي، فصدقها زوجها اليهودي، ولكنه أقنعها بضرورة الظهور أمامه، وأنه لا مانع من ذلك، فظهرت أمامه. غير أن اليهودي بدأ يشك في سلوك زوجته مع عشيقها، من خلال طائر هزاز عنده في المنزل، كان يألفه، فلاحظ انصراف الطائر عنه، ووجود ألفة بين ذلك الطائر وبين مسرور التاجر. فدبر لهما اليهودي حيلة ليتأكد من خيانتهما له، وقد ساعده في ذلك نفور الطائر الهزاز منه، وارتباطه بالتاجر مسرور. وتمثلت الحيلة في أن يُخلي المنزل للعشيقين، على أن يقوم بمراقبتهما من خلف الباب، دون أن يشعرا به، فتأكد من خيانة زوجته له مع التاجر مسرور. لذلك لجأ الزوج اليهودي إلى حيلة التفريق بينهما، من خلال الرحيل من المكان إلى مكان آخر، لا يعرفه العشيق. غير أن زين المواصف قامت بإعلام عشيقها من خلال أبيات كتبتها على باب منزلها، فلما قرأ العشيق الأبيات وعرف ما لحق بعشيقته، قرر اللحاق بهما، وبالفعل لحق بهما، ثم أغشي عليه بسبب صعوبة الموقف. رحلت العشيقة مع زوجها، ثم راحت تراسل عشيقها من مكانها الجديد،

فلما عرف الزوج أمر هذه المراسلات بين العشيقين، من خلال حيلة، قرر الرحيل إلى مكان آخر. ولما عرف باستمرار المراسلات بينهما قام بوضع القيود في أيدي زين المواصف وأختها، التي كانت تنقل الرسائل بينهما، والجارية هبوب، وطلب الزوج اليهودي من الحداد أن يصنع قيودًا قوية لهن، فلما رأى الحداد زين المواصف وقع حبها في قلبه، فخفف القيود عليهن. وتوسط لينقل الخبر إلى قاضي القضاة، الذي تعاطف معهن. ثم تمكنت زين المواصف من اللقاء بقاضي القضاة، والقضاة الأربعة، بعد أن تزينت في أفخر الثياب، وتعطرت بأجمل العطور، وقامت بمخادعتهم، بأن أوحت إلى كل واحد منهم بأنها تميل إليه وتعشقه، فتعاطفوا جميعا معها؛ أملاً في الوصال معها. وانتهى الأمر بفضح أمر ذلك اليهودي الذي نهب حق هذه الأسرة المسلمة، وفرض على زين المواصف العيش معه، فخضعت له، فلما افتضح أمر اليهودي، في المدينة، فقال القضاة "... ارموا هذا الكلب على الأرض وانزلوا على وجهه بنعالكم واضربوه ضربًا وجيعًا فإن ذنبه لا يغتفر فنزعوا عنه ثيابه الحرير وألبسوه ثيابًا من الشعر وألقوه على الأرض ونتفوا لحيته وضربوه ضربًا وجيعًا على وجهه بالنعال ثم أركبوه على حماره وجعلوا وجهه إلى كفله وأمسكوه ذيل الحمار في يده وطافوا به حول البلد حتى جرسوه في سائر البلد ثم عادوا به إلى القاضي وهو في ذل عظيم..."(١). وحكم القضاة بإعادة الحق إلى أهله، فأخذوا منه كل ماله، وقاموا بالتفريق بينه وبين زين المواصف، ثم حكموا عليه بالحبس.

إن الراوي في هذه الحكاية راوٍ مخادع؛ إذ لا نملك أن نحكم على اليهودي ما إذا كان غاصبًا أو مغتصبًا، كما لا نستطيع أن نحكم على زوجته زين المواصف فيما إذا كانت ظالمة أو مظلومة. فالراوي - ربما بحكم محاولة بث التشويق والإثارة - لم يقدم معلوماته دفعة واحدة، فهو لم يعرفنا بيهودية زوج زين المواصف

---

(١) ألف ليلة وليلة: المجلد الرابع، ص ٧٦.

في بداية القصة، ثم فجأة أخذت القصة بعذا دينيًا، فأخبرنا الراوي أن زوجها يهودي أما عشيقها فهو نصراني، ولا يحق ليهودية أن تخجل من الظهور أمام نصراني من غير ملتها؛ إذ قال لها زوجها: "لأي شيء تستحين منه وهو نصراني ونحن يهود /ص ٦٤" ولكن في النهاية تأخذ الحكاية بعذا دينيًا، يتبدى في الصراع الديني بين المسلمين – على اختلاف طوائفهم – والزوج اليهودي. فيخبرنا الراوي أن زين المواصف ليست يهودية، بل مسلمة، فهي تنتمي إلى أسرة مسلمة، وكان ذلك اليهودي على شراكة تجارية مع أبيها، الذي ما إن مات إلا وقد طمع هذا اليهودي في مال ذلك المسلم' فأخذ المال ورحل إلى مدينة عدن، ولكن زين المواصف وأمها وأختها لحقن به إلى مدينة عدن، فحبسهم وقيدهم في قيود من حديد، ثم قبلت زين المواصف بالعيش معه، حتى تحافظ على تركة أبيها. "فقال لها القاضي يا زين المواصف ألك بعل أم لا قالت مالي بعل قال وما دينك قالت ديني الإسلام وملة خير الأنام... فقالت... إن أبي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر ألف دينار وجعلها في يد هذا اليهودي يتاجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة والشريعة فعندما مات أبي طمع اليهودي فيَّ وطلبني من أمي ليتزوج بي فقالت له أمي كيف أخرجها من دينها وأجعلها يهودية فوالله لأعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودي من كلامها وأخذ المال وهرب إلى مدينة عدن وعندما سمعنا أنه في مدينة عدن جئنا في طلبه، فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر في البضائع ويشتري بضاعة بعد بضاعة فصدقناه ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعدنا أشد العذاب ونحن غرباء وما لنا معين إلا الله تعالى ومولانا القاضي..."[1](*). فمن خلال الفقرة السابقة لا نستطيع أن نتيقن من حقيقة أمر زين المواصف، فيما إذا كانت صادقة بالفعل، أم أنها تدَّعي عليه، خاصة إذا وضعنا في الحسبان خداعها للقضاة الأربعة وقاضي القضاة، الذين ماتوا جميعا بسبب حبهم

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٤.

(*) الأخطاء الإملائية الواردة في هذا النص، هكذا وجدتها فى النص الأصلي؛ لذلك كتبتها كما هي.

ليا، وخداعها لهم، ثم أيضا خداعها لعشيقها مسرور التاجر في بداية الحكاية، واستيلائها على كل أمواله، وهجرها له، لولا تدخل جاريتها "هبوب" فوفقت بينهما. غير أن ما يهمنا أن الحكاية أخذت ذلك الشكل في الصراع، أعني الصراع الديني، مما يعني أن البيئة العربية – في الوقت ذاته – كانت تربة صالحة لإشعال نار الفتنة الطائفية، وهو ما استفادت منه – أو تلاعبت عليه – الزوجة زين المواصف. ويتبدى ذلك في تعاطف القضاة الأربعة وقاضي القضاة، والتفاف الناس/ العوام حول قضية زين المواصف، كما يتبدى ذلك – أيضا – في نهاية اليهودي والحكم عليه بالحبس، وفي إعادة الأموال إلى زين المواصف. وهو ما يؤكده قول القاضي: "ويلك يا عدو الله هل وصل من أمرك أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهم وسرقت ما لهن وتريد أن تجعلهن يهوذا فكيف تريد تكفير المسلمين.../ ص ٧٦". كما أن الحكاية تشير إلى صفة لاصقة باليهود منذ القدم، أعني حب اليهود للمال وتكالبهم على جمعه، والسعي الدائم إلى جمع المال بشتى الطرق، سواء كانت طرقًا شرعية أو غير شرعية. وهي صفة ارتبطت باليهود، ليس في ثقافتنا العربية فحسب، بل في ثقافات إنسانية أخرى، للحد الذي يجعلنا نقول إنها صفة ارتبطت باليهود عالميًا. فالزعيم الألماني "هتلر" يؤكد ذلك الترابط، إلى الحد الذي جعله يبرر بها هجومه عليهم وموقفه منهم، بقوله: "ومما أثار حنقي من هؤلاء اليهود أيضا هو تكالبهم وشراهتهم المكشوفة لجلب المال، وجمعه من خلال وسائل غير مشروعة، خاصة حرصهم الشديد على ترويج سوق الدعارة والإتجار بالرقيق الأبيض. ورغم خطورة هذه الممارسات فقد كان الشعب الألماني غافلاً عنها وعن مخاطرها المستقبلية، وإن كان قد اكتشف ذلك في أثناء الحرب العالمية الكبرى. أما أنا فقد أفزعتني تلك الحقائق التي لاحت أمامي، وخلاصتها أن هذا اليهودي الذي كنت أظنه رقيقًا ملتزمًا، ما هو إلا تاجر ومستثمر سري وعلني لتجارة الدعارة الخطيرة بحرص شديد منه على توسعها وانتشارها"(١).

---

(١) أدولف هتلر: كفاحي، تعريب: هشام خضر، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص٢٣.

إن الحكاية السابقة تدل على أن ثمة نفوذًا بدأنا نلمسه في تعاملات اليهود مع غيرهم من المسلمين والمسيحيين، وهو نفوذ يدل على مدى ما وصل إليه حال أهل الذمة في مصر والعالم العربي. تدلنا على ذلك بعض المصادر التاريخية التي تؤكد كثرة شكاوى المسلمين من سلوكيات اليهود وتصرفاتهم تجاه المسلمين، خاصة بعد تولي بعض اليهود مناصب إدارية عليا في البلاد ومحاباتهم لأبناء دينهم دون غيرهم. فلقد ترتب على استئثار اليهود بمناصب الدولة الكبرى في عهد العزيز بأمر الله أن تمكنوا من تقديم الخدمات لإخوانهم في العقيدة، بل (استغل بعضهم هذا النفوذ في الإساءة إلى المصريين الذين استاءوا من تزايد نفوذ اليهود وعمدوا إلى تقديم الاحتجاجات إلى الخليفة بسبب محاباته لليهود، فكتبت إليه امرأة تقول "بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك إلا قضيت أمري..." مشيرة بذلك إلى نفوذ منشا اليهودي وابن نسطورس اللذين توليا مقاليد الأمور بعد الوزير يعقوب بن كلس مما دفع الخليفة العزيز إلى إصدار أوامره بالقبض على منشا اليهودي وابن نسطورس المسيحي ومصادرة أموالهما)(١).

(١-٣)

صورة اليهودي في حكاية "الخياط والأحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم"

اليهودي في هذه الحكاية هو طبيب لم تذكر الحكاية اسمه، دفعته شهوة حب المال لديه إلى أن يُتهم في قتل الأحدب، ذلك الذي مات بسبب مزاح زوجة الخياط معه. ففي محاولة من الخياط وزوجته لدفع تهمة القتل عنهما، حملاه إلى منزل الطبيب اليهودي، وأعطيا الجارية ربع دينار لكي تنادي للطبيب لمعالجة المريض؛

---

(١) محاسن محمد الوقاد: مرجع سابق، ص ٤٩.

إذ زعما أن الأحدب مريض وليس ميتا، فاندفعت الجارية بسرعة إلى الطبيب اليهودي فرحة ومعها الربع دينار، قائلة له: "في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطياني ربع دينار لك وتصف لهما ما يوافقه فلما رأى اليهودي ربع الدينار فرح وقام عاجلاً ونزل في الظلام فأول ما عثرت رجله في الأحدب وهو ميت فقال... كأني عثرت في هذا المريض فوقع إلى أسفل فمات..."(١). فما كان من الطبيب اليهودي إلا أن يسعى إلى إبعاد التهمة عنه، والخلاص من جثة الأحدب، فقام بإلقاء الجثة في منزل جاره المسلم. ولما وجد جاره المسلم في منزله ظنه لصا فضربه، فسقط فظن أنه لقي حتفه على يديه، فراح يؤنب نفسه، ثم هداه تفكيره إلى إلقائه في الطريق، فتصادف أن رآه نصراني – سمسار السلطان – كان سكرانا، فلكم الأحدب بيده، ظنًا منه أنه لص يرغب في سرقة عمامته، فرآه حارس السوق، فصاح كيف يقتل نصراني مسلما؟!!

عندئذ دفعه إلى الوالي، الذي نصب المشنقة، وأمر السياف بشنق النصراني. عندئذ أعلن المباشر أو الجار المسلم عن نفسه؛ إذ أنبه ضميره، فذهب إلى الوالي وأخبره أنه قاتل الأحدب، فأمر الوالي السياف أن يشنق الجار المسلم، فما كان من اليهودي إلا أن ذهب إلى الوالي وأخبره أنه قاتل الأحدب "إذا باليهودي الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال لا تفعل فما قتله إلا أنا وذلك أنه جاءني في بيتي ليداوى فنزلت إليه فعثرت فيه برجلي فمات فلا تقتل المباشر واقتلني فأمر الوالي أن يقتل اليهودي الطبيب..."(٢). عندئذ أعلن الخياط عن نفسه أنه القاتل الحقيقي للأحدب، وحكى حكاية زوجته مع الأحدب، وطالب بإطلاق سراح اليهودي. غير أن القضية علم بها السلطان؛ إذ أن الأحدب كان بهلوانه الخاص، فلما سمع بقصة الأحدب طلب أن تُكتب بماء الذهب لغرابتها. فقام كل واحد من

---

(١) ألف ليلة وليلة، المجلد الأول، ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

هؤلاء الأشخاص "الخياط – الطبيب اليهودي – الجار المباشر – النصراني" يحكي حكاية للسلطان على أنها أغرب الحكايات؛ طمعًا في الحصول على صفح السلطان.

ولما وجد اليهودي السلطان على هذا النحو ورغبته في الانتقام للأحدب منه ومن الخياط والنصراني والمباشر، قام واقترح على السلطان أن يحكي له حكاية غريبة، تدور حول ذلك الشاب البغدادي الذي عشق مصر، فسافر إليها، وتصادف أن قابل فتاة جميلة، كانت سببًا في فقده يده، وانتهى أمره بالزواج من ابنة حاكم دمشق الصغرى، التي تصادف أن أختها الكبرى، هي التي كانت تأتيه خلسة في مصر، وأحضرت ذات مرة أختها الوسطى إليه، ثم قتلتها في منزله لغيرتها منه.

إن شخصية اليهودي – هنا – شخصية مسالمة، لم تحمل في طياتها سوءات اليهودي، فقط حملت صفة واحدة سيئة، تمثلت في حبه للمال، الذي دفعه إلى الإسراع لمعالجة الأحدب، لمجرد أن جاريته أخبرت أن الخياط دفع لها ربع دينار. باستثناء هذه الصفة السيئة، التي يشترك فيها مع اليهود بصفة عامة، فإننا نجد صفات طيبة في شخصيته، منها ذلك الجانب الإنساني الذي دفعه إلى الاعتراف بجريمة قتله الأحدب، لمجرد علمه أن شخصًا مظلومًا – اُتهم خطأً بمقتل الأحدب – سيفقد حياته بالشنق على يد السياف. ورغم ذلك الجانب الإنساني، فإننا نجد صورة سلبية في مخيلته عن المصريين؛ إذ يربط المصريين بالعهر. وهو ما جاء على لسان حاكم دمشق، في ثنايا الحكاية التي قصها على السلطان، عن بنته الكبرى، بقوله: "... فلما بلغت أرسلتها إلى ابن عمها بمصر فمات فجاءتني وقد تعلمت العهر من أولاد مصر.../ ص١٠٢".

وتكشف هذه الحكاية عن علاقة عميقة بينها وبين الواقع العربي الذي كانت تروى فيه. فالراوي يستمد امتهان اليهودي لمهنة الطب في هذه الحكاية من واقع اليهود في العالم العربي في ذلك الوقت؛ حيث تؤكد المصادر التاريخية شهرة اليهود في مهنة الطب ومهارتهم فيها. فحسب ما تؤكد لنا المصادر المعاصرة فإن

(بعض أطباء اليهود استطاعوا أن يصلوا إلى منزلة عالية، وكانت لهم مكانة رفيعة، إلى درجة أن بعض سلاطين المماليك كانوا يلجئون إليهم عند الضرورة بل إن بعضهم صار طبيبًا خاصًا لبعض سلاطين المماليك)[١]. والمؤكد تاريخيًا أن سلاطين المماليك لم يفرقوا أيضًا في المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين، مما سمح للأطباء اليهود بالنبوغ في مجال الطب. وتتماس هذه الحكاية مع الواقع من زاوية أخرى تتمثل في أن زوجة الخياط هي التي اقترحت على زوجها بضرورة حمل الأحدب الميت إلى الطبيب اليهودي، لمداواته أو التخلص من جثته. فالشائع في تلك الفترة التاريخية أن (نساء العصر المملوكي كن يفضلن بدورهن الطبيب اليهودي عن أي طبيب آخر...)[٢].

ولقد انعكست مثل هذه الروح المتآخية بين اليهود والمسلمين على نحو ما صورتها الحكاية المدوَّنة السابقة - في الحكايات الشعبية العربية الشفاهية أيضًا، على النحو الذي يتفق فيه الشفاهي مع المدوَّن حول تجذر هذه المسألة في المجتمع العربي، وعلى النحو الذي يؤكد شيوع روح التسامح هذه في شتى المجتمعات العربية على مر العصور. فلقد تمكن الباحث اليهودي موشي ويحيزر أن يسجل حكاية شعبية شفاهية، عنوانها "مجاعة في الموصل" من يهودي عراقي اسمه موشي مراد عام ١٩٥٥. والحكاية تدور حول تلك العلاقة الحميمة بين المسلمين واليهود في العراق، حيث - وكما يقول الراوي - كان يعيش المسلمون واليهود معا في سلام وتفاهم كاملين منذ أجيال بعيدة، غير أن الشيطان أفسد بينهما تلك العلاقة الطيبة، فابتعدا عن بعضهما البعض، فامتنعت السماء في هذا العام عن هطول المطر، وقد أصيبت الحياة بالجفاف، والغلو في الأسعار. فتوجه المسلمون إلى المساجد وتوجهوا بالدعاء إليه؛ كي يعفو عنهم، ويأذن للسماء أن تهطل بالأمطار، وفي الوقت نفسه، توجهوا إلى إخوانهم اليهود، وطلبوا منهم أن

---

(١) محاسن محمد الوقاد: مرجع سابق، ص ١٠٦.
(٢) المرجع السابق: ص ١٠٦.

يسامحوهم وأن يتوجهوا إلى الله في صلواتهم بالدعاء؛ كي يأذن للسماء أن تمطر. وبالفعل اجتمع اليهود – كبارهم وصغارهم – وذهبوا إلى المعبد، ووجهوا دعاءهم إلى ربهم كي ينقذهم من الجفاف. استجاب الله لصلوات المسلمين واليهود، وهطلت السماء. عندئذ أسرع المسلمون إلى إخوانهم اليهود وهتفوا لهم، وعزفوا لهم الموسيقى ورقصوا معهم، وحملوهم على أكتافهم إلى بيوتهم. ويختم الراوي حكايته بالجملة التالية "ومنذ ذلك الوقت لم يكن هناك إلا الحب والسلام بين يهود الموصل وجيرانهم من المسلمين"(١).

فالحكاية تحكي لنا إلى أي مدى كانت حالة الوئام والسلام تسود علاقة المسلمين واليهود في مجتمع العراق، وكيف أن السماء غضبت لنجاح الشيطان في الإيقاع بينهما، فامتنعت عن هطول المطر في هذا العام، عندما ساءت العلاقة بينهما، ولم تعد السماء إلى الهطول ثانية إلا عندما عادت المياه إلى مجاريها، بسيادة روح التسامح والحب ثانية بينهما.

الخلاصة التي نخلص إليها بعد تتبع صورة اليهودي في هذه القصص المختارة من الليالي، أن كلمة "اليهودي"، في حكايات الليالي السابقة تطلق على العموم، أي دون تحديد اسم معين لهذه الشخصية، باستثناء بعض الشخصيات اليهودية النادرة، التي نجدها تحمل اسمًا وحيدًا هو "عذرة". وذلك بهدف التعميم، على النحو الذي تصبح فيه صفة اليهودي – سواء كان اسمًا أو لقبًا – علمًا على الشخصيات اليهودية بشكل عام. فيقال اليهودي، ابنة اليهودي، زوجة اليهودي، وللقارئ بعد ذلك أن يتخيل ما يمكن أن تنطوي عليه هذه الشخصية من صفات سيئة كالمكر والخداع والشر والبخل وحب المال، والسحر، والشخصية التي تظهر

---

(١) د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، ص٢٤٣، ٢٤٤.

غير ما تبطن؛ إذ إن هناك تصورًا سائدًا عن اليهود في المجتمعات العربية والإسلامية، يقوم على "إدراك التفاوت الكبير بين ظاهر اليهودي وباطنه، فاليهودي نموذج للوعود المعسولة والغدر القاتل، والراوي "لسان الشعب" ينطلق من الصورة الشائعة، فيرصد ملامح الباطن حيث اليهودي الساحر المكار الغدار الفظ الغليظ، ويرصد ملامح الظاهر حيث التاجر الذي يبيع للناس ويهاديهم"(١). وتظل كل هذه الصفات السيئة لصيقة بهذه الشخصية اليهودية، ويمثل التخلص من أسر هذه الصفة/ الاسم تحولا في سلوكيات الشخصية نفسيا. فابنة اليهودي تحمل صفات الأب في قصة حكاية "**أحمد الدنف وحسن شومان مع الدليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة**"، غير أنها بمجرد تخلصها من أسر نسبتها إلى أبيها، فإن ذلك يعني أنها أصبحت أو كشفت عن وجه طيب وإنساني في شخصيتها، الأمر الذي ترتب عليه بحث عن نسب واقتران جديد لها، سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي، وهو ما تمثل في اقترانها (اجتماعيًا) وزواجها من علي الزيبق، كما تمثل (دينيا) في إشهار إسلامها؛ لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل اليهودية في مصر، حيث الانحسار والانهيار على يد الأجيال الجديدة، وكأن لسان حال الراوي الشعبي المصري يقول بعد إسلام قمر ابنة اليهودي: "أن انهيار اليهودية جاء من الداخل حيث لم يكن للمصري – أي علي الزيبق – دور مباشر في تحطيمه سوى إصراره على المواجهة وتحفيز قمرة والتي وقعت في هواه للخلاص من أبيها، لذلك فهي تمهر عليًّ المصري وتلح على عليًّ أن يتزوجها، وتشفع الخليفة عنده "كي يقبل زواجها" وتجعل الخليفة – الممثل الرسمي للدين – وكيلها"(٢). إن تلك الصفات السيئة المرتبطة بأخلاقيات اليهودي، أو بطبيعته التى تبطن غير ما تظهر (سواء سلوكيا أو دينيا) عكستها تلك الحكايات لما لها من وجود واقعي في تلك الفترة. فالمصادر التاريخية تتحدث كثيرًا عن هؤلاء اليهود الذين يمتلكون محلات

---

(١) عماد علي عبد اللطيف: الطريق إلى المعرفة، قراءة جديدة في حكاية "علي الزيبق المصري"، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان ٦٤، ٦٥، يوليو- مارس ٢٠٠٢م، ٢٠٠٣م، ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٠.

للصاغة، ويعتمدون على الغش في تجارتهم، ومن ذلك ما يرويه السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة" من أن بعض الروايات تذهب إلى (أن امرأة كافور الأخشيدي قد أخبرت الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، بأنها قد أودعت عند صائغ يهودي قباء من لؤلؤ منسوجًا بالذهب وأنها لما طالبته به أنكره، وعند ذلك أمر الخليفة باستدعاء الصائغ، وسأله عن الحقيقة إلا أن اليهودي أنكر وجود القباء لديه فأمر الخليفة المعز بتفتيش منزله، وفيه عثر على القباء مدفونًا في بعض نواحي المنزل)[1]. أي أن تلك الصورة لم تنشأ من فراغ، وإنما وجودها الاجتماعي جعلها تنعكس في الموروث الشعبي العربي المدوَّن.

فالملاحظ أن الصورة السائدة عن اليهودي في الليالي سيئة وسلبية، وتسيطر عليها رغبة عارمة من الراوي الشعبي – ومن ثم من الجمهور العربي – في القضاء على اليهود واليهودية، ويتبدى ذلك في أن معظم الشخصيات اليهودية التي نلتقيها في الليالي تنتهي بالإبعاد عن المجتمع العربي، سواء كان إبعادًا بفعل الموت، أو بفعل الحبس والسجن.

غير أن من الملاحظ – أيضًا – أن هذه الصورة السيئة لليهودي، مكتسبة من صراعاته المستمرة مع المسلمين، بسبب ظروف الحياة اليومية، حيث التجارة بما تفرضه من صراعات ومنافسات بين أصحاب المهنة الواحدة، على نحو ما اتضح ذلك مع شخصية عذرة اليهودي الجواهرجي، دون أن ينفي هذا أن هذه الصراعات أخذت بعدًا دينيًا في بعض الأحيان، على نحو ما تم توضيحه – مثلًا – في حكاية "التاجر مسرور مع معشوقته زين المواصف". أي أن هذه الصراعات لم تأخذ بُعدًا سياسيًا على نحو ما سنجده في قصصنا الشعبي العربي الشفاهي.

---

(١) فاطمة مصطفى عامر، المرجع السابق، ص ١٢٧. (نقلًا عن السيوطي في: حسن المحاضرة، الجزء الأول، ص ٦٠).

(٢)
صورة بني إسرائيل في القصص الديني

إذا كانت هناك صورة متأرجحة سيطرت على المخيلة الشعبية العربية تجاه اليهودي، تفاوتت درجة سلبيتها ما بين الصعود إلى أعلى الدرجات، (حيث وصف اليهودي بالسحر والخيانة والنهب والاغتصاب والسعي نحو تكفير المسلمين)، وبين الهبوط إلى أدنى درجات هذه السلبية، (وذلك من خلال العزلة التي يفرضها اليهودي بتجارته على نفسه – أو يفرضها المجتمع العربي عليه – من خلال حبه للمال، والسعي إلى التربح)، فإن الأمر مختلف إزاء صورة بني إسرائيل في القصص العربي المدوّن المتواتر عنهم. فبغض النظر عن الأوصاف السيئة العامة، التي استخدمها المفسرون وعلماء الدين لوصف قوم بني إسرائيل، على أنهم قوم متكبرون ومتعالون، وجاحدون لأنبيائه وللصالحين منهم، فإن القصص العربي المدوّن تعامل معهم على أنهم مجرد شعب مثل أي شعب، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، أي أننا نتعامل مع نماذج بشرية، منها الصالحة والطالحة. لذلك نجد كثيرًا من هذا القصص يتحدث عن رجال أو نساء صالحين، من بني إسرائيل، دون أن تسيطر صورة نمطية سلبية عامة عنهم.

ومن القصص الذي يتواتر عن بني إسرائيل وصالحيهم، قصة "الأبرص والأقرع والأعمى". وهي تحكي عن ثلاثة أشخاص من بني إسرائيل، أولهم كان مصابا بمرض البرص، فدعا الله أن يشفيه منه، وأن يرزقه بواد من الإبل، أما الثاني فكان أقرع، فدعا الله أن يشفيه، وأن يرزقه الله بواد من البقر، أما الثالث فكان أعمى، فدعا الله أن يعيد إليه بصره، وأن يرزقه بواد من الغنم. فأرسل الله إليهم ملكا، وحقق لكل منهم أمنيته. وبعد مرور فترة من الزمن، أصبحوا أغنياء، فأراد الله اختبارهم، فأرسل إليهم الملك نفسه على هيئة رجل فقير، فطلب منهم

مساعدته، فرفض الأبرص والأقرع، بادّعاء أن هذا مالهما ورثاه كابرا عن كابر، فردهما الله إلى سابق فقرهما ومرضهما. أما الأعمى، فلما طلب منه الملك مثل صاحبيه، رد عليه قائلا: " فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ،...، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ"(١). وقد قمت بجمع رواية شفاهية لهذه الحكاية، وهي تلتقي مع هذه الرواية المدوّنة. فالملك جاء في هيئة رجل إلى الأشخاص الثلاثة، الأقرع والأبرص والأعمى. وقد تم استشفاؤهم على يديه، واختبرهم بأن حقق لكل واحد منهم ما اختار وتمناه. فأعطى الأول/ الأقرع إبلا، والثاني/ الأبرص غنما، والثالث/ الأعمى بقرا. وتركهم فترة ثم عاد إليهم، متخفيا في زي شخص آخر، وسألهم أن يعطوه مما أعطاهم الله. فرفض الأقرع والأبرص، وأخبراه أن هذا المال قد ورثاه عن أهليما، فعاقبهما ذلك الشخص بأن أعادهما إلى سابق فقرهما ومرضهما. أما الأعمى فقد رحب به وأعطاه كل ماسأل من مال، قائلا له: " المال: مالَ الله، واللى أنت عايزه خده يا عم "، فشكره الملك ودعا له بأن يديم الله عليه نعمتي البصر والمال(٢).

وفي قصة "الله الوكيل" طلب شخص صالح من بني إسرائيل من شخص آخر أن يسلفه ألف دينار لأجل مسمى، فطلب ذلك الرجل الدائن من الرجل الصالح شاهدا، فأجابه "الله خيرٌ شاهدا"، فسأله أن يحضر له من يكفله، فأجابه الرجل الصالح: "كفى بالله كفيلا"، ثم أعطاه الألف دينار والتزم معه بموعد معين، فلما جاء ذلك اليوم المحدد، كان الرجل الصالح في عرض البحر، وعجز عن الذهاب إلى صاحب الدين، فدعا الله، وأرسل الألف دينار في رسالة على لوح خشب، فاستلمها ذلك الرجل في الموعد المحدد، دون أن يتأخر عليه الرجل الصالح في رد ما

---

(١) نقلا عن الموقع الألكتروني: http://hashim.manalaa.net/node/27

(٢) خالد أبو الليل: مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٢٢٣.

استلفه منه، فلما تقابلا، قال له الدائن "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِى بَعَثْتَ فِى الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا"[1].

وفي قصة "جريج العابد"، نجد جريجا – رجل زاهد من بني إسرائيل – يتعبد في صومعته، فتأتيه أمه وتكلمه، فلم يجبها؛ حتى لا تلهيه عن صلاته، فدعت عليه ألا يمته الله حتى يريه المومسات، وتأتيه بالفعل امرأة مومس إلى صومعة العابد جريج، وحاولت إغواءه، لكنها لم تؤثر فيه، فراحت زنت مع الراعي، وأنجبت منه طفلا، ونسبته إلى جريج، فهاج الناس "... وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ فَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلاَمَ، فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ قَالَ الرَّاعِى. قَالُوا نَبْنِى صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ لاَ إِلاَّ مِنْ طِينٍ"[2].

فكما هو واضح، فإن القصص المتواتر عن بني إسرائيل وصالحييم، قصص كثير، وهو يؤكد أن رواة هذا القصص – الذي في أغلبه قصص من إعمال الخيال – لم يتخذ موقفا عدائيا من بني إسرائيل، إنما هو قصص استهدف غاية أخلاقية ووعظية، على غرار ذلك القصص الذي جاء عن أهل قريش في بداية البعثة المحمدية. ولكن هذا النمط من القصص تغير أيضا، على النحو الذي تماشى فيه مع السياق الاجتماعي والسياسي الجديد الذي فرض نفسه على الساحة الشعبية.

---

(١) نقلا عن الموقع الألكتروني: http://hashim.manalaa.net/node/27

(٢) نقلا عن الموقع الألكتروني نفسه.

(٣)

صورة اليهودي في الحكايات الشعبية الشفاهية

سوف أسعى الآن إلى محاولة تبيان صورة اليهودي وتوضيحها في حكاياتنا الشعبية الشفاهية، التي لا تزال تروى في مجتمعاتنا العربية حتى وقتنا الراهن؛ بهدف التعرف على مدى الاختلاف الذي لحق بها، مقارنة بتلك الصورة التي رُسمت له في مدوَّناتنا العربية التراثية، على نحو ما تم توضيحه منذ قليل. فالحكايات الشعبية الشفاهية، التي تعرضت لليهودي كثيرة، تمكنت من جمع بعضها، سواء كانت حكايات نثرية، أو قصصًا شعريًا غنائيًا، وسواء كانت حكايات تروى – ولا تزال تروى – في المجتمعات العربية، أو حكايات تروى في المجتمع الإسرائيلي (بين اليهود العرب المهاجرين إليها).

(٣-١)

اليهودي في حكاية "تاجر الملح"

من هذه الحكايات، التي قمت بجمعها، سهراية "تاجر الملح".

وهذه الحكاية سجلت لها روايتين، للراويين سيد عبدالعال حميدة، وعبد الكريم عثمان[١]، والروايتان لا تختلفان فيما بينهما خاصة في الخطوط العريضة للحكاية، والحكاية تعد بمثابة النسخة العربية لمسرحية "تاجر البندقية" للإنجليزي وليام شكسبير. ولقد توقف أحد الدارسين عند الأصل الشعبي للمسرحية، والقول باستفادة شكسبير من الموروث الشعبي العالمي، أي أن لمسرحية شكسبير أصل شعبي، أخذ عنه شكسبير موضوع مسرحيته، وانحصر دوره في مجرد بناء حبكة

(١) المرجع السابق، ص١٠٢٢ – ص ١٠٣٥.

المسرحية[1]. ولقد تم الاختلاف حول ذلك الأصل، الذي استفاد منه شكسبير، ما بين أصل روماني أو لاتيني أو آري أو شرقي، دون أن يتوقف - أو يتوقف غيره من الباحثين - عند احتمالية وجود أصل أو رواية عربية لها، ودراسة تلك العلاقة ما بين التأثير والتأثر بينهما[2]. فالروايتان تذهبان إلى أن السيد عليّ الجواهرجي أنجب ابنه الوحيد أحمد، فلما أوشك الأب على الموت، وشعر بذلك، أوصى ابنه ثلاث وصايا، هي: ألا يزني إلا في نهاية الليل، وألا يلعب القمار إلا مع أكبر لاعبي القمار "شيخ القمارتية"، ألا يتزوج إلا بنت الأصول "بنت أحسن ناس حسب قول الأب"، ثم يموت الأب، فيرث الابن ثروة طائلة عن أبيه، ويحاول اختبار نصائح أبيه، فأراد الزنا، فجاءته امرأة داعرة وجميلة في محل الصاغة، وراودته عن نفسه، فتواعد معها أن يقابلها في بيتها في منتصف الليل (تنفيذًا لنصيحة أبيه)، فلما جاء الموعد المحدد، ذهب إليها، فوجدها نائمة، فاستيقظت، فرأى وجهًا غاية في القباحة، فلما تيقن أنها السيدة نفسها التي تواعد معها في النهار، ترك لها المائة جنيه - حسب وعدهما - ولم يرتكب الفاحشة معها لدمامتها. أراد - بعدئذ - أن يختبر النصيحة الثانية لأبيه، فقرر أن يلعب القمار، فراح يسأل عن منزل شيخ القمارتية، فلما وصله، وجده في حال يُرثى لها؛ إذ وجده خسر كل شيء، فنصحه ذلك الرجل بألا يقبل على لعب القمار ثانية؛ إذ فيه خسران مبين، فيترك له المائة جنيه، وكان هذان الموقفان حريين بأن يأخذ عهدًا على نفسه ألا يزني وألا يلعب القمار ثانية. ولما حان وقت الزواج تذكر نصيحة أبيه الثالثة "أن يتزوج من ابنة الحسب والنسب"، فراح يسأل عن هذه الفتاة، ووجدها بالفعل وتقدم إليها، فاشترط أبوها مهرًا لها أن تحمل الإبل ذهبا من مشرق الشمس إلى مغربها من منزل هذا

---

(١) وليم شكسبير: تاجر البندقية، تعريب خليل مطران، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة، راجع مقدمة الترجمة العربية.

(٢) وهو ما قد توقفت عنده بالدرس والتحليل في الفصل الأخير من هذه الدراسة، بعنوان: "صورة اليهودي بين شكسبير والأدب الشعبي العربي".

الشاب إلى منزل والد خطيبته، وهو ما مثل مشكلة أمام هذا الشاب (أحمد علي الجواهرجي)، فأشار عليه شيخ عجوز أن يدعو هؤلاء العمال - الذين يحملون الذهب على الإبل- على ذبيحة، وهو ما يجعلهم يقضون قسطا كبيرًا من اليوم في التهام الطعام، وبالتالي فسيتبقى جزء قصير من اليوم يحملون فيه الذهب إلى منزل الخطيبة. وبالفعل نجح الشاب في قضاء مهر خطيبته، والزواج منها. كانت المشكلة الأخرى التي قابلت الشاب أنه أنفق كل ما يملك على إتمام زفافه، وبالتالي لم يعد يتبق معه مال ينفق منه على حياته الزوجية، أو على مشروعاته، فاضطر دون أن يخبر زوجته أن يلجأ إلى اليهودي؛ كي يستلف منه مئة جنيه. غير أن هذا اليهودي - الذي تسميه الحكاية بالخواجة - علق لافتة مكتوبا عليها، أن من يرغب في استلاف مئة جنيه لمدة شهر، عليه إذا تأخر في سدادها عن المدة المحددة أن يقطع منه اليهودي رطل لحم. ونظرا لضيق ذات اليد، والحاجة الشديدة للمال، وافق الشاب على شرط اليهودي، ووقع على عقد الاتفاق بينهما. عاد - بعدها - إلى زوجته، التي اقترحت عليه أن يعمل بها مشروعا، فأحضرت له مركبا وملأته بالملح، ونصحته أن يذهب إلى مدينة لا تعرف تجارة الملح، وسوف يشترون منه هذا الملح بأغلى الأسعار؛ نظرًا لحاجتهم إليه وافتقارهم للملح في الوقت نفسه، ثم حددت له موعدا ما يقرب من الشهر، فإذا تأخر فسوف تذهب إليه. فركب المركب وسافر إلى تلك المدينة، وبمجرد وصوله وعلم بخبره أهل المدينة توافدوا إليه، وكل من أخذ جوالا من الملح، استبدله بجوال من الذهب، وبعد أن انتهى من ذلك، آثر أن يستريح قليلا في هذه المدينة، ثم جلس على إحدى المقاهي، فصادف أن جلس بجواره رجل حشاش، ودار بينه وبين الجالسين على المقهى حديث في أمور الدنيا، انتهى بالحديث عن النساء والزوجات، وتحدث كل منهم عن المهر الذي قدمه إلى زوجته، فلما ذكر ليم ما كان من أمر مهر زوجته، فاغتاظ هذا الحشاش، وأخبره أنها لا تختلف عن أي امرأة، وهنا تراهن هذا الحشاش مع الشاب على أنه من الممكن أن يفعل الفاحشة معها، فأخبره الزوج أن زوجته امرأة عاقلة وعفيفة لا تقدم

على مثل هذا الأمر. عندئذ أخبره الحشاش أن الرهان هو مركب الذهب في مقابل المقهي (فالحشاش كان صاحبه)، ثم أعد عدته ورحل إلى زوجة الشاب، وحاول معها بكل الطرق، لكنه فشل، فوجد امرأة عجوزًا، أغراها بالمال مقابل أن تساعده في النيل منها، فصنعت له صندوقا ووضعته بداخله، وذهبت بالصندوق إليها، وأقنعتها أن تترك هذا الصندوق في منزلها لمدة ثلاثة أيام. ولما لم يستطع الحشاش أن يخرج من الصندوق، فإنه لمح قطعة مصاغ ذهبية "مشقلة" لها، فوضعها في جيبه، ثم جاءت العجوز بعد الأيام الثلاثة وأخذت الصندوق بما فيه. فلما عاد الحشاش إلى الشاب، وأخرج له القطعة الذهبية، اقتنع الناس أن الزوجة خانت زوجها، فأصبح المركب من نصيب الحشاش. مضت مدة الشهر والزوج لم يعد إلى زوجته، فما كان من الزوجة الوفية إلا أن تلبس زي الرجال وتذهب إلى زوجها، وهناك علمت بقصة زوجها مع ذلك الحشاش، فقابلت الحشاش ولعبت القمار معه، وكسبت منه مركب زوجها ومقهى الحشاش وكل ما يملك، ثم تعرفت على زوجها، ثم عادا إلى مدينتهما. بعد عودتهما كان في انتظارهما قضية الخواجة؛ إذ تأخر زوجها الشاب عليه في سداد الدين (المائة جنيه)، فحاول الزوج أن يرد المال إليه، لكن اليهودي رفض وأصر على أخذ رطل اللحم من جسمه، حسب الاتفاق المنصوص عليه في العقد. لذلك اضطر الزوج أن يخبر زوجته، فطمأنته ونصحته أن يأخذ ألف جنيه معه، أما هي فقد كانت قاضية مشهورة في المدينة فذهبت إلى المحكمة، وسمعت إلى قاضي المحكمة ومحاولاته مع اليهودي؛ ليثنيه عن شرط رطل اللحم، لكنه فشل في ذلك معه. لما وجدت الزوجة/ القاضية ذلك من اليهودي وإصراره على قطع رطل لحم من جسم زوجها، فإنها استأذنت من القاضي وتدخلت لحل القضية، وطلبت من زوجها - دون أن يعرف أحد بأنه زوجها - أن يدفع لليهودي ألف جنيه، بدلا من المائة جنيه، غير أن اليهودي رفض مصرًا على رطل اللحم؛ عندئذ وافقت القاضية / الزوجة على طلب اليهودي، شريطة أن يقطع الرطل دون زيادة أو نقصان، وأن أي نقص أو زيادة

سيعني أن المحكمة سوف تقتطع هذه الكمية من جسم اليهودي نفسه. هنا بدأ الخوف يدب في قلب اليهودي، فوافق على عدم قطع رطل اللحم، عندئذ حكمت المحكمة عليه بخمسة آلاف جنيه؛ غرامة لتعطيله أعمال المحكمة.

إن الحكاية السابقة عبارة عن قسمين، قسم اجتماعي (تربوي)، وقسم ديني (حول اليهودي). فأما القسم الأول الذي تعرض لنصائح الأب لابنه، ثم عقلانية الزوجة في الحكم على الأشياء وحسن تصرفاتها، وثقة الزوج في زوجته، فإنه قسم – رغم أهميته – لا يدخل في نطاق البحث الراهن. ولكن ما يستوقفني – الآن – هو تلك الصورة التي رسمتها الحكاية لليهودي، وذلك التحول المهم الذي لحق به، مقارنة بصورته في القصص المدوَّن. فلقد استخدمت الحكاية كلمة "الخواجة" للدلالة على اليهودي. ومما تنبغي الإشارة إليه في هذا السياق، أن كلمة " الخواجة" كلمة فارسية الأصل، ثم انتقلت منها إلى عدد من اللغات الأخرى، كالتركية والعربية. وهي من الكلمات التي حدث لها تحول دلالي، فلقد ارتبطت في بداية استخداماتها اللغوية بالدلالة على السيد، أو بعض المناصب الإدارية العليا في الدولة مثل الصدر الأعظم ورئيس الوزراء. كما تطور معناها الدلالي في فترة تالية ليشير إلى التاجر الماهر، بغض النظر عن جنسه أو دينه أو عرقه، ثم تطور ذلك المعنى ليدل – بعد ذلك، وفي فترة لاحقة – على الآخر، سواء كان ذلك آخرًا على المستوى الديني (مسيحيًا كان أو يهوديًا)، أو آخرًا على المستوى العرقي (ذلك الشخص الأجنبي الـــذي لا ينتمي إلـــى العرب)؛ أي ارتبطت الكلمة بكل من لا ينتمي إلى المسلمين أو العرب[١]. وسبب حصري لهذه الكلمة في هذه الحكاية على اليهودي دون

---

(١) خواجه: كلمة فارسية الأصل، تنطق (خاجه) بإهمال الواو، وهى واو لا تنطق لوجودها بين الخاء والألف، كما أن الهاء الموجودة فى نهاية الكلمة لا تنطق هاء واضحة، وإنما تنطق كأنها كسرة خفيفة على الحرف الذى يسبقها.

ولقد أوردت المعاجم الفارسية عدة معاني للكلمة، هي:

- عمدة القرية، كبير القرية، رب البيت
- مُعظَّم، سيد، كبير، عظيم

المسيحي، خاصة أن الكلمة تحتمل المعنيين، تلك العلاقة بين الحكاية الشعبية المصرية، التي استخدمت كلمة الخواجة في إطلاقها، ومسرحية تاجر البندقية، التي استخدمت لفظة "اليهودي" صراحة دون تعميم. ولقد انتهت معظم الدراسات إلى وجود علاقة تأثير وتأثر بين المسرحية والتراث الشعبي العالمي، بغض النظر عن التساؤل حول: أي منهما قد تأثر – أو أثر في – بالآخر. والمتأمل للحكاية سيلحظ أنه – وعلى غرار ما لحق بمفردة الخواجة من تحول دلالي – قد حدث تحول في تصور الوجدان الشعبي العربي لليهودي. فاليهودي الذي صوره الوجدان العربي في قصصه المدوَّن على أنه بخيل ومرابٍ وساحر وشرير، نجده في القصص الشعبي الشفاهي قد تجاوز هذه الصورة؛ ليصل إلى حد الاغتصاب. فالمسألة هنا تجاوزت البخل وحب المال أو الرغبة في المراباة لزيادة المال؛ لتصل إلى رغبة دموية تتمثل في الرغبة في اغتصاب جسد المسلم أو العربي "أحمد علي الجواهرجي". ولعل في اختيار اسم أحمد ثم عليٍّ ونسبته إلى مهنته "الجواهرجي"

- ثرى، مقتدر، ذو سعة، غنى
- الخادم الذى قطعت أعضاؤه التناسلية (الخصى)
- ومنها: خواجهٔ بزرگ: الصدر الأعظم أو رئيس الوزراء
- ومنها: خواجهٔ دوسرا؛ (سيد العالمين) محمد بن عبد الله
- ومنها: خواجهٔ بعث و نشر؛ (سيد البعث والنشور) محمد بن عبد الله
- ومنها: خواجهٔ عالم؛ (سيد العالم). محمد بن عبد الله
- ومنها: خواجهٔ رسل؛ سيد المرسلين. محمد بن عبد الله
- وكانت تطلق فى العصرين الصفوى والقاجارى على الأرمن فى إيران، فيقال خواجه ميكائيل، خواجه بقوس، خواجه سركيس، (وهو ما يشبه كلمة الخواجة التى تطلق على النصرانى فى ريف مصر وفي الشام).

وكانت تستخدم فى هذين العصرين كلقب بمعنى:

- مُعلم، حكيم، عالم
- رئيس طائفة – وخواجه بمعنى تاجر.

يمكن مراجعة ذلك بالتفصيل في: دهخدا، على أكبر. لغت نامه. تهران: چاپخانهٔ مجلس، ١٣٢٥ هـ. ش. مادة: خواجه). وهنا أتوجه بالشكر للصديق الدكتور أحمد حسين مدرس اللغة الفارسية بآداب القاهرة، على ما أمدني بمعلومات عن الكلمة ومعناها.

دلالة مهمة؛ إذ نادرًا ما تستخدم الحكايات الشعبية الشفاهية الاسم على نحو كامل، فالاسم لشخص عربي مسلم، في مواجهة شخص يهودي سكتت الحكاية عن تسميته؛ ليفيد التعميم وللدلالة على أن هذه الصفة صفة ملصوقة باليهود عامة. إن حلم اليهودي – هنا – لم يتوقف عند مراباة ماله، فلقد سنحت له الفرصة لتحقيق ذلك عندما تأخر الشاب العربي عن السداد، فطلب منه أن يعفيه من الشرط الجزائي، وهو قطع رطل من اللحم من جسده، مقابل أن يضاعف له المائة جنيه إلى عشرة أضعاف، غير أن اليهودي رفض طلب الشاب، وعرض القضاة عليه، مصرًا على موقفه الغريب. فما الذي يحققه له قطع رطل لحم من جسد شخص ما، سوى أنه يخسر ماله، الذي طالما كان يحلم بزيادته؟!!

هل أحد يصدق أننا نتحدث عن ذلك اليهودي البخيل الضعيف، الذي كان سرعان ما يستجير بالمسلمين وخليفتهم بمجرد أن يصاب بأذى "الحقوني يا مسلمين"، كحادث السرقة الذي تعرض له عذرة اليهودي في قصة "دليلة المحتالة"؟ هل أحد يصدق أن هذا اليهودي اليوم – وعلى نحو ما تصوره الحكاية الشفاهية، ويصوره الوجدان الشعبي العربي – يرفض أن يسترد ماله، لا لشيء سوى للرغبة في إلحاق الأذى بأمة العرب والمسلمين، رغبة منه في التهام لحم واحد من أبنائهم على حد قول اليهودي نفسه؟!!!

وهذا التحول من قبل الوجدان العربي ناجم عن شعوره بمدى القوة والنفوذ الذي وصل إليه اليهودي، إلى الحد الذي يرفض فيه اليهودي سلطتي المجتمع والدولة، وهو ما لم يكن يجرؤ أن يفعله فيما قبل. فلقد كان فيما مضى – وقت أن كان ضعيفا – يستجير بالمسلمين وبالخليفة وقت الشدة، أما اليوم فهو يعصي أوامرهم ونصائحهم، لمجرد شعوره بالقوة. فلقد ظهرت النية الحقيقية له، والتي تمثلت في الرغبة في اغتصاب العرب وأراضيهم وممتلكاتهم، فما التهام اللحم سوى رمز لمحاولة التهام عرض العرب وشرفهم. غير أن هذه القوة والجبروت التي وصل إليها

اليهودي، والإحساس من قبل العربي بهذا النفوذ المتصاعد لدى اليهود، لم يقابله استسلام وخنوع من قبل العربي، بل وجدنا شعورًا آخر يسيطر عليه، تمثل في مجابهة هذا النفوذ اليهودي المتصاعد بقوة العقل والذكاء، على نحو ما تمثل ذلك في زوجة الشاب أحمد علي الجواهرجي، عندما تزيت في زي القاضي، وساعدت زوجها في قضيته ضد اليهودي. كما بدأت تسيطر – في ذهن العربي – صورة سلبية عن اليهودي، تمثلت في وصف اليهودي بالجبن، فبعد أن كان معاندا لكل من حوله في الاستجابة لآرائهم فيما يخص العفو عن الشاب، مقابل مضاعفة الدَّين، وجدناه يخضع – في جبن شديد – لرأي القاضي / الزوجة لمجرد أنها حذرته بكون أي زيادة أو نقصان عن رطل اللحم فيما سيقتطعه من جسد الشاب، سيقابله اقتطاع نظيره من جسد اليهودي؛ عندئذ تراجع اليهودي بسرعة ووافق على قرار القاضي بالتراجع عن اقتطاع اللحم، بل وافق على الغرامة المالية التي قُررت عليه، والتي مقدارها خمسة آلاف جنيه. أي أنه في اللحظة التي بدأ يشعر فيها اليهودي – وأحس فيها العربي بالتالي – بقوة نفوذ لليهودي، والتخلص من تبعيتهم للمسلمين والعرب، وجدنا القصص الشعبي العربي الشفاهي يرمي اليهودي بصفة الجبن؛ حتى لا يصاب العربي بالإحباط في مواجهته لليهودي، بل تُصوِّر الحكاية العربي بأنه الأكثر ذكاء، وأن ذكاءه قادر على أن يكتب التفوق للعربي على اليهودي.

(٣-٢)

اليهودي في حكاية "الكريم والخواجه والديب والحية"[١]

تدور الحكاية حول عربي وزوجته، دفعهما كرمهما الزائد وجودهما إلى فقد كل ما لديهما من أموال، فتركا منزلهما ورحلا في الصحراء، فلما شعرت الزوجة

---

(١) راجع الحكاية في، خالد أبو الليل: "الحكاية الشعبية: دراسة ميدانية في محافظة الفيوم"، الجزء الثاني، ص ٦٩٨- ص ٦٩٢.

بالظمأ، أخذها زوجها وذهبا إلى بئر؛ كي تروي الزوجة ظمأها. فلما ألقى الزوج بالدلو في البئر فوجئ بثقل الدلو فإذا بحية تتعلق به، وطلبت منه أن يساعدها بإنقاذ حياتها، على أن تساعده إذا طلب منها المساعدة، وبالفعل يقبل بمساعدتها، وعندما يذهب الزوج والزوجة إلى البئر ثانية لإرواء ظمأهما، يتعلق ذئب بالدلو، ويطلب المساعدة منهما، نظير أن يساعدهما وقت الحاجة، فيساعداه. وفي المرة الثالثة عندما ذهبا إلى البئر وجدا شخصًا تكنيه الحكاية بالخواجه، والمقصود به هنا "اليهودي"، الذي كاد أن يفقد حياته في البئر غرقا، فيطلب المساعدة من الزوجين، نظير أن يساعدهما وقت الحاجة، فيساعداه، ثم يأتي وقت الاحتياج إلى المساعدات الثلاث. فلقد رزق الله الزوجين بقطيع من الغنم، وبينما يسير الزوجان أمام القطيع إذا بالذئاب تحاول التهام الأغنام، فإذا بالذئب الذي سبق أن أنقذه الزوجان، يخرج على الذئاب الصغيرة/ أبنائه، ويحذرهم من المساس بالقطيع والزوجين؛ عرفانا منه بالجميل. وبينما يحفر الزوجان في الصحراء، إذا بهما يعثران على كنز، وعندما يحاولان بيعه، يذهبان به إلى الجواهرجي، الذي يتبين أن اليهودي الذي سبق أن أنقذاه من الغرق، فيبلغ عنهما الشرطة؛ إذ إن هذا الكنز هو للملك، الذي أبلغ الشرطة عن سرقته، ولم يستجب اليهودي لتوسلات الزوجين، وتأكيدهما على أنهما عثرا عليه ولم يسرقاه، غير أن طمعه ورغبته في الحصول على مكافأة الملك كانت السبب الرئيسي في الإبلاغ عنهما، ثم القبض عليهما وإلقائهما في السجن. ويأتي الدور على الحية كي ترد الجميل إلى الزوجين، فزارتهما في السجن، وصنعت حيلة كي تنقذهما، تمثلت في أنها سوف تلتف حول عنق ابن الملك، وأن الوحيد الذي يمكن أن يصرفها هو ذلك الزوج. فلما التفت حول عنق ابن الملك استنجد الملك بكل من حوله دون نتيجة، فأخبره أحد المقربين أن يرسل للزوج في السجن، فيأتي به ويتم إنقاذ ابن الملك، ويتم الإفراج عنهما. ولما يسأله الملك عن حكايته، فيخبره بكل ما حدث معه، وسبب فقره إلى آخر القصة، فيحسن الملك إليه ويكرمه.

ولعل الحكاية السابقة تؤكد صفة سلبية أخرى ترتبط باليهودي، تتمثل في ربطه بالغدر وعدم الوفاء بالوعد، ومقابلة الإحسان بالإساءة، وهذه هي الصورة المسيطرة على الوجدان العربي تجاه اليهودي. فالحيوانات – وأي حيوانات، إنها أشد الحيوانات فراسة وغدرًا – حفظت الجميل للزوجين، فالذئب والحية حرصا على رد الجميل إلى الزوجين، بينما اليهودي لم يحمل لهما سوى كل حقد وكل كره، بل قام بالإبلاغ عنهما رغم تأكده من براءتهما. وتلتقي هذه الصورة لليهودي مع ما تعبر عنه المخيلة الشعبية في أمثالها حين قالت: "إن عدى عليك تعبان فوّته.. وإن عدى عليك يهودي موّته"، أو في المثل القائل: "حطوا اليهودي والحية ف كيس.. طلعت الحية تستغيث".

(٣ – ٣)

صورة اليهودي في حكاية "اللي يزعل هاسلخ وشه"[١]

تدور القصة حول يهودي كان يستأجر عمالاً مسلمين للعمل عنده، وكان يشترط على ذلك العامل المسلم، أنه سيكلفه بأداء عمل، فإذا أبدى ذلك العامل غضبه سيقوم اليهودي بسلخ وجهه/ وشه. ولقد كلف اليهودي أول هؤلاء العمال بأن يقوم بملأ الزير بالماء، وذلك بعد أن قام بكسر من أسفله. وبالتالي لن يتم ملأ الزير، فلما لم يتمكن العامل من ذلك اغتاظ وأعلن عن غضبه، فقام اليهودي بسلخ وجهه. ثم جاء دور العامل المسلم الثاني الذي كلفه اليهودي بحرث أرضه، واشترط عليه الشرط نفسه. غير أن الأرض لم تكن محدودة المساحة؛ ولم ينتهِ العامل من حرث الأرض، مما أثار غيظه، فسلخ اليهودي وجهه. أما العامل الثالث فقد كلفه اليهودي بمداعبة ابنه الصغير، فكان كلما حمله وداعبه، تتسخ ملابسه من براز هذا الطفل، الذي كان دائما ما يصنع حمامًا على ملابسه، ولما لم يتحمل هذا

(١) سمعت هذه الحكاية من الأستاذ الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي.

العامل ذلك التصرف المستمر من الطفل، فإنه اغتاظ،، مما سمح لليهودي بسلخ وجهه. في هذه الأثناء كانت هناك امرأة خطفها جني، وأنجبت منه طفلاً مسلمًا، فلما كبر ذلك الطفل قبل تحدي اليهودي والعمل عنده بالشروط التي سبق أن اشترطها على العمال المسلمين. فلما كلفه اليهودي بملأ الزير المكسور من أسفل، ولما أدرك الطفل تلك الحيلة، فما كان من الغلام إلا أن يقوم بكسر الزير. ثم كلفه اليهودي بحرث الأرض غير محدودة المساحة، فلما رأى الطفل استحالة القيام بحرث الأرض كليا، قام بكسر المحراث. ولما كلف اليهودي الغلام المسلم بمداعبة ابن اليهودي وحمله، فلما وجد الغلام اتساخ ملابسه، ومداومة عمل الحمام على ملابسه، قام بقتل هذا الطفل (ابن اليهودي)؛ مما أدى إلى غيظ اليهودي وغضبه، فقام الغلام المسلم بقتله.

إن الحكاية السابقة ترسخ لصفة جديدة تلصقها باليهودي، وهي حقد اليهود وكراهيتهم للمسلمين، ذلك الحقد المرتبط بمحاولة إلحاق الأذى البدني بهم. فاليهودي هنا لا يكتفي بمجرد حرمان العامل المسلم من أجره، وإنما يقوم بسلخ "وشه". إن هذا الولع – من قبل اليهودي – بإيذاء المسلمين على هذا النحو يحيلنا إلى نموذج "شايلوك" في مسرحية "تاجر البندقية" للإنجليزي وليام شكسبير، وبشخصية اليهودي في الحكاية المصرية "تاجر الملح". فاليهودي يمتلك سلطة المال، تلك القوة التي تمكنه من السيطرة على المسلمين، فيخضعون لحكمه وشروطه. فالحاجة إلى المال هي التي دفعت العمال المسلمين إلى موافقة اليهودي على شروطه القاسية. غير أن الراوي الشعبي لم يرغب في إفقاد المسلمين الأمل في إمكانية القضاء على اليهود، حتى لا يتمكن الإحباط منهم، فتسيطر عليهم روح الانهزامية؛ لذلك فقد أحل الراوي قوة العقل محل قوة المال، هذه القوة التي توفرت في الغلام الصغير، رمز الأجيال المسلمة الجديدة، الذي تمكن من القضاء على اليهودي؛ نظرًا لعجز الأجيال الأكبر سنا عن القيام بذلك.

ومن الحكايات الشعبية الشفاهية التي قمت بجمعها، وتدور حول اليهودي، "حديث اليهودي والإمام الشافعي". فلقد جاء واحد من اليهود إلى الإمام الشافعي،

محاولاً أن يغضبه؛ إذ استأجره شخص ما وذلك بأن يدفع له خمسة جنيهات مقابل إغاظة الشافعي. فسأل اليهودي الإمام عن حال ربه، وكان هدف اليهودي من ذلك – حسب قول الراوي – هو أن يقع الإمام الشافعي في خطأ عند الإجابة، فرد الإمام: "ربي كل يوم هو في شأن". فاغتاظ اليهودي، وترك المكان وعاد قافلا. فناداه الشافعي؛ لأنه عرف الغرض من مجيئه إليه، فأعطاه ستة جنيهات، بدلا من الجنيهات الخمسة التي فقدها نظير عدم قدرته من إغاظة الشافعي. ويعلق الراوي الشعبي المعاصر تعليقا ذا صلة بالواقع الاجتماعي العربي، وهو تعليق يختم به الراوي حكايته، قائلاً: "لإنُّ يمكن اليهود دَوْل قُدام، وهم ضد البشريه ... من يعنى من أول ابتداء الدنيا ... واليهود ضد البشرية ... بس"[1].

ومن الواضح أن الراوي الشعبي العربي بدأ يُسقط في حكاياته الشعبية بعض الإسقاطات السياسية والدينية على صورة اليهودي. وهو ما أراد أن يختم به الراوي حكايته. وهي صورة لا تبتعد كثيرًا عن صورة اليهودي في المخيلة الشعبية الإنسانية على الصعيد العالمي على نحو ما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول، وعلى نحو ما سيتم التأكيد عليه في الفصل الأخير.

(٤)

صورة اليهودي في القصص الشعبي الغنائي

هناك عدد من القصص الشعبي – المدوَّن والشفاهي– توقف عند اليهودي، مما يعكس موقفًا شعبيًا منه. من هذا القصص الشعبي المدوَّن، نجد قصة "الجمل والغزالة"، وأيضًا نسختها الشفاهية التي قمت بجمعها من صعيد مصر، وقصة "السيد البدوي وخضرة الشريفة"، في روايتين شفاهيتين مجموعتين على فترتين زمنيتين متباعدتين، ومن منطقتين جغرافيتين مختلفتين، وقصة "ميمونة واليهودي".

---

(١) يمكن مراجعة روايات هذه الحكاية في: خالد أبو الليل: "الحكاية الشعبية، دراسة ميدانية في محافظة الفيوم"، رسالة ماجستير، إشراف د. أحمد علي مرسي، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة، ٢٠٠٣، الجزء الثاني، ص ١١٩٨.

(٤ - ١)

اليهودي في قصة "الجمل والغزالة" بين المدوَّن والشفاهي

توجد نسخة مدوَّنة لقصة "الجمل والغزالة" صادرة عن المكتبة التجارية، أوردتها نبيلة إبراهيم في كتابها "البطولات العربية والذاكرة التاريخية"[١]، كما أوردها زكريا الحجاوي – عن نسخة أخرى مدوَّنة، ومطعَّمة بالرواية الشفاهية – في كتابه "حكاية اليهود"[٢]، ولا يوجد بينهما اختلاف ذو دلالة على مستوى المضمون، والاختلاف فقط على مستوى بعض المفردات في بعض الأحيان. والقصة المدوَّنة – في مجملها – تدور حول موضوعين، هما الجمل والغزالة، وإن كانا يهدفان إلى هدف واحد، هو الهدف الوعظي، القائم على الإعجاز النبوي؛ حيث الرحمة والرفق بالحيوان، الذي يدفع اليهودي إلى إعلان إسلامه. فالجمل جاء يستغيث بالرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي كان يجلس وسط الصحابة، فألقى السلام على النبي، وخاطبه قائلا:

قال الجمل للنبي ما جئت إلا لك

وما جرى لي أريد أن أنبئك وأسألك

يا مصطفى الحكاية تنكتب على أوراق

بيني وبين صاحبي يا صفوة الخلاق[٣]

ويحكي الجمل حكايته مع ذلك اليهودي، وكيف أن الحال تغير به، فبعد أن كان قويًا وسريعًا، أصابه المرض والسقام، فأراد اليهودي/ صاحبه أن يذبحه، وقلل

(١) راجع القصة كاملة في نبيلة إبراهيم: البطولات العربية والذاكرة التاريخية، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥، ص ٦٥ – ص ٧٧.

(٢) راجع القصة في زكريا الحجاوي، مرجع سابق، ص ٤٠٦، ص ٤١٢.

(٣) د. نبيلة إبراهيم: المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

عنه العليق والزاد. كل هذا دفع الجمل إلى استعطاف الرسول - صلى الله عليه وسلم - كي يجيره من اليهودي، فوعده النبي بتخليصه منه، فسار النبي والصحابة مع الجمل قاصدين منزل اليهودي. فلما أطرق بلال - بإذن النبي - الباب، فتحت له الجارية، التي فقدت عينها على يد اليهودي؛ إذ ضربها عليها ففقدت عينها، وبمجرد أن قابلت الرسول ارتدت إليها عينها. وعندما يعلم اليهودي بقدوم الرسول يسيء استقباله، ويتهمه بالسحر. فأخبره الرسول بسبب مجيئه، وتشفعه للجمل عنده حتى لا يذبحه فيرفض اليهودي، الذي كان سيء التصرف مع النبي، ويشكك في صدق كلام الرسول؛ إذ كيف ينطق الجمل ويشكوه إلى الرسول!!

عندئذ يصحب الرسول والصحابة اليهوديَّ إلى الصحراء؛ ليؤكدوا لليهوديّ صدق ما قال الرسول، وهو ما يكون فرصة للراوي كي يبدأ في رواية قصة الرسول مع الغزالة؛ إذ تستوقف الغزالة هذا الجمع بقيادة الرسول، وتشكو إليه من ذلك اليهودي؛ إذ قام باصطيادها وأسرها منذ ثلاثة أيام. ولما سمعت زوجة اليهودي ذلك الحوار، أعلنت إسلامها. وعندما يعود اليهودي ويقابل الرسول يُصرُّ على محاربته، قائلاً:

قال اليهودي زمـــان عيني تراعيك

دلـــوقتي أوريـــك الحرب مني إليك

وقعت في أيـــد مـــن لا نصير ليك

لأحـــاربك وأحـــارب مـــن يحاميك

قال النبي فض هـــذا القبح والعياب

ولا تكن مدعي تندم على اللي فات[1]

---

(١) المرجع السابق: ص ٧٣.

وبعد شد وجذب بين النبي واليهودي، ضمن النبي الغزالة عند اليهودي، بأن يفك أسرها لترضع أولادها، ثم تعود إليه، وتوافق الغزالة ويوافق اليهودي على ذلك الاقتراح، وفك أسرها، واعدًا الرسول بأن الغزالة إذا وفت بوعدها سيعلن إسلامه. تصل الغزالة إلى أولادها، فتحكي لهم عن حكايتها مع الصياد/ اليهودي، وشفاعة الرسول فيها عنده، وأخذ اليهوديُّ له رهنًا؛ حتى تعود إليه. غير أن الأولاد الجوعى يرفضون أن يرضعوا من لبن أمهم؛ حزنًا منهم على النبي المرهون عند اليهودي، ويطلبون من أمهم سرعة العودة إلى النبي؛ كي تفك رهنه.

قالوا يا أمنا القول دا ما نرضاه

لبنك علينا حــرام وحيــاة حبيب الله

كيف ترهني المصطفى عند اليهود واعده

يا خجلتك يوم القيامة بين أيادي الله

كيف ترهني المصطفى أصيل الجد

عند يهودي عنيد ما يختشيش من حد

كيف ترهني يا أمنا اللي من النار يضمنا

هيــا ارجــعي وقــريه السلام منا[1]

وتأتي النهاية السعيدة للجمل والغزالة بأن يطلق اليهودي أسرهما، فيقرر عدم ذبح الجمل، وإطلاق سراح الغزالة لتعود إلى أولادها، ثم يعلن اليهودي إسلامه.

---

(١) المرجع السابق: ص ٧٦.

طلعت الغزالة تبكي في بكاها حصر

قـــال النبي جـسيتي ويـــان النصر

قـــال اليهـــودي أسلمـــت يا عدنان

قال النبي فزت بالجنة بنى له قصر[١]

وفي الرواية الشفاهية، نجد الوجدان الشعبي المصري في عدد من رواياته يختزل الحكايتين، أقصد حكايتي "الجمل والغزالة" إلى حكاية واحدة فقط، هي حكاية "اليهودي والغزالة"، وتتفق مع ذلك النسخة التي أوردها زكريا الحجاوي في كتابه. فلقد جمعت رواية شفاهية للحكاية من صعيد مصر (محافظة قنا)، للراوي محمد محمود إبراهيم، وهي تتفق مع الرواية المدوَّنة للحكاية في مضمونها. ونلمس ذلك في الافتتاحية الدينية، ثم لجوء الغزالة إلى النبي، وطلبها مساعدته للتخلص من أسر اليهودي، وتشفع الرسول لها عند اليهودي، وأخذ اليهودي للرسول رهنا إلى أن تعود الغزالة. وبمجرد عودة الغزالة / الأم إلى أبنائها، يرفض الأبناء أن يشربوا اللبن – رغم جوعهم – خوفا منهم على النبي المرهون عند اليهودي.

تـــرهني زين الوجود

الشفيع عند اليهود

وترهني حُمر الخدود

البهي عنـــد اليهود

** ** **

(١) زكريا الحجاوي: المرجع السابق، ص ٤١٢.

يا اما حرم علينا لبنكِ

والرضيع والسقو منكِ (السقو: السقاية، أي أن نشرب اللبن منك)

تروحي تفكي اللي ضمنكِ (أي تذهبين لتخلصي من ضمنك)

واقرئيه مني السلام

** ** **

غزاله تكبر.. ريمه تسعى

ف المذله والسقام

لقت النبي واقف

مع النبي حول المقام

قال: عمري ما ريت وحشٍ بيشرد

وياجي حالا قوام !!

** ** **

والتشابه – كذلك – في النهايتين للحكاية؛ إذ تنتهي الرواية الشفاهية – أيضا – بفك رهان الرسول، وفك أسر الغزالة، وإعلان اليهودي إسلامه. وتستخدم الرواية الشفاهية نفس المفردات – التي استخدمتها الرواية المدوّنة – مثل كلمة "الصياد" للدلالة على اليهودي. غير أن الرواية الشفاهية استخدمت صفات أكثر جرأة في وصف اليهودي، وهو ما لم تستخدمه الروايات المدوّنة، ومن هذه الصفات، صفة "النعيل" التي استخدمها الرسول للدلالة على اليهودي، ثم استخدمها الراوي – أيضا – للدلالة عليه.

قلّه: يا نعيل[١] سيّب رسنها (نعيل: ملعون، سيب: اترك، رسنها: حبلها)

يا نعيل سيّب رسنها

وانا محمد ضامنها

لما محمد ضامنها

النعيل سابي رسنها (سابي: ترك)

كما أن هناك اختلافا بينهما على مستوى الشكل الشعري؛ إذ تستخدم الروايات المربع كشكل شعري لها، ذلك المربع الذي يقوم على أربع شطرات ذات قافية واحدة فيما بينها، وتختلف عن بقية مربعات القصة. أما الرواية الشفاهية فتعتمد على المربع، الذي يتكون من أربع شطرات، تتفق ثلاثة منها في القافية (وهي الأشطر الأول والثاني والثالث) ويختلف الشطر الرابع معها في القافية، ولكن قافية هذا الشطر الرابع تتوحد وتتكرر على مدار القصة كلها. وإذا كان الهدف من مثل هذا القصص هو إثبات المعجزات النبوية وتأكيدها، فإن هذا الأمر الذي تحقق هنا، لم يكن غاية هذا القصص فحسب؛ إذ يستوقفنا هنا استخدام القصة لحيوانين من الحيوانات الصحراوية، هما "الجمل والغزالة". وتعلل نبيلة إبراهيم سبب استخدام الراوي لهما في هذه القصة بقولها: (فالأول رمز للجلد والصبر وقوة التحمل، والثاني رمز للحرية والانطلاق. ولهذا فقد جعل القاص الحيوان الأول يشكو ظلم الإنسان عندما تنكر لخدمته الطويلة له في صبر وجلد وتحمل، كما جعل الثاني يشكو أسر الإنسان له وحرمانه إياه من حرية الحياة مع أبنائه، وفي كلتا

---

(١) وكلمة "نعيل" من الكلمات التي حدث لها قلب مكاني، فأصلها "لعين"، وهي صيغة مبالغة على وزن "فعيل"، وهي تحمل نفس معنى اسم المفعول منها، أي تستخدم هنا بمعنى "الملعون".

الحالتين لا يريد إلا أن يشبع بطنه من لحم الحيوانين)[١]. فالراوي أراد أن يغرس في جمهوره قيمتي البحث الدائم عن الحرية، وما يتطلبه ذلك من تحلٍ بالصبر على الظلم والغدر، حتى تسنح الفرصة للقضاء عليه.

(٤ - ٢)

اليهودي في قصة "ميمونة واليهودي"

تدور القصة حول شخص يهودي يؤمن بعبادة الأصنام/ الأحجار، وعنده جوارٍ وأموال كثيرة، ومن بين هذه الجواري جارية مسلمة اسمها "ميمونة"، تعبد الله وتؤمن برسوله، وهو ما أثار غيظ اليهودي، فأراد تحويلها إلى عبادة الأحجار، وأغراها في سبيل ذلك، ولكنها رفضت وأصرت على إسلامها. فعرض اليهودي ميمونة للبيع، فاشتراها يهودي آخر، وألحق بها كل ألوان العذاب؛ ليثنيها عن دين الإسلام، ولكنها صبرت وتحملت كل ذلك لحبها للنبي ودينه.

صار يضربها على الجنبين

وهي تقول جد الحسنين

أنا ما انساش كرامتك يا زين

لو قطعوني أشبار أشبار

** ** **

(١) نبيلة إبراهيم: المرجع السابق، ص ٧٨.

اليهودي ساحب خنجر

وجرده من فوق حجر

خلاه طايب أبو ضمير أصفر

حامي ويحلف أغلض الأشعار

** ** **

قال اليهودي مدي ايديكي

ذنوب وخطيه عليكي

كل ده عشان نبيكي

بتقولي يشفع من حر النار

** ** **

ميمونه تمد أول ايد

وهي بتكتر من التوحيد

وتقول فرجك يا رب أكيد

انت اللي ع الظالم و ع الجبار

** ** **

ويقوم اليهودي يقطع إيديها

وزنودها واكتافها ورجليها

وبالخنجر خزق عنيها

يا مُطَّلع يا رب يا ستار(١)

** ** **

---

(١) زكريا الحجاوي: مرجع سابق، ص ٤١٦، ٤١٧.

ثم أخذها اليهودي وألقاها بجوار المقابر بعد أن أخذ منها حليها وجواهرها، فظهر لها النبي – ومعه عليّ بن أبي طالب – وأعاد إليها صحتها، وطلب منها أن تعود إلى منزل اليهودي، فوافقت وعادت، فاستقبلها اليهودي بالترحاب؛ إذ في هذه الأثناء جاءه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وسألاه عن الجارية ميمونة، فأخبرهما أنها في الخارج لقضاء بعض الحاجات، وتراهن معهما على مائة جنيه؛ يدفعها لهما إذا لم تعد في الغد. وعندما عادت اصطحبها مع أولاده إلى منزل الرسول، وطلب منها أن تسبقه إلى الرسول، على أن يلحقها هو وأولاده، وبمجرد أن اختفت عن عينيه أخذ أولاده وفر هاربا.

إن هذه القصة – وعلى نحو ما هو ملاحظ – من القصص الوعظي الذي يحكى عن بدايات الرسالة المحمدية، وما لاقاه المسلمون الأوائل من تعذيب وإيذاء على أيدي المشركين، عبدة الأصنام. وكما هو واضح فالقصة حدث بها تحول مهم، أو ما يُسمى ب"التماثل التاريخي" فلقد استبدل الوجدان الشعبي بالمشرك، عابد الأصنام، يهوديا، فأحل اليهودي محل المشرك، وأضفى على اليهودية سوءات عبادة الأصنام القديمة واليهودية المعاصرة. فهذا اليهودي – وعلى نحو ما تحكي الحكاية – يعبد "الحجر الزنار"، ودعا ميمونة إلى عبادة الأصنام:

قال اليهودي أما أقول لك

ما تذكريش النبي عمرك

مال اليهود والحجر أحسن لك

قومي اعبدي الحجر الزنار(١)

(١) المرجع السابق، ص ٤١٤.

وهو رجل جبار وعنيد ومتكبر، وملعون على حد وصف الراوي له:

كان (يهودي) في خيبر

راجل يهودي لكن جبار

وسط اليهود متكبر

عنده عبيد وخدم وجوار (ص ٤١٣)

أي أن الوجدان الشعبي العربي راح يردد رواية ذلك القصص الوعظي القديم، بعد أن أحل اليهودية واليهود - بوصفهم الأعداء الجدد للمسلمين والإسلام - محل عبادة الأوثان والمشركين - الأعداء القدامى - مستخدمًا في ذلك الراوي موتيفات قديمة، مع إضفاء الطابع اليهودي عليها. ولقد صحب ذلك تحول على مستوى النهاية، فلم يكتفِ الراوي بمجرد إعلان اليهودي لإسلامه أمام الرسول، على نحو ما هو متواتر في ذلك النمط من القصص الديني القديم، وإنما أنهى القاص الحكاية هنا بمساعدة الرسول والصحابة ل "ميمونة"، وفرار اليهودي وأولاده من المدينة؛ خوفا من إيذاء المسلمين لهم. وهو أمر جدير بالملاحظة والتوقف أمامه؛ بهدف التعرف على المغزى الذي يود الراوي الشعبي غرسه في نفوس سامعيه، والمتمثل في أنه بالرغم من تجبر اليهود وتعنتهم وتكبرهم، فإنهم لا يصمدون أمام قوة تحمل المسلمين والعرب؛ إذ سرعان ما يلوذون بالفرار والهرب عند المواجهة.

(٤ - ٣)

صورة اليهودي في قصة "خضرة الشريفة واليهود"

وتحكي الحكاية - حسب الرواية التي سجلها زكريا الحجاوي - عن رجل سلطان غني، كثير المال والثروة، ولم يرزق بمولود، ونظرًا لقربه من الله ودعائه الدائم له بأن يرزقه بمن يخلف تركته، فقد استجاب الله لدعائه، ورزقه بابنة أسماها "خضرة". ونظرًا لذكائها الشديد، فقد أرسلها والدها لتتعلم العلوم الدينية والدنيوية:

وأبوها من حبه فيها	وداها في الكُتّاب تقرا

سبع سنين قرت وعادت	يا غفلان وحد الله

حافظة القرآن على صحة تمام	مية وأربعة.. وعشرة

متعلمة (في حفظ.. الماضي)	لكن المكتوب غصب بيجري[1]

وفي يوم شم النسيم خرجت خضرة لكي تتفرج على الحدائق، ولتحتفل بالعيد، فتصادف مرور موكب ابن سلطان اليهود، الذي ما إن رأى خضرة حتى تعلق قلبه بها، فأخبر أمه بما حدث له، فدعت العجائز؛ كي يساعدنها في إحضار خضرة لابنها، فتكفلت إحداهن بذلك. تنكرت تلك العجوز - التي ينعتها الراوي باليهودية، دون أن ندري ما إذا كانت يهودية الديانة أو الطباع - في زي درويش، وارتدت زي الدراويش وأمسكت مسبحتهم، وقصدت منزل خضرة. واقتنعت خضرة وأمها بأن هذه السيدة من الدراويش، فطلبت العجوز من خضرة أن تصحبها معها ليشاهدا الغليون والموكب؛ إذ أقنعت العجوز خضرة وأمها أنه غليون المسلمين، فرفضت الأم وابنتها ذلك، إلا بعد موافقة أبي خضرة؛ إذ ليس لخضرة أن تخرج دون إذن أبيها. يوافق الأب فتصطحب العجوز الماكرة خضرة وجواريها وبنات عمها، ورغم تشكيك خضرة في هوية اليهود، فإن العجوز تقنعها بأنهم مسلمون، وتسميهم أسماء إسلامية (حيث اختارت اسم "عبد الله" لكبيرهم). وتخطط العجوز حتى تعزل خضرة عن صديقاتها، ويصعدان الغليون في البحر، وينطلق بها اليهود، ويضعون القيود في أيديها وأرجلها.

زعق (النفير) لموا الحبال	عوم بها في وسط البحر

ولما خدها وراح لبعيد	وسك فيها قيدين حديد

---

(١) زكريا الحجاوي: حكاية اليهود، ص ٤٢٥.

قيد في الرجل، وقيد في الإيد	من خوفه لا تنط البحر
خضره تشاور... للبنات	والنخل يبكي.. والنبات
يا ولاد عمي قولوا لأمي	خدوها (اليهود) لبلاد بره[1]

وتصل العجوز بخضرة على بلاد اليهود، فما إن يرى سلطان اليهود خضرة إلا ويتمنى اللقاء بها، فتأبى ذلك، فيضربها ويعذبها ويدعوها لترك الإسلام والدخول في اليهودية، وارتضائه زوجا له، فتصر على الرفض:

وقام عليها أهل الجود	صلب الشريفة جنب عمود
وجاب لها كرباج م السود	شبعان من شحم البقرة
وبقى يضربها على الجنبين	ويقول لها فين ربك فين
المال وبس، لا بعده دين	ولا قبله ولا فيه آخره...
أنا بأقول الرب المال	وفي إيدي لا عالي ومتعال
أحيي وأموت كده في الحال	والدنيا ملكنا يا خضره (ص ٤٣٧)

حدد اليهودي موعدا للدخول على خضرة والزواج بها، فاستغاثت بالسيد البدوي وبالأقطاب الصوفيين من كل أنحاء مصر، ويعدد الراوي أسماء الأقطاب من كل مصر. ويدخل السيد البدوي في مبارزة مع اليهودي:

قام اليهودي مد دراعه	قال له اضرب على دراعي عشره
قام ضربه السيد في دراعه	خلّى دراعه مايل لورا
صرخ (اللعين) آه يا دراعي	طعناتك يا أقرع لم تبرا

(١) المرجع السابق، ص ٤٣١.

وطلع هربان دخل (الديوان)　　　وقال امسكوا ده يا قفرا

آدي (اليهود) جت ع السيد　　　زي الجراد المنتشره ...　(ص ٤٤٧)

ومد إيده الطنطاوي　　　وشال الشريفة المعتبرة... (ص ٤٤٧)

وتنتهي الحكاية عند هذا الحد بعودة خضرة الشريفة إلى بلاد المسلمين، وإلى أسرتها، والقضاء على اليهود أو فرارهم.

وتأتي أهمية هذه القصة على مستويات عدة، منها: تصوير عقلية اليهودي وطبائعه وعاداته وتقاليده، التي تختلف عن عادات المسلمين، مثل أكل لحم الخنازير، وذبح البقرة. كما أن الراوي الشعبي الأمي تمكن من الوقوف عند أدق تفاصيل العقيدة اليهودية، مثل الحديث عن حب اليهود للمال، الذي يصل إلى حد العبادة، واستخدام أسماء يهودية، مثل "روبين"، واستخدام الصلب أداة للتعذيب. و"خنزوانة" اليهود، أي أنهم يسمعون اللعنات والسباب والإهانات من أعدائهم دون أن يلقوا لها بالا، بهدف الوصول إلى أهدافهم، والإشارة إلى "ذبيحة السلامة"، ذلك النذر" الذي ينذره اليهود عندما يكونون فوق كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء"[١]. كذلك تتبدى أهمية هذه القصة إذا أخذنا بالرأي القائل برمزية القصة، أي أن خضرة الشريفة هي رمز لمصر. ويتأكد هذا الرأي إذا تأملنا الصورة التي رسمها الراوي الشعبي لشخصية خضرة، في تدينها وشجاعتها وصبرها وعذريتها، والتأكيد مرارًا وتكرارًا علــى تلك العــذرية، وعــدم قــدرة اليهود على تدنيسها أو المساس بها، والكشف عليها للتأكد من ذلك.

وأبوها من يومها ما نامشي　　　ويبص يلقاها خضره

جابوا الدايات كشفوا عليها　　　لقوها بنت بختم الله　(ص ٤٤٨)

---

(١) زكريا الحجاوي: المرجع السابق، هامش ص ٤٣٩.

كما تتبدى لنا تلك الرمزية في تغطية الراوي لكل أنحاء مصر وذكره لمعظم مناطقها، وأقطابها الصوفيين، الذين هبوا لنجدة خضرة الشريفة/ مصر من أيدي الأعداء/ اليهود؛ إذ إنهم بمجرد أن استنجدت بهم خضرة، لبوا النداء وتحقق لهم إنقاذها والقضاء على اليهود أو طردهم. ولا يكتفي الراوي بذلك بل يضفي على خضرة الشريفة صفات مصر وكناها، من قبيل "المحروسة"، ليتأكد ذلك الربط بين خضرة ومصر. فمعروف استخدام مثل هذه الأوصاف للدلالة على مصر.

رواية شفاهية ثانية للقصة

لا تختلف الرواية الشفاهية الأخرى للقصة، التي قمت بتسجيلها[1]، كثيرا عن الرواية السابقة، خاصة في الخطوط العريضة للقصة. فلقد اختزل الراوي كثيرًا من التفاصيل، واختلفت عنها في بعض الأمور، فالحكاية تبدأ مع يهودي يُعجب بخضرة الشريفة التي ترفضه، فيتفق مع عجوز ماكرة كي تساعده في الوصول إليها، مقابل أن يعطيها كيسا من المال، فتوافق على ذلك. وتتنكر تلك العجوز في زي درويش، ويتنكر اليهود في زي دراويش متصوفة:

العجوزه دي قالت له: كل الغلايين سافرت

وانت قاعد ليه يا منعولي؟

قلها: دانا قاصد بنيه يا امًا العجوزه

وساكنه ف الناحيه دي

---

(١) الراوي محمد محمود إبراهيم (وشهرته أبو فهيم)، عامل زراعي بالأجر اليومي، لا يعرف القراءة أو الكتابة، محافظة قنا، مركز قفط، قرية كفر المؤمنين، تم التسجيل معه مساء السبت، ٧/ ٢/ ٢٠٠٤م.

ماتجيبهاليش وأنا أديكي طربوش مالي[1] !!!

قلت له: أجيبهالك أنا قوام يومَ لي

ماسكالها سبحه تترجم كالولي

برت الصابونه ع الشلاليف وبقت تطفطف[2]

قالت: يا شريفه من فوق العالي انزلي

اتفرجي ع اللربعه اللقطاب[3] بإمامهم علي

ولا تسمي الحكاية ذلك الشخص، بل تستخدم صفة "الملعون" أو "المنعول" للدلالة عليه على مدار القصة، في حين يستخدم الراوي لفظة "اليهودي" مرة واحدة في القصة، فالراوي دائم المرادفة بين اليهودي وصفة الملعون أو "المنعول"، المشتق من اللعنة، وهو دعاء عليه، أكثر منه وصفا له. وتؤكد تلك الرواية أن خضرة الشريفة من بغداد، كما تؤكد عراقة نسبها وأصلها؛ إذ تُنسب إلى النبي.

أنا شريفة من أرض بغداد

والنبي الزين جد لي

وتستغيث خضرة الشريفة بالسيد البدوي وبأقطاب الصوفية، فينجدونها. وتنتهي تلك الرواية – أيضا – بنجاح السيد البدوي في القضاء على اليهودي، وإعادة خضرة إلى أهلها وإلى ديار المسلمين، "السيد خطفها كالبرق لعلع ف السما".

---

(١) ينطق الراوي كلمة "مالي" كما لو كانت "ملي"، والمقصود بها "مال".

(٢) المقصود أنها احتالت عليها، فزعمت أنها رجل من الأولياء الصالحين، وإمعانا في تلك الحيلة، أسالت الصابون على فمها؛ لأن من علامات الصوفية أو "الدروشة" في الوجدان الشعبي أن يسيل الماء واللعاب من فم الدرويش على جانبي فمه، دون تحكم منه في ذلك.

(٣) الأقطاب الأربعة.

رواية ثالثة للموال القصصي في شكل حكاية نثرية:

ففي حكاية "السيد البدوي وخضرة الشريفة[١]"، يذكر الراوي أنه في فترة الحكم التركي على مصر، قام اليهود بخطف خضرة الشريفة. وكان البدوي مكبلا بالقيود في السجن، فنادى على كبار المشايخ والأولياء؛ لينجدوا خضرة الشريفة من أيدي اليهود. وبالفعل تمكن هؤلاء المشايخ من خطف خضرة الشريفة من عند اليهود، وإعادتها إلى بيتها؛ قبل أن يدنسها اليهود. كما استطاع هؤلاء المشايخ والأولياء من نهب بعض الأشياء من اليهود، بما في ذلك الحصان الذي اختطفها عليه اليهود، والتي أصبحت بعد ذلك مزارا يُدَّنسها دينيا.

وتتبدى في تلك الحكاية – برواياتها الشفاهية المتعددة – صورة اليهودي المغتصب للأرض والعرض والشرف. فاليهودي يسعى بشتى الطرق للاستيلاء على تلك الفتاة العربية المسلمة، فيوسط العجوز لتحقيق ذلك. وأخذا بالمنهج الرمزي في تحليل الحكاية، فإن الحكاية تصور اليهود بالمغتصبين لأرض العرب، (سواء كانت مصر أو العراق حسب الرواية)، وسعيهم الدءوب في سبيل ذلك، وما العجوز سوى رمز للخونة الذين يغريهم اليهود بالمال، فيتعاونون معهم، لكنهم يفشلون في تحقيق مآربهم. وتؤكد الروايات المتعددة للحكاية أن أرض العرب ستظل قادرة على مواجهة تلك التحديات بفضل أبنائها المخلصين.

---

(١) عبد الحميد عبد الفضيل محمد رحيم عيسى جويّه، محافظة الفيوم، مركز يوسف الصديق، قرية المشرك قبلي، تم التسجيل معه مساء الأحد ٢٠٠١/٩/٩م.

ملحق الحكايات والمواويل الشعبية للفصل الثاني

حديث

"اليهودي والإمام الشافعي" (*)

كان يا سيدى واحد آه م اليهود ... جا للأمام الشافعى. وقُلّه ربنا بيعمل آه؟ قُلّه: كل يوم هو فى شأن ... فَقُلّه: ما شان ربك فى مثل هذا اليوم؟ قُلّه: بيرفع أقوام، ويخفض أقوام ... يعنى اليهودي عايز يقُلّه ... عايز يغلّطه ... أو بالمعنى الأصح ... عايزه يزعل[1] ... وان زعل اليهودي هيا خد أجر م اللى كاريه[2] فاليهودي اتلفت كده: وجا ماشى ... قُلّه: استنّى ... قُلّه آه؟ قُلّه: سامحنى الأول ... قُلّه: اسامحك كيف؟ ... قُلّه: انت جاى تزعّلنى ... قُلّه: أيوه ... قُلّه: ولك أجر ... قُلّه: بس انا مازعلتش ... يبقى عرقك عند مين؟[3] انت كان هيدّيك كام؟ قُلّه: كان هيدّينى خمسه جنيه ... قُلّه: خد ستّه. وعاود اليهودي مقروف[4] ... إنّ مازعّلش ... دى حتّت ع الجماعه اليهود ... بالذات • لإنّ يمكن اليهود دوّل قُدام، وهم ضد البشريه ... من • يعنى من أول ابتداء الدنيا ... واليهود ضد البشرية ... بس.

(*)المؤدي: الحاج / عبد القوى معوض ـ مواليد ١٩٢٣ ـ فلاح ـ أمي ـ متزوج ولديه خمسة أولاد ـ مسوتة ـ يوسف الصديق ـ فيوم- تم التسجيل معه مساء الثلاثاء ٢٠٠١/٨/٧ ـ والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) **عايزه يزعل**: يريد أن يغضبه.

(٢) **اللى كاريه**: الذى استأجره.

(٣) **عرقك عند مين؟**: أجرك عند من؟.

(٤) **مقروف**: وهو متضايق.

حديث

"الأعمى والأبرص والأقرع والملك الإلهي"(*)

هسمّعك قصة تلاته كانوا... تلاته واحد أبرص، وواحد اقرع، وواحد أعمى... وجالهم ملك نزل الأرض ف صورة آه ... ف صورة ... بِنى آدم ... جا الأقرع ... قلّه: اشفيك م المرض، وِتختار آه؟ تختار آه ... م المال؟ قلّه: اختار جمَال. وجا للتانى... طبعاً اللبرص قلّه: اختار جِمال... اللقرع قلّه: تختار آه؟ قلّه: اختار غنم. اللعمى. قلّه: اختار بقر ... وهيشفيهم ... شفاهم وكل واحد عطاله من المال اللى هوّ اختاره ... واللى عنده جْمال ... بقت عنده جْمال م الأُلُفات، واللى عنده غنم بقت عنده غنم م الألفات، واللى عنده بتاع ... بقر ... بقت عنده بقر م الألفات ... سابيهم مسافة كبيره، ولف وجالهم تانى... ف صورة واحد ... على باب الله... راح للقرع ... قلّه: ادّينى مما أعطاك الله ... شوف بقى ... قلّه: ادّينى مما أعطاك الله ... قلّه: دا ورثْ عن ابويا، وعن جدودى، وعن اللى خلّفونى ... أدّيك آه؟ ! قلّه: ادّينى مما أعطاك الله ... شوف هوّ ف الأوّل. قلّه: هشفيك ... وِتختار آه م المال؟ ربنا سبحانه وتعالى بقى. عطاله ... ورجع لمّا لف لف تانى. قلّه: ادّى لك منه !، مافيش. اطلب من الله. انْ يرجع ف الصوره اللى هوّ كان فيها. دا اللقرع ... جا اللبرص قلّه: ادّينى مما أعطاك الله ... اللى هوّ صاحب الجمال. قلّه: ادّيك مناه؟ ! دا ورثْ عن ابويا وعن جدودى وعن ... و ... و ... و. العقد آه ... مارْضيش يدّى له حاجه. اطلب من الله ... ربنا سبحانه، وتعالى... يرجع ف الصوره اللى كان فيها. كلّه راح. بقى لقرع أقرع ... واللبرص ابرص. جه للاعمى بقى. قلّه ادّيني مما أعطاك الله قلّه: المال: مال الله، واللى انت عايزه خده يا عم. قلّه: كده ... قلّه: أيوه. قلّه: يا رب زيـــده م اللى هوّ فيه ... يا رب زيـــده ... م اللى هوّ فيه. طبعاً هوّ زاد.، ودكهم رجعوا للمكان ... اللى هوّ أقرع أقرع ... واللى كان أعمى ... ورجع، والمال كلّه نزل الأرض.

(*) المؤدي: سعد خليل عبد المطلب ــ ٥٣ سنة ــ مساعد شرطة ــ متزوج ولديه سبعة أولاد؛ منهم ولدان متزوجان ــ منطقة السلخانة ــ مركز الفيوم ــ تم التسجيل معه عصر الجمعة ٢٠٠١/٨/٢٣ــ والعنوان من اقتراح الباحث.

حديث

"السيد البدوى وخضره الشريفه"(*)

خضره ديــت خطفوها اليهود ... خطفوها اليهود[1] دى لها مقـــام ف طنطا برده ... سليم؟ خطفوها اليهود ... دا كان ساعتها. الحكم ف مصر ... للترك ... سليم؟. فهوّ ساعتها ... متكلِّب ... مكلِّبينه بالحديد[2] ... قبل مايخطفوها ... كلّبوه بالحديد وخطفوها. فنادى وهوّ نايم ... هناك ف السجن نادى ع المشايخ ... سليم؟ فالمشايخ راحوا البيت بتاع اليهودي. راحوا سرقوا كل حاجه. حتى الحلل سرقوها بتاعة الفرح، وخطفوا خضره، وجابوها ... وخطفوا خضره ... حتى الأمثلة الشعبية تقَلّــك: " عبد العـــال يـــامـــا عمل ليله خضره " ... خضره دى كـــان لِها آه ... قصة ف الكتب لما ترجع انت تقراها ... تلقى مشايخ المنطقة أو مشايخ الدوله ... فزعوا لخضره[3] الشريفه ... عشان مايدنسهاش اليهودي ... كل واحد منهم سرق حاجه. حتى إنّ الفرسه اللي كانوا واخدينها عليها اليهود. جابوها ... وربك أمرلها إنها تموت فى مكان ... ف الأرض ... وهُمّ جارّينها. ف لحد فتره طويله مــن الزمـــن. الفرسه كانت موجودة كتمثـــال ... حجر مـــش فـــرس. مدفون نصهـــا ف الأرض، ونصها ظاهر. فده يدل على أن المشايخ أو أولياء الله الصالحين لهم دور.

(*) المؤدي: عبد الحميد عبد الفضيل محمد رحيم عيسى جويه ــ مواليد ١٠/١٠/١٩٤٣ ــ متزوج ولديه أولاد ــ المشرك قبلي ــ يوسف الصديق ــ فيوم ــ تم التسجيل معه مساء الأحد ٩/٩/٢٠٠١. والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) هنا سأله الباحث: " خضره دّيت اللى هىّ أم أبو زيد؟. فقال المؤدى: لأ. ".

(٢) متكلّب ... مكلّبينه بالحديد: وضعوا الحديد (الكلابشات) فى يديه.

(٣) فزعوا لخضره: انتصروا لها.

مثل

"الكريم والخواجه والديب والحيّه"(*)

كان فيه جماعه، والجماعة دَولَةْ ... كانوا عاملين تِكيِّه[1] ... تكيه من بتاع زمان، وبعدين برده ادّهدرت عليهم اللّيام[2]، أما ادّهدرت عليهم الليام قفلوا التكيه، قلّها: يا وليه يلي دا احنا هننكشف[3] ... للوليه ...قلّها: احنا هننكشف هنا، ويلّى خلينا نقول ... أرض الله لخلق الله[4] ... ماشى ... فخدت بعضها ودنها ماشية معاه، ومشوا ف الجبل ... جه عليهم الليل ...لما جَه عليهم الليل، وبيّتوا وصحيوا ... الوليه قلت له انا جعانه ... طبعاً يراعى كده يقلّها: النور ديده جاى ... البلد قرّبت آ هى ... ده ف وسط الجبل برده ... حوّد[5] ... الوليه قلت له: عطشانه ... حوّد ع البير ... على بير لقيه ف الجبل، وجاره سطل راح مطرطر السطل كده، وراح آه ... وراح جايب ليا شوية أميه ... شِربت، وشربت شوية اللّمّئ، وخد بعضه ومِشى وجه عليه الليل ... أما جه عليه الليل جه عند آه ... ف حته وجه راقد ... قعد فقعدت بيّتت الوليه وصحيت قلت له: جعانه فطبعاً آه فاتوا على حاجه كده اتقوّتت منهـا[6]، وقلت له: عطشانه قلّها آه: هسقيك ... هنعاود ع البير ... عاود ع البير[7] لقى السطل هوّ ... هوّ فراح منّزل السطل، وطلّع شوية

(*) المؤدى: عبد الله محمود حسن – ٦٦ سنة – أمـي – فلاح – متزوج ولديه ولدان – عزبـة جرجـاوي – الروضة – مركز طامية – تـم التسجيـل معه ظهيرة الأحد ٢٠٠١/٩/٢٣. تم التسجيل معه ظهيرة الأحد ٢٠٠١/٩/٣١ – والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) تكيه: مكان لاستقبال الضيوف، والغرباء.

(٢) ادّهدرت عليهم اللّيام: جار عليهم الزمان.

(٣) الولية: زوجته؛ والمقصود: هيا بنا نبتعد عن هذا المكان، ونسكن مكاناً آخر؛ لكى لا يعرف الناس (ضيوفاً وغرباء) بما آل إليه أمرنا.

(٤) المقصود: أن نبحث عن مكان نستقر فيه فى دنيا الله الواسعة.

(٥) حوّد: غير اتجاه سيره.

(٦) اتقوتت منها: تناولت قليلاً من الطعام.

(٧) وهنا رفع المؤدى نبرة صوته.

اللميه أول مره، وتانى مـــرة نَزّلهُ ... وبيشد فطلع معاه آه ... طلع معاه ... قرد[1] ... ديب ... طلع معاه ديب ... قام طل كده ... قله: يا وليه دا ديب ... يقله: شدْ قله: شد طلّعنى ... شد طلّعنى ... ويبقى' لك عندى خدمه [2] شدّه ...طلّعه وخد بعضه ومشى ... مشى تانى يوم، وعاودوا ع البير يشربوا وراح منّزل السطل ... طلع عليه ... طلعت عليه حيه، ونطقت بأمر الله ... قلت له: طلّعنى ... أه ! طب ودى حيه يا وليه نطلّعها؟ ... تقرصنا ولا ... قلت له: طلّعه ... طلّعها ... طلّعها ... قلت له: يبقى' لك عندى خدمه ... خدت بعضها ومشت ... صن اشوى، ونزل السطل وبيطلّع شوية اللّميه تانى ... طلع معاه واحد ... خواجه ... خواجه مكشمر[3] كده ما فيهش فايــده ... قله: شد ... خواجه ... بطربوش ... شدْ طلّعنى يبقى' لك عندى خدمـــه ... قله: ماشى ... طلّع الخواجه، وراح آه ... الخواجه شد طربوشه وقله: يبقى' لك عندى خدمه ... ماشى ... فضلوا ما شيين ف الجبل ... هوه والوليه – طلع بقى الخواجه وطلع الحية وطلع الـــ [4] ... ديب ... الديب ... طبعاً هوّ مشى ف الجبل، هوّ والوليه، وبص لقى آه شويه بيعوّوا[5] زى الديابه ما بتعوّي لامؤاخذه فيه ديابه هنا بتعوّى كتير، فالديب اللى هوّ طلّعه راح باصص لعياله. وقله: حاسب دا الراجل ده له عندى خدمه ... لك عنده خدمه ... فجه حوالين خيشه بتاع واحد مشرقى[6]، وقال له: خد شوية الغنم دول عوّى حوالين شوية الغنم ...الغنم ظاطت[1] راح واخد شوية الغنم هوّ والوليه وراحوا ماشيين ... مشيوا ... خدوا بعضهم وروّحوا بشوية الغنم وباعوا وآه ... الولية بتولّى قدام النعجتين[2]... عتْرت ف صـــرة دهـــب بتشغى[3]... أما عتْرت ف صرة

(١) ينطقها المؤدى بهدوء وبطء.
(٢) وهنا رفع صوته.
(٣) للدلالة على سوء خلقه وخلقته.
(٤) سكت قليلا فأكمل له الحاضرون فى صوت واحد " الديب ".
(٥) بيعوّوا: أى يعوون مثل الذئاب. (وهنا أصدر المؤدى أصواتاً تشبه عواء الذئاب).
(٦) مشرقى: أى يعيش فى الجبل.
(١) الغنم ظاطت: هاجت فيما بينها.
(٢) الولية بتولّي قدام النعجتين: المرأة تتسرع الخطى أمام الغنم.
(٣) عترت ف صرّة دهب بتشغى: عثرت على (أو وجدت) كمية من الذهب تلمع أو التى لها بريق.

الدهب وهيّ ماشيه ... خدتها تحت باطها [٤] ... والغنم وروّحوا ... قلت له يا راجل ... هنفتح التكيه ورزُقت ... والحمــد لله ... ماشي ... شوية الدهب طبعاً ... دهب. دهب طبعاً بقى ... دا بتاع ربنا مش ... ربنا سهله، والوليه قلت له: خد شوية دهــب كمان ... نبيعهم نسّاعد على ... والنعجتين واقفين ... بيعهم وافتح التكيه ... ماشى[٥] ... راح خد شوية الدهــب، واتوكّل ع الله ... على مين؟ على واحد خواجه ما يعرفوش بقى ... الخواجه اللى هوّ آه ... الصايغ [٦] دخّل الراجل بشوية الدهب ... شويه كده – ربنا يسهلّهم ويفتحوا التكيه ... ماشى ... اتوكل ع الله ... فأول ما دخل ع الخواجه ... الخواجه متبلّغ م الملك بتاع البلد إنه السيغة بتاعة وليته رايحــه ... الصيغه بتاعــة وليته ... رايحــة فبلّغ الصيّاغ ...بتاع مركز طاميه، فاتوكل ع الله قلّه: مرحبه ... عادة الصايغ أما تخش يقعّدك[٧] ويجيب لك شاى، ويجيب لك حاجه ساقعه، ومرحبه ... أهلاً وسهلاً ... على ما الراجل بيشرب ف الشاى ولاّ ف الساقعه كان الخواجه مبلّغ مين؟ صحبات الدهب[١] اللى هوّ الملك الفلانى ... الدهب بتاع مراته ورايح ... ماشى ... يّلا اتوكل ع الله ... بص لقى ... اللى هو جايب بقى شوية الدهب ... راحوا شايلينــه شيله ... بيله[٢] ... ماشى اتوكل ع الله وراح المركز، وقفلوا عليه السجن، ولقّحوه والصيغه بتاعتك اهى يا ملك ... دا الخواجه ... اتوكل على الله راح واخد شوية الصيغه ... الملك وروّح، ...، وبيّت وصبح صاحبنا آه ف السجن ...اللى هوّ بتاع شوية الدهب اللى الولية لقياهم ...ماشى ... اتوكل ع الله، ورقد الراجل رقد يوم

---

(٤) المقصود أنها أخفتها أسفل ذراعها.

(٥) بقولها المؤدى بنبرة تدل على مدى سعادة هذا الرجل.

(٦) ينطق " الصاد " كما لو كانت " سيناً " لذا وضع الباحث حرف " السين " الصغيرة للدلالة على ذلك، وهكذا الحال مع كل مشتقات الكلمة.

(٧) لا ينطق المؤدى القاف، ولذلك وضع أسفلها حــرف " الميم " الصغيــر، وينطــق " العين " بالتضعيف.

(١) صحبات الدهب: أصحاب الذهب.

(٢) تعبير اصطلاحى للدلالة على أنهم أخذوه بما معه.

واتنين وتلاته ف المركز ... فصحي م النوم[٣] ... لقى هاتف بيقلّه يا فلان ...اللى هوّ مسجون ...يا فلان قلّه: قوم ... آنا هروح ...اللى هىّ الحيه[٤] ... اللى هىّ ... الحيه[٥] ... اتوكل على الله وقلّهم انا هروح من هنا ... هلف على رقبة ابن الملك تلات لفات، والرابعه، وانت هيجولك، ويقولوا لك ... فلان والله ابن الملك لفّت على رقبته الحيه تلات مرات، وجبنا جميع الحووا[٦] وجبنا الشرقى وجبنا الغربى عشان يحلّه ... مافيش فايدة فانت هتقوم ... هتسمع من برّه ... م اللى ع الباب ... قلّهم انا احلّه ... قلّهم: انا احلّه وانت هتيجى مش هتقول أكتر من تعالى على حجْرى بأمـــر الله. يبقى طبعاً آه ... هتطلع م السجن، واللى يعمله ربنا ياما يشيل ... هاتف بقى وهىّ بتصحّيه... فطبعاً قلّهم انا احلّه، طب واللى مرمى ف السجن ديده هيحل كيف؟ ويعمل كيف؟ قلوله: يمكن من بتاع الحواه ... بتاع اللى بيسرحوا[١] ... حاوى ... طلّعوه ... طلّعوه خليه يـــروح ليا فطبعاً آه ... طلّعوه ... وطلّعوه وطبعاً قلّها آه ... تعالى على حجْرى بأمر الله، راحت ملفوفه تلات لفات وراحت جايّه على حجره، وبأمر الله راحت ...[٢] وراحت وادى خدمة آه ... الحيه الأخرانيـــه ... الحية[٣].

---

(٣) فصحي م النوم: استيقظ من نومه.
(٤) قالها بصوت هادئ منخفض.
(٥) عندما كررها رفع نبرة صوته.
(٦) جميع الحووا: كل الحواة الذين يتعاملون مع الثعابين والحيات.
(١) اللى بيسرحوا: الذين يبحثون فى الأرض عن الثعابين والحيات.
(٢) يقولها ببط وبصوت هادئ جداً يكاد لا يسمع.
(٣) وهنا رفع نبرة صوته فجأة.

ملاحق المواويل الشعبية

ملحق رقم (١)

قصة اليهودي والغزالة[1]

زاد في طه مديحي

وصاحب الوجه المليحي

وصاحب الخد الرجيحي

اين زمزم والمقام

** ** **

من عليه الظب سلم (الظب: يقصد الظبي، أي الغزال)

والبعير نطقاً تكلم

انتظر يا خلي وافهم

للمعاني وانتظام

** ** **

زاد في طه مديحي

وصاحب الوجه المليحي

وصاحب الخد الرجيحي

اين زمزم والمقام

** ** **

---

(١) الراوي محمد محمود إبراهيم (وشيرته أبو فييم)، عامل زراعي بالأجر اليومي، لا يعرف القراءة أو الكتابة، محافظة قنا، مركز فقط، قرية كفر المؤمنين، تم التسجيل معه مساء السبت، ٧/ ٢/ ٢٠٠٤م.

من عليه الظب سلم

والبعير نطقا تكلم

انتظر يا خلي وافهم

للمعاني وانتظام

** ** **

النبي قال: يا غزاله

.... فيه كحاله (التنقيط للدلالة على وجود كلمة غير واضحة المخارج والحروف)

تكلميني بلاش مجاله

واصدقيني ف الكلام

** ** **

قالت له: الصياد قنصني (قنصني: أسرني)

يا ضميري وافترسني

وسائبه* أولاد بطني (سائبه: سايبه، أي تاركة)

حائمين حول المغاره

** ** **

قلّه: يا نعيل سيِّب رسنها (نعيل: ملعون، سيب: اترك، رسنها: حبلها)

يا نعيل سيِّب رسنها

وآنا محمد ضامنها

لما محمد ضامنتها

التعيّل سابي رمتها (سابي: ترك)

** ** **

غزاله تكبر... ريمه تسعى

ف المذله والسقام

لقيت أولاد بطني

حائمين حول المغار

** ** **

في غيابك استقمنا

في ظلال البر هَنَّا (المعنى: لقد أصبح الأمر هينا علينا)

قلت لهم: لولا محمد قد ضمنا

كان فكك العظام

** ** **

قلها: يوم ترهني زين الوجود

ترهني حمر الوجود

الشفيع عند اليهود

يا اما حرم علينا لبنك

** ** **

ترهني زين الوجود

الشفيع عند اليهود

وترهني حمر الخدود

البهي عند اليهود

** ** **

يا اما حرم علينا لبنكِ

والرضيع والسقو منكِ (السقو: السقاية' أي أن نشرب اللبن منك)

تروحي تفكي اللي ضمنكِ (أي تذهبين لتخلصي من ضمنك)

واقرئيه مني السلام

** ** **

غزاله تكبر.. ريمه تسعى

ف المذله والسقام

لقت النبي واقف

مع النبي حول المقام

قال: عمري ما ريت وحشِ بيشرد

وياجي حالا قوام !!

** ** **

.. يعني.. كيف وحش.. يشرد من القيد، ويرد تاني؟!.. دا مش معقول ده.. دا حاجه.. ما تتخيلش..

قال: عمري ما ريت وحش بيشرد

وياجي حالا قوام

بانت منُه الشفاعه

للخلايق في زحام

** ** **

النعيل أسلم لقولها

وقال: اشهد يا تهامي

قالوها رجال كرام

وقالها ولد عدنان

قالوها رجال كرام

وقالها ولد عدنان

خفيفه على اللسان تقيله حدا الميزان

قولة لا إله ألا الله

** ** **

ف الخشم* بعيده

و ف القلب قريبه

قولة لا إله ألا الله

محمد رسول الله

** ** **

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

** ** ** **

ملحق رقم (٢)

قصة[١] "السيد البدوي وخضرة الشريفة"[٢]

نزلوا على تونس لمعقولهم عِلِي

غليونهم شرق البلد ع الموردة رِسي

قالت[٣]: كل الغلايين سافرت

وانت قاعد ليه يا منعولي؟[٤]

العجوزه دي قلت له: كل الغلايين سافرت

وانت قاعد ليه يا منعولي؟

قلها: دانا قاصد بنيه يا امًا العجوزه

وساكنه فـ الناحيه دي

ماتجيبهاليش وانا اديكي طربوش مالي[٥] !!!

قلت له: أجيبهالك انا قوام يومَ لي

ماسكالها سبحه تترجم كالولي

---

(١) يطلق الراوي على هذا النمط من القصص مصطلح "دور".

(٢) الراوي محمد محمود إبراهيم (وشهرته أبو فهيم)، عامل زراعي بالأجر اليومي، لا يعرف القراءة أو الكتابة، محافظة قنا، مركز قفط، قرية كفر المؤمنين، تم التسجيل معه مساء السبت، ٧/ ٢/ ٢٠٠٤.

(٣) المقصود هنا العجوزة التي ستساعد اليهودي في خطف خضرة الشريفة

(٤) المقصود بـ "منعولي" هنا اليهودي على نحو ما سيصرح الراوي بذلك فيما بعد.

(٥) ينطق الراوي كلمة "مالي" كما لو كانت "ملي"، والمقصود بها "مال".

برت الصابونه ع الشلاليف وبقت تطفطف[١]

قالت: يا شريفه من فوق العالي انزلي

اتفرجي ع اللربعه اللقطاب[٢] بإمامهم علي

اتفرجي ع اللربعه اللقطاب بإمامهم علي

قلت لها: يا عمتي من فوق قصيري[٣].. ما نزلتش أني

غير متحفاها وكتر الصلي

يعني من يوم القصر ده.. من ميته ما ركبت فيه.. ما نزلتش.. غير متحفاها وكتر الصلي.. أنا بصلي.. قلت لها:

يا شريفه خدي لك بكيله، و ع البحيره اتفرجي

ع اللربعه اللقطاب وإمامهم علي

دانا عمتك جايه من الشام والرومي

عناجيلي ديه م السفر مورّمي[٤]

يعني جايه م الشام والروم.. العناجيل ديه.. يعني جاياك مشي لحد هنا.. عناجيلي ديه ما السفر.. ما قادراشي امشي منيها.. جايه علشان خاطرك.

نزلت الشريفه لما عطياش مهملي[٥]

---

(١) المقصود أنها احتالت عليها، فزعمت أنها رجل من الأولياء الصالحين، وإمعانا في تلك الحيلة، أسالت الصابون على فمها؛ لأن من علامات الصوفية أو "الدروشة" في الوجدان الشعبي أن يسيل الماء واللعاب من فم الدرويش على جانبي فمه، دون تحكم منه في ذلك.

(٢) الأقطاب الأربعة.

(٣) قصيري: قصري

(٤) يقصد أن أقدامها تورمت من كثرة المشي. وهو يقول ذلك مصحوبا بصفقة خفيفة بيديه.

(٥) لما عطياش مهملي: لا تعطي مهلة من الوقت.

نازله الشريفه لما عطياش مهملي

النعيم قلّها: يا شريفه خدي عقاب كروتك[١]

خدي يا شريفه.. يا نعيله.. خدي عقّاب كروتك.. للعجوزه..

قلعوا العمم[٢] لبسوا البرانيط

بقيوا كما جناح غرب لي[٣]

ريقي نشف يا سيد يا ابو اللتمين[٤] بِلّي

آنا لو عارفه جنس العواجيز سِجّلي

سَجّلت عليه العجوزه وودتني مع المنعولي

سجلت عليه العجوزه.. وودتني مع المنعولي

روح يا نسيُم[٥] الهوا قول لامي

كتري النوح والبكي[٦]

على الشريفه اللي رايحه الدير.. لم راحت تلي[٧]

على الشريفه اللي رايحه الدير.. لم راحت تلي

---

(١) عقاب كروتك: مقابل أجرك.
(٢) العمم: العمائم، البرانيط: جمع "برنيطه" والمعني القبعات.
(٣) غرب لي: غراب
(٤) يا ابو اللتمين: يا أبا اللثمين
(٥) ينطق الراوي ياء كلمة "نسيم" بالإمالة كما لو كانت واوا، فينطقها "نسوم".
(٦) البكي: البكاء
(٧) يقولها مصحوبة بصفقة عالية.

قلت ليا: يا شريفه آنا خدت منك كروتي

شلَّه[1] تروحي الدير لم عدتي تلي

هات يا نعيل هات عقاب كروتي

اداها عقاب كروتها، وقلها: تاريكي عجوزه و.. تاريكي عجوزه..

آنا لو عارفه جنس العواجيز سِجّلي

سجلت عليّه ودتني مع المنعولي

روح يا يا نسيُم الهوا قول لامي

كتري النوح والبكي

على الشريفه اللي راحت الدير.. لم عادت تلي

دلوق ك قلعوا العمم لبسوا البرانيط.. كانوا لابسين عمم بالليل..

قلعوا العمم لبسوا البرانيط

بقيوا كما جناح غرب لي

قالت: ريقي نشف[2] يا سيد يا ابو اللتمين بللي

والله إن ما جيتوني.. ما اقول ف الكون ولي

ما تفلحوشي ف شيل الأباريق والصلي

كلام النصارى أحند من اسنان منجلي[3]

---

(١) شله: كلمة تدل على التمني.

(٢) "ريقي نشف": تعبير اصطلاحي شعبي للدلالة على صعوبة الموقف، بللي: بلل ريقي

(٣) التبس الأمر على الباحث في كلمة "أحند" فيما إذا كانت بالدال، أم بالجيم المقلوبة دالا حسب لهجة الصعيد، والمعنى "أحد".

يعني أحند من اسنان المنجل

كلام النصارى أحند من اسنان منجلي

تعا شوفوا حنونه واقفه ورا الباب.. واقفالي

قلت لها: يا شريفه خدي لك كاس واُخمُري

خطيبك عما يلعب بألفين قُمّصي

خطيبك عما يلعب بألفين عسكري

هه؟.. يعني خطيبك بيلعب بألفين.. معاه يعني.. يحكم ف ألفين عسكري..

قلت له: يا نعيله..آنا أشرب الخمر ما لهوش كاس ملِي

آنا شريفه من أرض بغداد.. والنبي الزين جد لي

هه؟.. آنا شريفه.. أشرب كيف الخمره؟

أنا شريفه من أرض بغداد.. والنبي الزين جد لي

ما تفلحوشي في شيل الأباريق والصلي

والله ان ما جيتوني.. ما اقول ف الكون ولي

كلام النصارى أحند من اسنان منجلي

ريقي نشف يا سيد يا ابو اللتمين بللي

اتحرك البدوي قوامك ف الحالي

حرك طبوله ما عطاش مهملي

قلوله اللقطاب: يا سيد..

ولا يوم فيّقتنا من طبولك ولا من صلي

يعني ولا يوم فيقتنا من الصلا ولا م الطبل.. يعني كل يوم فـ القلبان ده.. قلُهم:

إياك ع الشريفه اللي راحت الدير ولا عادت تاجي

روح يا عبدالعال قوامك قدامي

عبدالعال بقي زرزور و ع السنابل بقي يترتري[١]

ودخل تحت الملايه ما عطاش مهملي

قلها: يا شريفه كُلي فـ العيش وامخري

أوعى يغلبوكي كفرا.. دا موطنهم خلي

يعني دوله ما ليمشي عقب يعني.. ما يمكيش.. قالت:

يا شريفه لِمّي الخلاخيل والحَلي

دانا جيتي ليكي فـ الدير راح ترحلي

قلت له: يا عبدالعال آنا لا عاوزه خلاخيل ولا حَلي

دانا ليل الشتا بطوله وانا انوح على حالي

قلها: بقلك يا شريفه.. لِمّي الخلاخيل والحلي

جيِّتي ليكي فـ الدير راح ترحلي

ما لكيش صالح[٢].. خد بعضيه وراح للطباخ، قله: يا عمي انا إيه.. يا طباخ انا جعاني.

---

(١) أي انقلب عبدالعال عصفورًا.

(٢) "ما لكيش صالح": تعبير اصطلاحي شعبي للدلالة على الرغبة في عدم التدخل في شئونه.

قلُه: انا محلفيني على سير الحماره

يصير فيَّه و ف عيالي

قلُه: اديني لقيمه دانا عمك

جاي م الشام والرومي

ان شله يمين الحماره يدش على ويدش عيالي

يا أخي.. بس انت اديني لقمه.. راح يجيب له لقمه..

عبدالعال عفص حجره من الرغفان وهوه حمي

عفريت خطف................[١]

بالمطبخ بالكل بالكليله[٢] بالسته والستين.. شاله.. الدنيا كليا.. بحاليا بماله[٣]ا... همَّه راحوا ياكلوها.. راح يرموها ف الجبل.. كله فطيس.. قال.. قال المنعول:

يا اولاد حنا.. يا اولاد بطرس يا اولاد سريان

آنا ما شايفشي ألا المغاريب بتطقطق ف السما

ما شايفشي.. ألا المغاريب بتطقطق ف السما

دلوقتي بتضحك..

ضحكت الشريفه وانبسطت قوي

ضحكت الشريفه.. وانبسطت قوي

---

(١) هنا مجموعة كلمات غير واضحة المخارج أو المعنى.
(٢) "بالكل والكليله": تعبير اصطلاحي شعبي بمعنى أنهم ذهبوا جميعا عن بكرة أبيهم.
(٣) "بحالها بمالها": تعبير شعبي بمعنى بكل ما تشتمل عليه.

راحت له حنونه.. راحت لسريان

قلت له الشريفه ضحكت وانبسطت قوي

قلها: توي[1] لاخدك الدير وامليكي م الحلي

توي لاخدك الدير وامليكي م الحلي

قلت له: طب ازاي انا نضام يا لعين والكون كله لي

طب الكون كله تحت يدي.. وانضام من واحد منعول.. يهودي

مد يده عليها.. يده عما تتلوي

لواها السيد قبل ما يقوم من طنطا.. ضربه قبل ما يقوم من طنطا

مد يده عليها.. يده عمًا تتلوي

قلّها: يا حنونه شدي السنابل وادخلي

لا اسحارهم ياجينا اليوم منقولي[2]

قلت له: كان زمان جاهم سحار وبطلي

قال: تعالى يا سريان.. المطبخ.. اتوكل على الله.. فر ف الجو.. ما فيش.

دبح تسعين حلُوف لما عطاش مهملي

دبح تسعين عجل لما عطاش مهملي

دبح تسعين خروف توتي لما عطاش مهملي

خبز تسعين أردب قمح لما عطاش مهملي

---

(١) توي: الآن

(٢) المعنى: خشية أن يأتينا ساحروهم.

قال: مادام قاعده الشريفه اعمَّر المطابخ قوام ف الحالي

مادام الشريفه قاعده.. مش مهم دا كله..

ضرب يده ع الفرشه

ضرب يده ع الفرشه.. يده جات ع الخلا

السيد خطفها كالبرق لعلع ف السما

السيد خطف الشريفه.. كالبرق لعلع ف السما.. يعني زي ضربة البر.. اللي ضربها.. جابها.. دلوقيت جاب البرم ديت.. والحاجات دي.. كبوا الملوخيه فوق القبه.. قاعده للآن.. اعمل حسابك[1].. أريناها ف طنطا.. قاعده خضرة الملوخيه.. فوق القبه بتاعة السيد[2].. تلقاها مختومه وقاعده.. بس.

---

(١) "اعمل حسابك": تعبير اصطلاحي شعبي، معناه: انتبه.

(٢) يقولها مصحوبة بعدة صفقات متتابعة، وعلى فترات متقطعة.

الفصل الثالث

تهويد التراث الشعبي العربي.. بحثًا عن هوية إسرائيلية

مقدمة:

في ظل غيبة الوعي العربي بقيمة التراث الشعبي العربي الشفاهي، بما يضفيه من محاولة لترسيخ هوية ثقافية ودينية وسياسية لدى الأجيال العربية الجديدة، على النحو الذي يكمل بها – ويتكامل في الوقت نفسه مع – ما يرمي إليه تراثنا العربي القديم المدوَّن، فكلاهما يكمِّل بعضهما البعض، أقول في ظل غيبة هذا الوعي، فإن إسرائيل استغلت ذلك التهميش للثقافة الشعبية العربية وراحت تلعب منذ فترة – ليست قريبة – لعبة جديدة، تتمثل في تهويد ذلك التراث الشعبي العربي الشفاهي، وذلك بعد أن تقوم بجمعه من أفواه رواة عرب في بلدانهم، أو بجمعه من رواة عرب يعيشون في إسرائيل. فاعتبرت ذلك التراث العربي الأصل تراثًا إسرائيليًا، بوصفه رُوي على أرض إسرائيل، رغم أن رواته عرب، بغض النظر عن يهوديتهم. فقامت بضم هذا التراث العربي إلى أرشيف الفولكلور الإسرائيلي، وليتها توقفت عند هذا الحد؛ إذ إن هذا التراث – وبحكم جذوره العربية والإسلامية – يتغنى بأمجاد العرب والمبادئ العربية والإسلامية النبيلة ذات البعد الإنساني، وإنما قامت بتهويد هذا التراث الشعبي العربي؛ أي أضفت عليه الطابع اليهودي (من حيث مبادئ اليهودية، عادات المجتمع الإسرائيلي وتقاليده ومعتقداته). إن هناك اهتمامًا كبيرًا – بما يسميه أحمد مرسي– بالظاهرة الإسرائيلية، ومدى ما يمكن أن تسفر عنه في هذا المجال، "ذلك أن الهدف النهائي الذي يراد الوصول إليه

هو إيجاد ذاتية قومية لمجموعة متفرقة من البشر، جاءوا مختلفي العادات والتقاليد وأساليب التعبير واللغات، ويراد لهم أن يكونوا شعبا، وليس هناك شيء يجمعهم إلا الدين ومجموعة العادات الدينية المرتبطة بطقوس العبادة، وما يحكى عن الأبطال الدينيين، وما يرد على ألسنة الأنبياء والحكماء من تعبيرات جرت مجرى الأمثال؛ وهذه يشك فيها كثير من الدارسين إذ يعتبرون اليهود قد أخذوها من تراث الشعوب الأخرى"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تفعل إسرائيل كل هذا؟ وتتمثل الإجابة في أن إسرائيل مدركة أنه ليست لها مشروعية الوجود والبقاء في الأراضي العربية، فهي لا تملك حق الأرض على نحو ما تزعم، ولا تملك ثقافة رسمية أو شعبية تتكئ عليها في إثبات أحقيتها في البقاء، فكل تراثها بدأ في التكون بعد حرب ١٩٤٨م، أي بعد إعلان دولة إسرائيل؛ ومن ثم فهي تلجأ الآن إلى تجميع التراث اليهودي من كل اليهود المقيمين بأراضيها (الذين ينتمون بالطبع إلى مناطق عالمية مختلفة عربية، وأفريقية، وأوربية، وأمريكية...) على اعتباره تراثًا إسرائيليًا، وليس يهوديًا. أي أنها – وعن عمد – راحت تخلط بين تراث الدولة وتراث الدين، بين تراث إسرائيل – التي لا تملك تراثًا – وبين تراث اليهودية، الذي لا ننكر قدمه، كما لا ننكر مساهمة اليهود في ثقافات بلدانهم المقيمين فيها، ولكنها مساهمات بوصفهم يهودًا مصريين أو سوريين أو لبنانيين.....إلخ، في أوقات لم تكن قد بدأت فيه كلمة إسرائيل – بمعناها السياسي – في البزوغ بعد. فالحقيقة التي لا مراء فيها "أن اليهود قد هودوا كثيرًا من الحكايات العالمية ونسبوها إلى أنفسهم، واعتبروها جزءًا من الأجزاء الأساسية في أدب القصص عندهم، والثقافة اليهودية بوجه عام، ونظروا إليها باعتبارها نتاجًا للمخيلة الشعبية اليهودية"[2]. فهم

---

(١) د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة،٢٠٠١م، ص ٦٤.

(٢) د. أحمد علي مرسي، المرجع السابق، ص ٨٥.

– إذن وفي ذكاء شديد – خلطوا تراث الدولة بتراث الدين، فجعلوا الشيئين شيئًا واحدًا، وحمّلوا هذا التراث الشعبي اليهودي/ الإسرائيلي – الذي هو في الأصل تراث الأمم الأخرى – كل القيم الدينية والسياسية والقومية، التي يرغبون في نقلها إلى الأجيال الإسرائيلية الجديدة، والتي – بالطبع تُعلي من قيمهم، وتسخر من العرب والمسلمين، وتستعديهم على كل ما هو عربي أو مسلم، فتصور اليهود بوصفهم أهل الحق، في حين تصف الآخر العربي أو المسلم بأنهم شعب بربري وهمجي يريد أن يغتصب منهم ذلك الحق في الإقامة، وكان ذلك بهدف إثبات وجود تاريخي وحضاري لليهود في المنطقة. فاليهود أرادوا "أن يؤكدوا على وجودهم التاريخي والحضاري، وأن لهم تراثًا شعبيًا مبني على أساس ثقافي محدد وخبرات إنسانية، وأن لهم شخصية قومية لها إنجازات أدبية كإفرازات للمواقف الحياتية الاجتماعية والسياسية والثقافية لهذه الجماعات. بمعنى آخر يريدون أن يثبتوا وجود الجماعات اليهودية ككيان له وزنه وثقله وأفكاره وذوقه وأخلاقه وأسلوب حياته وخصوصياته وسماته كشعب منذ زمن طويل"[1]. إن مسألة أن يصبح لإسرائيل – ذلك الكيان المشتت– تراث شعبي على غرار الكيانات الدولية المستقرة الأخرى، فإن ذلك له أهدافه السياسية والقومية، التي تسعى إسرائيل الدولة – وباحثوها – إلى تحقيقها. ويحدد الباحث الإسرائيلي "أفراهام شطال" الأهداف الكامنة وراء التراث الحكائي الشعبي اليهودي، (أو الحكايات الشعبية العربية بعد تهويدها) فيما يلي:

"جمع القلوب وتأليفها والتقارب بين طوائف إسرائيل عن طريق التعرف الجيد على كنوز الثقافة الموجودة عند كل طائفة.

---

(١) د. سناء عبداللطيف صبري: "المأثورات الشعبية اليهودية في أدب الأطفال العبري ودورها في الحفاظ على الذات والهوية اليهودية، مجلة الدراسات الشرقية، العدد (٢٧)، يوليو ٢٠٠١م، ص١٦٠.

- معرفة الذات اليهودية من أجل القضاء على السلبيات الشخصية للشباب، الذين نهلوا من الثقافات التي من حولهم، ولم يعرفوا أي شيء عن تقاليدهم"[١].

إذاً لقد قام اليهود بعملية التهويد لأسباب ظاهرية على نحو ما أشار إليها باحثوهم، وأهداف حقيقية باطنية، على نحو ما أدركها ووعاها، بل تنبه إليها دارسو التراث الشعبي العالمي. فإسرائيل تستطيع "أن تستفيد من التراث العربي وتحوله إلى تراث ينسب لليهود ويخدم الأغراض الثقافية اليهودية، ويدعم لديهم التاريخ والهوية التي ترتبط بالثقافة والتراث العربي، خاصة لدى الجماعات الشرقية من اليهود الذين يتكلمون اللغة العربية ونشأوا في المجتمعات العربية... إن نقل الفكر العربي إلى الفكر اليهودي، ومحاولة منحه الصبغة اليهودية، كان سمة من السمات البارزة لدى اليهود، وبصفة خاصة يهود المجتمعات العربية الذين عاشوا بينهم، وأحسوا بضآلة فكرهم اليهودي، إذا ما قورن بالفكر الإسلامي"[٢]. غير أن هذا لا يعني عدم قدرة الدارس بنظرة ودراية بسيطة بالموروث الشعبي على معرفة الأصل الذي استقى منه اليهود الموروث الشعبي المُهوّد، وما لحقه من عناصر يهودية دخيلة. وهو ما سبق أن نبه إليه الفولكلوري الأمريكي ستيث تومسون في مقاله: *"The Significance of Near Eastern Folklore"* حول إمكانية دراسة الموروث الشعبي في إسرائيل في ظل هذه الحقيقة، وذلك بقوله: "إن دراسة الفولكلور في إسرائيل الحديثة، يتطلب دراية غير عادية بالموروثات الشعبية في كل أنحاء العالم؛ ذلك أنه في أي نظرة صحيحة أو غير متحيزة، فإن تعدد الأصول يمكن إدراكه

---

(١) د. سناء عبداللطيف صبري: "المأثورات الشعبية اليهودية في أدب الأطفال العبري ودورها في الحفاظ على الذات والهوية اليهودية، مجلة الدراسات الشرقية، العدد (٢٧)، يوليو ٢٠٠١، ص١٥٨.

(٢) سوزان السعيد يوسف: "ترجمة الحكاية الشعبية ونقلها من العربية إلى العبرية، نموذج من ألف ليلة وليلة"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد (٢٩)، يوليو ٢٠٠٢م، ص١٦٣.

بسهولة. وعلى ذلك فإنه ينبغي أن يُنظر إلى ما ينسب إلى إسرائيل من فولكلور في ضوء هذه الحقيقة"[١].

ونظرًا لمعرفتنا الشديدة بالموروث الشعبي العربي، فإننا سنتوقف هنا لمحاولة البحث في العلاقة بين التراثين الشعبي العربي واليهودي / الإسرائيلي، لكشف مواطن الزيف والاستلاب في الثقافة الشعبية اليهودية / الإسرائيلية. وليس الهدف هو القول إنهم استقوا تلك المأثورات الشعبية المزيفة من المصادر الشعبية العربية فقط، وإنما القول إن المصدر الشعبي العربي كان رافدًا – وربما كان أحد أهم تلك الروافد– التي استقى منها الباحثون والرواة الإسرائيليون موروثهم الشعبي.

فلقد لجأ اليهود – في تهويدهم للتراث الشعبي العربي الشفاهي – إلى عدة حيل خداعية لتزييف ذلك التراث، منها:

أ. تهويد القصص الشعبي ذي الأصول العربية، التي تتخذ موقفًا من اليهود، وذلك بعد القيام بتغيير صورة اليهودي السلبية، مثل صورة اليهودي المغتصب أو المرابي أو المخادع أو البخيل، بإضفاء صورة إيجابية على اليهود، كما في، قصة "ثلاثة أسئلة "، والتي تدور حول الصراع بين اليهودي والمسيحي، وقصة "بفضل الحفاظ على السبت"، وهي تقابل الحكاية الشعبية العربية" القرش الحلال يرق ولا يتقطعش".

ب. تهويد القصص الشعبي العربي (من حيث المضمون وأسماء الشخصيات)، وضمه وتصنيفه في الأرشيف الفولكلوري الإسرائيلي على اعتبارها مأثورا شعبيا إسرائيليا، مثل: القصة الإسرائيلية "أرسل خبزك على وجه الماء" والتي تقابل في الحكايات الشعبية العربية " اعمل الخير وارميه البحر"، التي قمت بتسجيلها مع رواة مصريين شعبيين.

---

(١) نقلا عن د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، ص ٩٢.

ت. هناك قسم من القصص الشعبي اليهودي المنقول عن القصص الشعبي العربي، حافظ على المضمون العربي، وذلك بعد أن تم تهويد الأسماء فقط في بعض الحكايات السياسية (مثل "سر الملك أذنا حمار ") ومقابلها العربي قصة " السر ف بير"، وكذلك في الحكايات الاجتماعية، كما في قصة "الزواج من السماء" ومقابلها العربي حكاية "ست الحسن والجمال وأختها صرام مدلدل". ولقد استولى الإسرائيليون على هذا القصص الشعبي العربي، فضموه إلى الأرشيف الفولكلوري الإسرائيلي، على اعتباره قصصًا إسرائيليًا.

ث. تشويه صورة مصر والمصريين، في مقابل الإعلاء من شأن اليهودي، على نحو ما يتبدى في عدد من القصص الشعبي الإسرائيلي، مثل: قصة "صديقان " وقصة "غيرة الوزير " وقصة "الفطيرة يأكلها صاحب الحلم الجميل"، وقصة "للناقة جمل" وقصة "القادة في إسرائيل"، وقصة "اليهودي يهودي مهما أخطأ". وهي قصص يضمها أرشيف الفولكلور الإسرائيلي.

ج. تشويه صورة الإسلام ورسولهم (محمد صلى الله عليه وسلم)، من خلال إحداث تغييرات في بعض القصص الشعبي العربي، الذي يتعرض للرسول بكل إجلال وتوقير، أو بتأليف قصص شعبي إسرائيلي يشوه صورة النبي، مثل الحكاية الإسرائيلية "محمد متعلق بالإسلام".

ح. هناك قسم من الحكايات الشعبية اليهودية مأخوذ حرفيًا عن القصص الشعبي العربي، دون أن يتم تغييره، بل تمت المحافظة على أصوله العربية مثل قصة "أمير الشرق وأميرة الغرب" ومقابلها العربي "العروسة الخشب"، وقصة "الصديق يظهر وقت الشدة"، و"القدر"، ومقابلها العربي " السلطانية"، وقصة "سبع بنات وسبعة أولاد" وقصة

"ابنة الفقير الحكيمة وعروسة الحلوى" ومقابلها العربي حكاية "بنت الحطاب وابن السلطان"، والقصة اليهودية تميل إلى الاختزال الشديد، وقصة "حكمة الشيخ أنقذته من الموت " ومقابلها العربي حكاية "الملك اللي أمر بقتل العواجيز".

(١)

أهداف الفصل

يستهدف هذا الفصل تحقيق عدد من الأهداف، بعضها إسلامي ديني، وبعضها الثاني عربي قومي، وبعضها الثالث أدبي فني. وتتمثل أهم هذه الأهداف فيما يلي:

١- التعرف على صورة اليهودي في التراث الشعبي العربي المدوَّن، ومقارنتها بصورة اليهودي في التراث الشعبي العربي الشفاهي؛ لمعرفة مدى التطور والتغير الذي لحق بصورة اليهودي هذه ما بين القديم والجديد، أو بين الشفاهي والمدوَّن. أي صورة اليهودي – التي سادت الأدبيات العربية القديمة – يوم أن كانت اليهودية مجرد دين فحسب، ليس لها أبعاد سياسية، وصورة اليهودي في العصر الحديث في الأدبيات العربية الشعبية الحديثة، ولكن بعد أن اختلط فيها الجانب الديني بالأهداف السياسية والقومية لدولة إسرائيل.

٢- التعرف على بعض مواد المأثورات الشعبية العربية التي سرقتها إسرائيل؛ بهدف بناء قومية إسرائيلية في أرض فلسطين. وذلك بعد أن تم إضافة هذه الموروثات الشعبية العربية إلى الأرشيف الإسرائيلي،

على اعتبارها موروثا شعبيًا إسرائيليا. وسيتم ذلك من خلال استقراء بعض هذه المأثورات الإسرائيلية -التي يضمها الأرشيف الإسرائيلي- المترجمة إلى العربية، والبحث فيها عن الموتيفات القصصية والحكايات الشعبية ذات الأصل العربي.

٣- التعرف على الصورة الجديدة التي يرسمها الموروث الشعبي الإسرائيلي لليهودي/ الإسرائيلي. وذلك بعد الخلط الذي تعمده الإسرائيليون بين كلمتي اليهودي والإسرائيلي، واعتبارهما شيئًا واحدًا. فهي صورة أكثر إيجابية من تلك الشائعة في أدبياتنا العربية؛ إذ يسعى هذا التراث الشعبي اليهودي / الإسرائيلي أن يرسخ لتلك الصورة الجديدة لليهودي بين الأجيال العربية والإسرائيلية الجديدة؛ بهدف التخلص من تلك الصورة السلبية التي تسود إبداعاتنا الشعبية العربية.

٤- التعرف على الصورة التي يرسمها الموروث الشعبي الإسرائيلي للعربي والمسلم في المأثورات الشعبية الإسرائيلية، وهي صورة تربط العربي بالهمجية والإرهاب والعدوانية.

٥- التأكيد على أن هذا الفصل يريد أن يركز على وحدة الجذور العربية المشتركة من خلال موروثاتها الشعبية من ناحية، وضرورة المحافظة على الهوية الدينية والثقافية العربية من ناحية ثانية، والكشف عن ادعاءات إسرائيل وسرقاتها للمأثورات العربية من ناحية ثالثة، وتوضيح أنه لا توجد مشكلة بين العرب أو المسلمين وبين اليهود بوصفها ديانة سماوية، وإنما الخلاف يتضح مع ما ترمي إليه إسرائيل من أهداف سياسية من ناحية رابعة.

(٢)

إدراكًا من المتخصصين - في دراسة المأثورات الشعبية في إسرائيل- لأهمية هذه المأثورات الشعبية عامة، والحكايات الشعبية خاصة، في تحقيق هذه الأهداف السابقة، فإنهم اعتمدوا القص وسيلة لترسيخ أهداف الصهيونية. فالقص وسيلة مهمة في التنشئة والتربية؛ لذا مثَّل جمع الحكايات الشعبية من الرواة اليهود المشتتين في أنحاء العالم، أو المهاجرين إليها، بغض النظر عن جنسيات هؤلاء الرواة، بل بتعمد عدم الإشارة إلى ذلك، ثم أرشفة هذه المادة المجموعة في أرشيف ضخم يحمل اسم "أرشيف الفولكلور الإسرائيلي"، مثَّل ذلك الجمع ثم أرشفته مرحلة أولية ومهمة في بناء الشخصية الإسرائيلية، فعن طريقه سيتم الترسيخ لكل ما يرغبون الترسيخ له. فلقد ركز الدارسون اليهود جل اهتمامهم في البداية على جمع الحكاية الشعبية ودراستها "لأنهم يعتبرونها قد لعبت دورًا هامًا في تاريخ اليهود، لارتباطها بتعلم العقيدة بشكل لا يوجد عند أي جماعة أخرى من وجهة نظرهم. ويذهبون في تعليل ولع اليهود بالحكايات وأهميتها لديهم، بأن التوراة نفسها تورد في السفر الأول مجموعة من الحكايات عن الخلق، وأصل الكون، فضلاً عن الأعمال الخارقة للأبطال والملوك. ويظهر في التوراة أيضًا أن ملوك اليهود، وأنبياءهم كانوا مولعين برواية الحكايات والأمثال والعبر التي تعتمد على الرمز، وهو ما تعنيه كلمة "ماشال" العبرية"[١]. فلقد سعى المثقفون اليهود/ الإسرائيليون إلى محاولة خلق ثقافة إسرائيلية، من خلال نقل القصص الشعبي الذي يحفظه اليهود - ممن ينتمون إلى ثقافات إنسانية مختلفة - إلى الثقافة الإسرائيلية، من خلال عدة مراحل منها: مرحلة تسجيل هذه النصوص مع هؤلاء الرواة بلغتهم الأصلية، بتعبيراتها ومصطلحاتها، وأسماء أفرادها وشخصياتها، وأسماء الأطعمة، والأوصاف، والأمثال الشعبية، أي في ظل محيطها الثقافي الأصلي الذي انتشرت

---

(١) د. أحمد علي مرسي: المرجع السابق، ص ٥٠.

فيه. ثم تأتي مرحلة نقل هذه الحكايات إلى التراث الإسرائيلي، من خلال نقل هذه القصص وترجمتها إلى اللغة العبرية، بحيث تمثل ثقافة اليهود وعاداتهم وتقاليدهم. إن "المهتمين بالموروث اليهودي في إسرائيل يأملون أن يسهم تلاقح ثقافات الطوائف المختلفة في خلق ثقافة إسرائيلية مستقلة لجيل الشباب والأطفال، بحيث تنصهر الخصائص القديمة مع الخصائص الجديدة"(١).

وسنورد الآن نماذج من القصص الشعبي العالمي (والعربي خاصة) التي تم تهويدها، وذلك من خلال عدة أشكال أخذها هذا التهويد، والتي تم تصنيفها على النحو التالي(٢):

القسم الأول: وهو قسم يهتم بمحاولة تغيير الصورة السلبية عن اليهودي، وذلك من خلال تهويد القصص الشعبي ذي الأصول العربية، التي تتخذ موقفا من اليهود، مثل صورة اليهودي المغتصب أو المرابي أو المخادع أو البخيل، بإضفاء صورة إيجابية على اليهود، كما في، قصة "ثلاثة أسئلة "، والتي تدور حول الصراع بين اليهودي والمسيحي، وكما في قصة "بفضل الحفاظ على السبت"، وهي تقابل القصة الشعبية العربية" القرش الحلال يرق ولا يتقطعش".

ففي القصة اليهودية "بفضل الحفاظ على السبت" كان هناك رجل يهودي فقير يجلس في المعبد في يوم السبت، فإذا به يرى فأرًا يحمل جنيهًا ذهبيًا في فمه ثم يضعه في جحر، فلم يقترب الفقير من قطعة النقود كي لا يدنس حرمة السبت، فعاد الفأر وجاء بجنيه آخر ووضعه في الجحر، وظل على هذا النحو بين الذهاب والإياب محملاً بالجنيهات الذهبية، والفقير مُصر على عدم ملامسة العملات النقدية؛ تقديسا لحرمة يوم السبت. عاد بعد ذلك الفأر وراح يسترد الجنيهات الذهبية

---

(١) د. فرج قدري الفخراني: المرجع السابق، ص٨٣.
(٢) الحكايات المأخوذة من الأرشيف الفولكلوري الإسرائيلي، اعتمدنا في نقلها على ترجمة د. فرج قدري الفخراني، المرجع السابق.

من الجحر واحدًا تلو الآخر، ولم يترك سوى جنيه ذهبي واحد في الجحر. ونظرًا لانتهاء يوم السبت، فإن الرجل قام وأخذ ذلك الجنيه الذهبي المتبقي من الجحر، دون أن يبدي أسفًا على ما فاته أثناء العبادة. أخذ اليهودي الجنيه وذهب إلى زوجته، التي أخبرها بما حدث في المعبد، وطلب منها أن تخاطب جارها كي يشتري له بالجنيه أي شيء، وبعد تردد منها ذهبت إلى التاجر وطلبت منه أن يشتري لهما بالجنيه شيئًا أثناء سفره؛ للمتاجرة فيه، فوافق. فلما سافر التاجر اشترى لنفسه ما يلزمه، ونسي أن يشتري بالجنيه لجاره، فاستوقفت المركبة عاصفة ريح قوية في منتصف البحر، فأدرك التاجر أن ذلك بسبب نسيانه طلب جاره اليهودي المتدين. فأرسل شخصًا يشتري بالجنيه ما يمكن شراؤه بهذا المبلغ الضئيل. ذهب ذلك الشخص ووجد رجلاً معه كيس مملوء بالقطط، فاشتراه منه بجنيه؛ لأنه كان في طريقه لرميه في البحر. وفي أثناء طريق عودتهم مروا بمدينة، وجدوا أهلها ممسكين عصيا؛ لكي يطردوا بها الفئران من المدينة؛ وذلك بسبب امتلاء المدينة بالفئران؛ للدرجة التي لا يستطيع معها الملك أن يتناول طعامه باطمئنان. وبمجرد أن أخرج الرجل قطين من الكيس، هجما على الفئران، فمات بعضهم، وهرب البعض الآخر. ففرح رئيس المدينة وفرح الناس، وقاموا بشراء القطط منه، كل قطة بمائة جنيه. ثم تاجر له هذا الرجل بثمن هذه القطط. فلما عاد ذلك التاجر وأخبر الرجل الفقير بأن يعد المخازن من أجل التجارة التي اشتراها له، فظنه الفقير يتهكم عليه. فلما تأكد الفقير من ذلك أخبره أنه لا يملك ما يشتري به مخازن، فأقرضه التاجر مالاً يشتري به تلك المخازن. عندئذ بدأ الفقير المتاجرة، حتى أصبح غنيا وأعاد المال إلى التاجر. كل هذا كان بفضل الحفاظ على السبت.

فراوي الحكاية السابقة – وهو راوٍ عربي يهودي – قام بعد هجرته إلى أرض إسرائيل، بإضفاء بُعد يهودي على تلك الحكاية، يتمثل فيما يلي:

- إضفاء الطابع الديني على الحكاية، من خلال التركيز على أهمية يوم السبت، فببركة هذا اليوم أصبح الفقير غنيًا. فرغم حالة العوز والحرمان التي يعاني منها ذلك اليهودي، فإنه لم يستجب لإغراء الجنيهات الذهبية، بترك العبادة في المعبد يوم السبت، بل استمر في ممارسة عبادته عن طيب خاطر. ولقد تمثل ذلك الطابع الديني في أن يكون الفأر، الذي كان يقوم بنقل الجنيهات الذهبية من أمام ذلك الفقير، هو نفسه الذي يتسبب في غناه بعد ذلك.

- محاولة تغيير صورة اليهودي البخيل، المحب للمال، وصورة اليهودي المرابي. فاليهودي الفقير لم يؤثر فيه بريق الذهب، ولو كان اليهودي بالصورة المعروفة عنه تراثيًا لما استطاع أن يقاوم ذلك الإغراء، خاصة بعد أن رأى الفأر وهو ينقل الجنيهات الذهبية من الجحر ثانية أمام عينيه. وفي الوقت نفسه حاولت الحكاية تغيير صورة اليهودي المرابي، من خلال اليهودي التاجر الذي يعطي قرضًا ماليًا لليهودي الفقير، ويرده إليه الأخير دون أن يطالبه الأول بأرباح ذلك المبلغ (المراباة)، على نحو ما هو شائع عن اليهود.

- أن الحكاية طبعت اليهودي التاجر بصفة الأمانة، فهو ليس – وعلى نحو ما هو شائع شعبيًا عن التجار اليهود – مغتصبًا لحقوق الآخرين. فهو يرد إلى اليهودي الفقير كل البضائع التي كسبها من ذلك الجنيه، الذي ظن صاحبه أنه لن يكسب شيئا. فلقد قام اليهودي التاجر برد هذه البضائع إلي اليهودي الفقير، رغم عدم معرفة الأخير بهذا المكسب الكبير، وكان في إمكان التاجر أن يحتفظ بهذا المكسب – أو بجزء منه – لنفسه، ولكن أمانته دفعته إلى رد البضائع إلى الفقير المتدين.

تتضح لنا محاولة التهويد هذه للحكايات الشعبية التي جاءت على ألسنة رواة عرب يهود، إذا قارنا الرواية الإسرائيلية للحكاية بالرواية الشفاهية المصرية للحكاية نفسها. فالحكاية اليهودية تدمج بين حكايتين مصريتين، هما سيرة "تاجر القطط" ومثل"القرش الحلال يرق ولا يتقطعش". فلقد أخذت الحكاية اليهودية من الحكاية المصرية الأولى "تاجر القطط" موتيف ذلك الشاب الذي أعطاه أبوه ثلاثمائة جنيه، فأخذها الشاب وخرج للمتاجرة بها، فاشترى ثلاثة قطط. ثم وصل إلى تلك المملكة التي يحرسها الحراس بالمقشات؛ خوفاً من التهام الفئران لطعام الملك، فطلب الدخول إلى الملك، الذي لم يمانع في استقباله، فأخبره ذلك الشخص بالحل الذي سيخلصه من هذه الفئران، ثم أطلق قططه الثلاثة فالتهمت الفئران عن آخرها، فأراد الملك أن يشتري القطط منه. فاشترط عليه ذلك الشخص أن يدفع فيهم وزنهم ذهبا، فوافق الملك على الفور، وعاد هذا الشاب الفقير إلى أبيه غنيا.

كما استلهم الراوي اليهودي حكايته من الحكاية الثانية أيضا "القرش الحلال يرق ولا يتقطعش"، وهي تعد نقلاً حرفيا للحكاية المصرية، بعد تهويدها وطبعها بالطابع اليهودي. فالحكاية المصرية تدور حول شخص كان يمتلك مالاً فيأتيه هاتف في منامه يأمره بأن يلقيه في البحر، فإذا غرق فهو ليس ماله، وما يطفو منه فهو ماله. وكان سبب ذلك مجيء الهاتف إليه، أنه اكتسب ماله من الحرام، وكان دائم الأرق في نومه بسبب ذلك. وعندما فعل ذلك الشخص ما أُمر به لم يطفُ من ماله الكثير سوى قرش واحد، فأعطاه لتاجر – بعد إلحاح من زوجته وتردد منه – كي يتاجر له به. فأخذ التاجر القرش واشترى قطة كانت حاملاً. ونظرا لطول المسافة، فقد ولدت هذه القطة ثلاثة قطط. ربى التاجر القطط الأربعة، وظل ماشيا حتى وصل إلى مدينة مليئة بالفئران، فلما رأى الفئران القطط فروا هاربين، فلما عرف أهل المدينة سبب فرارهم، اشترى واحد منهم القطط وأمهم بألف وثمانمائة جنيه. فأخذ التاجر المال وراح يتاجر بها، واشترى له بضائع واحتفظ له بها إلى أن يلقاه. بعدئذ أرسل التاجر إلى ذلك الرجل كي يعطيه بضاعته، ونظرا لفقد هذا

الرجل الثقة في إمكانية أن يتكسب من هذا القرش، فإنه تجاهل دعوة التاجر ليتسلم البضاعة منه، ظنًا منه أنه يسخر منه. فذهب إليه التاجر وأعطاه البضاعة، وسأله عما إذا كان لديه دكان يضعها فيه، فأجابه بالنفي، فأقرضه التاجر ثمن الدكان. فاشترى دكانًا وتاجر في البضاعة وكسب مكسبًا كبيرًا، ورد القرض إلى التاجر. وتنتهي الحكاية المصرية بالتأكيد على المثل الشعبي "أصل القرش الحلال يرق ولا يتقطعش".

فكما هو واضح، فإن الحكاية اليهودية شديدة الصلة بهذه الحكاية، بل نستطيع الجزم بأنها منقولة عنها، بعد إضفاء الطابع اليهودي عليها، على نحو ما تم توضيحه منذ قليل. والملاحظ أن الحكاية اليهودية اقتصرت على اليهود، فوجهت الخطاب إلى اليهود فقط، وتحدثت عن أشخاص يهود، وعادات وتقاليد دينية يهودية؛ ذلك لأن " كثيرًا من القصص العبرية الموجهة إلى الأطفال قد جاءت في سياق العادات والتقاليد اليهودية وإطارها العام؛ حيث تظهر عناصر الموروث الشعبي جلية من خلال تناول العديد من التقاليد الخاصة بدورة حياة الإنسان اليهودي كالميلاد والزواج والموت وطقوس الدفن والطعام والملابس والاحتفالات والأعياد اليهودية... وغيرها من العادات والطقوس التي تتميز بها الحياة اليهودية"(١).

في حين أن الحكايتين المصريتين تتميزان بالتعميم في توجيه الخطاب، فهما لم يوجها الخطاب إلى مجتمع دون مجتمع، أو دين دون آخر، أو فئة اجتماعية دون أخرى. ومما لا شك فيه أن الإلحاح على ذكر صفة اليهودي في هذه الحكاية ذو دلالة ومغزى.

وفي حكاية يهودية أخرى، عنوانها "ثلاثة أسئلة" يدور الصراع فيها بين وزير يهودي ووزير مسيحي. فالوزير المسيحي يغار من نظيره اليهودي، لحب الملك الشديد له وتقربه إليه والإغداق عليه بالمناصب؛ لإعجابه بحكمة الوزير اليهودي. كل هذا أثار غيرة الوزير المسيحي، فراح يقلل من ذكاء اليهودي، فطلب

---

(١) د. سناء عبد اللطيف: المرجع السابق، ص١٦٩.

من الملك أن يوجه ثلاثة أسئلة، فإذا أجاب عنها كان حكيمًا، وإذا لم يجب يكون مصيره القتل، فوافق الملك على ذلك. وكانت الأسئلة هي: من كان قبل الله؟ من أين وجه الله؟ من أغنى من الملك؟

عاد الوزير حزينًا إلى بيته، فنصحته ابنته أن يتوجه إلى المقهى، إذ حتمًا سيجد من يساعده في معرفة الإجابة. وهناك تقابل – بالفعل – مع رجل يهودي طويل وعريض عرض عليه المساعدة، وعندما عرض الوزير الأسئلة عليه، طمأنه وطلب منه الذهاب إلى الملك بنفسه بعد ثلاثة أيام. اصطحب الوزير اليهودي معه ذلك الرجل إلى الملك، فأحضر هذا الرجل معه كيسًا صغيرًا مليئا بالجوز ومصباح وعلبة كبريت وطباشير. ولما سأل الملك الوزير عن الإجابة، أخبره الوزير أن الأسئلة بسيطة إلى الحد الذي سيترك فيه هذا اليهودي يقوم بالإجابة عنها نيابة عنه. عندئذ طلب الرجل اليهودي منديل الأمان من الملك، فأعطاه الملك هذا المنديل. فلما سأله الملك عن "من كان قبل الله؟" قام اليهودي وبعثر الجوز على المائدة، وطلب من الملك أن يعد الجوز، وكرر الطلب ثانية وثالثة، وفي كل مرة يبدأ بالواحد، فما كان من اليهودي إلا أن يسأله ومن قبل الواحد، فأجابه الملك: ليس قبل الواحد شيء. فرد عليه الرجل اليهودي: هكذا فإن قبل الله لا يوجد شيء، فأعجب الملك بالإجابة، ووجه إليه السؤال الثاني: أين وجه الله؟ عندئذ أضاء اليهودي المصباح ووضعه على المائدة، وطلب من الملك أن يحدد له وجه المصباح. فأجابه الملك: ليس للمصباح وجه، فهو يضيء في كل الاتجاهات. فقال الرجل: هكذا الله، ليس له وجه فهو يضيء في كل الاتجاهات. فأعجب الملك ثانية بإجابته، ووجه إليه السؤال الثالث: من أغنى من الملك؟ فأجابه الرجل: أنا "أي ذلك الرجل نفسه". وطلب هذا الرجل من الملك أن ينام على البلاط – وبعد تردد من الملك وتلويح من اليهودي بالمنديل – فنام الملك وعلّم حول جسده بالطباشير، ثم نام مكانه وطلب من الملك أن يفعل مثله، فكانت المساحة التي شغلها جسد اليهودي الطويل العريض أكبر من مساحة الملك. عندئذ قال له اليهودي إذا

أنا أغنى منك، فالغنى ليس في هذا العالم، ولكن في العالم الآخر. فرح الملك بالإجابات ورفع الوزير اليهودي في رتبته، وأمر بسفك دماء الوزير المسيحي؛ لما يكنه من حقد – في داخله – تجاه اليهودي.

يتضح الطابع اليهودي في هذه الحكاية من خلال ذلك الصراع المسيحي اليهودي، والحقد الدفين في نفس الوزير المسيحي تجاه اليهود والوزراء اليهود، ثم من خلال ذكاء اليهود وحكمتهم، التي تبدت حتى في أقل اليهود مكانة. إن الذي تحرص الحكاية على تأكيده هو أحقية اليهود بالحصول على أعلى المناصب السياسية والرتب الاجتماعية، لنبوغهم وتفوقهم. علمًا بأن هذه الحكاية لها روايات عربية متعددة، ومجملها تتجاوز ذلك الصراع الديني؛ ليصبح الصراع بين الوزراء – فهم مجرد وزراء – خاليًا من العصبية الدينية أو العرقية. فهو صراع بين من يستحق الوزارة ومن لا يستحقها؛ ومن ثم فإن الحكايات العربية – كثيرًا – ما رفعت مثل هذا الرجل الفقير، الذي أجاب عن أسئلة الملك إلى منصب الوزارة، بديلاً عن الوزير الحاقد، أو الذي تملكته نزعة الغدر، أو في العموم لعدم أحقيته الـوزارة؛ نظـرًا لنبوغ الفقير، وحمق الوزير، وليس انتصارًا لجنس على جنس، أو لدين على دين، على نحو ما تريد أن ترسخ له الحكاية اليهودية.

أما القسم الثاني فقد تمثّل في محاولة تهويد مضمون القصص الشعبي العربي، وأسماء الشخصيات بها، وضمه وتصنيفه في الأرشيف الفولكلوري الإسرائيلي على اعتبار هذا القصص مأثورًا شعبيًا إسرائيليًا. وقد تمثّل ذلك فى الحكاية الإسرائيلية "أرسل خبزك على وجه الماء" والتي تقابل في الحكايات الشعبية العربية "اعمل الخير وارميه البحر"، التي قمت بتسجيلها مع رواة مصريين شعبيين.

ففي قصة "أرسل خبزك على وجه الماء" كان هناك تاجر يهودي غني وطيب القلب، وكان كثير التصدق وإقراض المال للمحتاجين، ويركز الراوي اليهودي على أنه كان إقراضه المال لكل من يريد دون أرباح أو فائدة. ومع الوقت بدأ هذا التاجر في الخسارة، وبالرغم من ذلك لم يرغب في الذهاب إلى المدينين للمطالبة بأمواله؛ منعًا لإحراجهم. ويرفض الأب التاجر طلب ابنه الذي يعرض عليه أن يزور أحد المدينين، دون أن يطالبه بالمبلغ الذي اقترضه؛ حفاظًا على مشاعره، وفي النهاية يوافق الأب على طلب الابن شريطة ألا يفاتح الابن ذلك الرجل المدين. وبينما كان الابن في طريقه في صباح اليوم التالي، خلد إلى الراحة تحت شجرة، وراح يأكل فجاءته قطة، استعطفته فعطف عليها، مقتسمًا معها ما يملك من طعام وشراب، ثم اختفت القطة. وفي المساء حدث له ما حدث في الصباح، إذ عندما خلد إلى الراحة لتناول الطعام ظهرت له القطة أيضًا، واستكمل عطفه عليها، فأكلت وشربت ثم اختفت أيضًا. وتكرر ذلك الأمر في الصباح والمساء على مدار ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث انقلبت إلى فتاة صغيرة، وبدأت في الحديث إليه، وأنبأته بما سيحدث له في رحلته، ونصحته بألا يفاتح الرجل المدين في أمر هذا المبلغ، لأنه بالفعل يعد لهم المبلغ المقروض (الألف جنيه) منذ فترة، وأخبرته بما سيحدث إقامة عند هذا الرجل لعدة أيام، ومن مقابلة مع ابنة الملك ثم محاولة الزواج منها. ونصحته بنصائح مهمة؛ لكي يتم له الزواج منها؛ حيث كان كل من يتزوجها يموت في ليلة الزفاف، فتعطيه ثلاث قصاصات؛ كي يعطيها لعروسه يوم زفافه، فنسيانه لهذه القصاصات يعني موته. وقد اشترطت عليه كي تساعده أن يوافقها على طلبه، وهو أن تقاسمه مناصفة كل ما يعود به من هذه الرحلة، فيوافقها. وبعد أن طلبت منه أن يغمض عينيه وفتحهما، فوجد نفسه في بلدة الرجل المدين، الذي أحسن استقباله، وأخبره أن الفضل فيما هو عليه الآن إنما يعود إلى الألف جنيه الذي اقترضه من أبيه. وبدأت نبوءات القط في التحقق، فأعطاه الألف جنيه، ثم لما خرج للتجول في المدينة، وجدها متشحة بالسواد، حزنًا

على حظ ابنة الملك السيئ؛ إذ كل أزواجها يموتون في ليلة الزفاف. عندئذ توجه الابن إلى الملك لطلب يد ابنته، ويصرُّ على ذلك رغم تحذيرات الملك له. ثم اقترب من ابنة الملك وأعطاها القصاصات الثلاث، فابتلعتها، ونجا من الموت، وأسفر الزواج عن ابنين وبنتين. بعدئذ أراد الابن العودة إلى والده، فقرر الرحيل مع زوجته وأولاده، فأخذوا معهم هدايا ثمينة. وفي الطريق ظهرت القطة وذكرته بالشرط المتمثل في مقاسمته ما يحمله، فأعطاها نصف المال، والأحصنة، والأبناء والبنات، ولكنها طلبت منه نصف الزوجة. وبعد إصرار القطة وافق الزوج، فبينما تتأهب القطة لشطر الزوجة التي أنامتها على بطيخة، إذا بثعبان يخرج من فمها ويلتف حول البطيخة، فتقطعه القطة بالسكين الذي كانت ستقتل به الزوجة، ثم تُخرج من بطنه القصاصات الثلاث. وتوجهت إلى الزوج قائلة: "هذا كل ما أريده منك، فهذه قد هدأت الثعبان الذي لم يلدغك كما لدغ الأزواج السابقين، ارحل بسلام، وقل له إنني الصدقة التي قدمها، فقد عمل ببداية الآية "أرسل خبزك على وجه الماء"، فتحقق له نهاية الآية "سوف تجدنا في أغلب الأيام"(١).

والحكاية اليهودية السابقة مأخوذة عن الحكاية العربية "اعمل الخير وارميه البحر"، التي تدور حول رجل طيب كان متزوجًا من امرأة طيبة، وكان هذا الرجل يعمل تاجرًا. ولما تأخر إنجابه ذهب إلى شيخ، فنصحه أن يعمل الخير ويرميه في البحر، فكان كل يوم يعد الطعام ويرسله مع خادمه إلى البحر، ثم يترك الخادم الطعام على ضفافه. استمر الأمر على هذا النحو وفي يوم من الأيام سمع الخادم مناديًا من البحر يخبره أن زوجة سيده ستلد غلامًا مستجاب الدعاء. وبالفعل حملت الزوجة، وأوشك موعد الوضع. عندئذ اتفق هذا الخادم مع الداية، التي ستقوم بتوليد الزوجة على أن تسلمه المولود، وتضع بدلاً منه كلب، مقابل أن يعطيها مالاً.

---

(١) راجع ترجمة الحكاية في، فرج قدري الفخراني: مرجع سابق ص ٢٧٩- ٢٨٢.

وبالفعل تنفذ الزوجة الخدعة، فيأخذ الخادم المولود، ويربيه ويترك الكلب بدلاً منه لسيده، الذي رضي بقضاء الله وقدره، فيربي الكلب في منزله، وراح الكلب يساعده في الدكان. أما الخادم فقد راح يربي المولود، فلما كبر الطفل، طلب منه الخادم أن يطلب من الله أن يصبح غنيا، فاستجاب دعاءه، ثم طلب منه أن تصبح لديه عمارة أفضل من قصر الملك، فاستجاب الله دعاءه، ثم طلب منه أن يدعو الله أن تقبل ابنة الملك الزواج منه. ورغم أن ابنة الملك كان يتقدم لخطبتها الكثيرون، ثم يلقون حتفهم؛ لعدم قدرتهم على فك ألغاز ابنة الملك. وبعد أن تقبل ابنة الملك الزواج من الخادم، ويدخل بها، فيخبر الخادم زوجته بحقيقة أمره، فيسمع الغلام الحديث، فيدعو الله أن تتحول الزوجة إلى بغلة، والخادم إلى قرد، ويُستجاب دعاؤه. ثم يأخذهما الغلام إلى دكان أبيه، فيزداد الزبائن عليه، ويزداد الرزق. ثم يذهب الغلام مع أبيه وبصحبة البغلة والقرد إلى زوجة التاجر، ويحكي لهما حكايته التي حدثت من الخادم، ويكتشف الأب والأم حقيقة الخادم الخائن، فيذهبون إلى قصر الملك ويقصون له حقيقة أمر الخادم، فيأمر بقتله، وزواج الغلام من ابنته، التي تعود إلى طبيعتها الإنسية.

فكما هو واضح من الرواية اليهودية السابقة والمقابل العربي لها، فإن الحكاية اليهودية احتفظت بتفاصيل النص العربي، مع إحداث بعض التغييرات الطفيفة، التي لم تؤثر في مغزى الحكاية. فمن خلال هذه المحافظة في النقل من العربي إلى اليهودي، أرادت أن ترسخ لبعض القيم الجديدة (المأخوذة من المجتمع العربي والإسلامي) في المجتمع اليهودي، بهدف القضاء على تلك القيم النمطية السلبية، التي ارتبطت باليهود. من هذه القيم التي أرادت أن ترسخ لها الرواية اليهودية، محاولة تغيير صورة اليهودي المرابي، فاليهودي عندما يقرض الفقراء، يقرضهم دون أن يأخذ منهم أرباحا أو فوائد، فكان التاجر – حسب قول الراوي اليهودي – "يعطي الصدقات ويقرض المال دون فائدة لكل من يريد". فكان جزاء ذلك عظيما إذ رزقه الله رزقا واسعا، وساعد ابنه في الوصول إلى مبتغاه، كل ذلك

جزاء الأفعال الخيّرة التي قدمها التاجر الأب. الأمر الثاني الذي أرادت الرواية اليهودية التأكيد عليه، وغرسه في نفوس اليهود، هو محاولة تغيير صورة اليهودي المخادع أو الغادر، الذي لا يفي بوعده. ولقد تمثّل ذلك في وفاء الشاب مع القطة، التي ساعدته، واشترطت عليه مقاسمته في كل ما يتحصل عليه في رحلته، فيقتسم عليها ماله الذي تحصل عليه، وكذلك الحيوانات، وأولاده، وعندما تصر القطة على شطر زوجته نصفين، يوافق تحت ضغطها. فالراوي اليهودي أراد أن يرسخ لهذه الصفة عند اليهود، وفي الوقت نفسه أراد غرسها في نفوس الجمهور، من هنا كان استلهامه لهذا الموتيف العربي. فمثل هذه الموتيفات يكثر تناقلها في الحكايات العربية (مثل الاقتراض دون مراباة، الوفاء بالوعد مهما كان....)؛ لذا حرص الراوي اليهودي على تطعيم الحكايات اليهودية بها.

(٣)

هناك قسم من القصص الشعبي اليهودي المنقول عن القصص الشعبي العربي، حافظ على المضمون العربي، وذلك بعد أن تم تهويد الأسماء فقط في بعض الحكايات السياسية (مثل "سر الملك أذنا حمار") ومقابلها العربي قصة "السر ف بير"، وكذلك في الحكايات الاجتماعية كما في قصة "الزواج من السماء" ومقابلها العربي قصة " ست الحسن والجمال وصرام مدلدل ".

ففي قصة "سر الملك أذنا حمار"، كان للملك أذنان طويلان، وكان مصير كل حلاق يأتيه القتل؛ إذ كان الحلاق لا يتمكن كتم سر طول أذني الملك. ولكننا نجد الحلاق شوليا يتمكن من كتم سر الملك عن الناس، ويستمر في مهنة الحلاقة للملك، فلا يلقى مصير زملائه. ويلجأ إلى حفر بئر بجانب النهر، ويصرخ إلى نفسه في البئر قائلا: "لملكنا أذنا حمار"، وكانت تنمو أعواد المزامير، التي راحت تغني تلك الجملة "لملكنا أذنا حمار"، ولما أدرك الملك ذلك عفا عنه[١].

---

(١) فرج قدري الفخراني، المرجع السابق، ص ٢٦٦.

إن الحكاية اليهودية السابقة عبارة عن اختصار للحكاية المصرية "السر ف بير". فالرواية اليهودية قامت بتكثيف الأحداث، وعدم الميل إلى التفاصيل على نحو ما قدمته الحكاية المصرية. ويرجع سبب هذا الاختزال إلى أن الراوي اليهودي ذا الأصل العربي قام برواية هذه الحكاية باللغة العبرية، التي لا يتقنها؛ ومن ثم ركزَ على عرض المضمون، دون التركيز على فنيات الحكاية. وتدور الحكاية المصرية حول ملك اسمه "تركان"، كانت أذناه طويلتين، وكان كلما جاءه حلاق، لم يتملك نفسه من الضحك لطول الأذنين، ثم ينقل السر إلى الناس، فيكون مصيره الحبس في السجن. وظل الأمر على هذا النحو حتى جاءه حلاق احتفظ بالسر لنفسه، فلم يضحك، ولم يخبر أحدًا بطول أذني الملك. ونظرًا لعدم تحمل الحلاق السر فإنه حفر بئرًا، وأراد أن يحفظ سر الملك في هذا البئر، فراح يردد فيه جملة "تركان ليه ودان، وودان أطول من ودان المعزة"، ثم يضحك. وظل الأمر على هذا النحو حتى نمت غابة من الأعواد داخل البئر، فأخذها الناس وصنعوا منها مزامير، وكلما نفخ فيها أحد من الناس، تغني قائلة "تركان ليه ودان، وودان أطول من ودان المعزة". وأدرك الملك في نهاية الأمر – بعد إجرائه التحريات – ما فعله الحلاق، فأطلق سراح الحلاقين المسجونين، وعفا عن الحلاق، الذي كتم سر الملك في البئر.

فالرواية اليهودية التي مالت إلى الاختزال، على نحو ما تم توضيح أسبابه، اكتسبت طابعًا يهوديًا من خلال تهويد الأسماء، فالحلاق – الذي سكتت الحكاية المصرية عن تسميته – يصبح اسمه "شوليا". أما بالنسبة للمضمون فقد حافظت الرواية اليهودية على المضمون العربي دون تغيير فيه، باستثناء التغيير في مصير الحلاقين، ممن لم يتمكنوا من كتم سر الملك، حيث أصبح مصيرهم القتل في الرواية اليهودية،والسجن في الرواية المصرية. وهو مصير أقرب إلى طبيعة كل من البيئتين، الإسرائيلية التي تميل إلى العنف والقتل، والمصرية/ العربية التي تميل إلى روح التسامح، على نحو ما تم في نهاية الحكاية المصرية، حيث العفو عن الحلاقين المسجونين.

وفي حكاية عربية أخرى عنوانها "ست الحسن والجمال وأختها صرام مدلدل"، نجد الراوي اليهودي يطبعها بالطابع اليهودي، ويرويها تحت مسمى "الزواج من السماء". وتدور الحكاية العربية التي تعددت رواياتها - حول رجل أنجب بنتا اسمها "ست الحسن والجمال"، التي ماتت أميا بمجرد ولادتها، فتزوج الأب من امرأة أخرى، أنجبت له بنتا، أسمتها "صرام مدلدل". وكانت زوجة الأب دائمة التعذيب ل"ست الحسن والجمال"، والتدليل لابنتها، فدائمًا ما كانت تكلف ابنة ضرتها بالقيام بالأعمال في المنزل والحقل. ولقد كانت شدة جمال "ست الحسن" وحسنها وذكائها مبعثا على حقد زوجة أبيها وأختها عليها. ولقد أرادت زوجة الأب التخلص من هذه الفتاة، فأرسلتها إلى البئر، كي تملأ الدلو منه. فسارت الفتاة في الطريق فقابلها الغـــراب، فألقت عليه تحية الصباح "صباح الخير يا غراب يا اسود يا حلو"، فرد عليها التحية، ودعا لها أن يرزقها الله هذا السواد في عينيها، وألا يجعله في وجهها "يجعل بياضي في عينيك، ولا يجعلوش في وجهيك"، ثم تقابل أبا قردان، وتلقي التحية عليه، ثم تمدح بياضه الجميل، فيدعو الله أن "يجعل بياضي وجهيك ولا يجعلوش في عينيك"، بعدها تقابل نخلة طويلة، فتلقي التحية، وتمتدح طولها، فتدعو الله أن "يجعل طولي في شعريك ولا يجعلوش في رجليك". فتزداد ست الحسن جمالا؛ إذ تصبح بيضاء الجسم، ذات عيون سوداء، وطول متناسق، وشعر أسود طويل. تقابل في طريقها مجموعة من الفلاحين يحصدون السمسم، فتلقي عليهم السلام، وتدعو لهم بالبركة، فيعطونها بعض السمسم، وأخيرا تصل إلى البئر، فتجد العجوز، التي تلقي عليها السلام "سلام عليك يا أمنا العجوز"، فترد عليها العجوز "لولا سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عضامك"، فتعجب العجوز بذكاء ست الحسن، فتملأ لها الدلو من البئر، وتعطيها ذهبا ومالا كثيرا. وفي أثناء عودتها إلى البيت يقابلها ابن السلطان الذي يعجب بها. وعندما عادت الفتاة إلى زوجة أبيها ورأتها بهذه الحالة، اغتاظت وأرسلت ابنتها "صرام مدلدل"

إلى البئر كي تملأ الدلو، ولكنها أساءت التعامل مع الغراب وأبي قردان والنخلة والفلاحين والعجوز، فعادت طويلة مثل النخلة وشعرها قصير "أكرت" وعيونها بيضاء، ووجهها أسود، ومليئة بالثعابين والحيات، وراحت تستغيث بأمها. في هذه الأثناء جاء ابن السلطان ليخطب ست الحسن والجمال، ولكن زوجة أبيها تخفي وجه ابنتها القبيح، وتحاول أن تخدع ابن السلطان، فتأمر ست الحسن أن تذهب إلى الطاحونة. وفي هذه الأثناء يتم زفاف ابن السلطان على العروس المزيفة، وتكاد الحيلة أن تنجح لولا وجود قط يحذر ابن السلطان من الخديعة، وينبهه إلى حقيقة الأمر "نو نو نو.. ست الحسن والجمال ف الطاحونة بتطحن.. وصرام مدلدل ع الجمل تتمخطري" فيكشف ابن السلطان عن وجه العروس، ويكتشف الخديعة، ويأمر بالبحث عن ست الحسن، فيتزوجها، ويعاقب زوجة الأب وابنتها.

وفي الرواية اليهودية لهذه الحكاية، نجد الراوي اليهودي يطبع الحكاية العربية بالطابع اليهودي من خلال الأسماء، فيعطي ست الحسن والجمال اسمًا يهوديًا هو "راحيل"، ويصبح اسم صرام مدلدل "لينة"، هذا بالإضافة إلى تطعيم الحكاية العربية ببعض التصورات اليهودية. فالرواية اليهودية تقول إن سيدة غنية أخذت من أحد جيرانها ابنته الفقيرة "راحيل" كي تربيها، ثم أنجبت هذه السيدة طفلة أسمتها "لينة". ولما كبرت البنتان جاء شاب غني من إستانبول ليخطب راحيل، ولكن الأم أرادت أن تعطيه لينة بدلاً منها. ولما الأم غطّست البنتين في المنقع، خرجت راحيل أولاً، وأعدت المائدة للفتى، فيهبط إليها من السماء عشرة ملائكة، ويأمرونها أن ترتدي فستان الزفاف، وحيوهما وكتبوا الكتاب لراحيل وهرب الفتى، دون أن تأخذ الأسرة خبرًا بذلك. وبعد فترة حملت راحيل، فاكتشفت الأم الحقيقية أمر زواج الفتى من راحيل، ثم يتم الإعلان عن الزواج[١].

---

(١) فرج قدري الفخراني: مرجع سابق، ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٤)

إن محاولة تشويه صورة العربي عامة والمصري خاصة، وكذلك تشويه صورة المسلمين ورسولهم، في مقابل الترسيخ لصورة إيجابية لليهودي والإعلاء من شأنه، تحتل قسطًا كبيرًا في الحكايات الشعبية، التي يشتمل عليها الأرشيف الفولكلوري، على نحو ما يتبدى في عدد من القصص الشعبي الإسرائيلي، وهي قصص غالبا ما تم تأليفها في فترة تاريخية متأخرة؛ ومن ثم فإننا – في الغالب لن نجد لها مقابلاً عربيًا – لأن هدفها النيل من العرب والمسلمين، والإعلاء من شأن اليهود والإسرائيليين. ومن القصص التي ترسخ لتلك المحاولة، قصة "صديقان" وقصة "غيرة الوزير" وقصة "الفطيرة يأكلها صاحب الحلم الجميل"، وهي قصص يضمها أرشيف الفولكلور الإسرائيلي.

فلقد حرص هذا القسم – من الحكايات – على التأكيد على رسم صورة إيجابية لليهودي؛ بهدف محاولة تغيير الصورة السيئة الراسخة عن اليهود، وذلك مــن خــلال إيضــاح صور الاضطهاد التي يتعرض لها اليهود من قِبل الشعوب أو الديانات الأخرى، أو من خلال محاولة الترسيخ لصفات إيجابية في الذات اليهودية، كالذكاء والكرم والشجاعة، في مقابل ما هو مستقر في نفوس العالم عنهم من صفات سيئة، مثل الحمق والبخل الشديد والجبن.

فقصة "غيرة الوزير" تتعرض لذلك الاضطهاد الذي يتعرض له اليهود من الآخرين. فابن أحد الأغنياء اليهود يفقد ثروته بعد وفاة والده، فيعمل في بيع بعض المشروبات، ويعطيه الملك ثمن ما شرب؛ إذ إنه كان كثير التردد عليه، الأمر الذي أثار حفيظة الوزير، الذي لم تسمه الحكاية، كما أنها لم تشر إلى ديانته – والتي هي بالطبع ليست اليهودية – فيحاول أن يوقع بينه وبين الملك؛ بحجة أن رائحة كريهة تخرج من هذا الشاب اليهودي البائع. غير أن الملك يفطن إلى تلك الوقيعة، فيقع الوزير المخادع في شر تدبيره، ويأمر الملك بقتله بنفس الآلة التي كان يخطط لقتل البائع اليهودي بها.

إن ذلك الربط بين اليهودي والرائحة الكريهة ربط معروف في ثقافات متعددة، فنجد مثلاً أدولف هتلر يؤكد على سوء رائحتهم، بل يربط بين قذارة رائحتهم الخارجية وقذارتهم الروحية والداخلية، فيقول: "رغم تمسك اليهود بشعار الطهارة وغيرها من المفردات العقائدية فإنك تصاب بالدهشة إذا ما وقعت عيناك على يهودي؛ حيث إنك ستكشف مدى ابتعاده الواضح عن الطهارة والنظافة حتى أني كنت أحيانا أسدُ أنفي من هول الرائحة الكريهة التي كان يختص بها هؤلاء دون غيرهم، كأن هناك خصومة بينهم وبين الماء والصابون. والواقع أن قذارتهم الجسمية لا تقارن بقذارتهم النفسية والشخصية والروحية؛ حيث أدركت مع مرور الزمن أن ما في حادثة أو واقعة أو سلوك أو فعل أو تصرف يتعارض مع الأخلاق والقيم إلا واليهود يقفون وراءها"(١).

ولذا كان ذلك سببًا في شن هتلر لهجمته عليهم، لأنه أدرك مدى خطورتهم على العالم، فهو كان يرى أن "اليهودي عاش دائمًا عالة على الشعوب الأخرى، وكان يؤسس مملكته الخاصة به، وهو يخفيها عن عيون الشعوب؛ لأنها ذات طابع ديني؛ حيث لا تسمح الأحداث بالكشف عن أهدافها، أما إذا أحس بقوته فسوف يعلن عنها"(٢).

والحكاية السابقة – التي نراها حكاية يهودية مستقلة – هي عبارة عن موتيف شعبي صغير كثير التناقل في الحكايات العربية والعالمية، دون أن يأخذ هذا البعد الديني. فعلى سبيل المثال في حكاية "الملك والوزير والحطّاب الفقير"، التي تحكي كرم الحطّاب مع الملك والوزير دون علمه بهويتهما؛ إذ ظن أنهما مجرد رجلين عاديين يسيران في الصحراء، فيقوم بإكرامهما بذبح الناقة – آخر شيء يملكه – ويعرف الملك ذلك فيدعوه لقصره، كي يعطيه ما يريد، بعد أن أعاد إليهما

---

(١) أدولف هتلر: كفاحي، تعريب: هشام خضر، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى،٢٠٠٦م، ص ٢٢.
(٢) أدولف هتلر: كفاحي، ص١٤٢.

ما تركاه له أسفل "المخدة"؛ ظنًا منه أنهما نسياه. فيذهب إلى الملك يوم الجمعة – حسب الموعد المحدد بينهما – ولكنه بمجرد أن يجد الملك يرفع يديه، طالبًا من الله أن يرزقه، يعود قافلاً إلى خيمته في الصحراء. فتقوم الريح التي تقلع خيمته، وتنقلها إلى مكان بعيد، وعملاً بالمثل الشعبي "مطرح ما ترسي دق لها" فإنه يضرب خيمته في هذا المكان الذي اختاره القدر له، فيجد أسفل الخيمة كنزا. يتحول – بعد ذلك – حال هذا الحطّاب، ويصبح غنيا، ثم يعاود الملك والوزير زيارة الحطّاب، الذي تغير به الحال، فيعرفهما الحطّاب، دون أن يعرفاه، فيزيد في كرمهما، وبمجرد معرفة الحقيقة، وعلو شأن ذلك الحطّاب وغناه (وهنا يأتي الموتيف الذي استقل حكاية يهودية) يغتاظ الوزير، ويحاول الاستيلاء على مال ذلك الحطاب، فيحاول الإيقاع بينه وبين الملك. يقنع الوزير الملك أن ذلك الحطاب يطمع في المُلك، ويوشي إليه بضرورة قتله، من خلال خديعة معينة. تلك الخديعة التي يفطن إليها الحطّاب، فيلفت نظر الملك إليه، الذي يأمر على الفور بقتل الوزير، وتعيين الحطّاب بدلا منه.

فالحكاية المصرية أطول من ذلك بكثير، ولكنني آثرت الاختصار لعدم الإطالة، وهي حكاية كثيرة الرواية على ألسنة عدد كبير من الرواة؛ نظرًا للبعد الإنساني الذي يسيطر على الحكاية، في حين أن الحكاية اليهودية أخذت الطابع اليهودي. وليست هذه الحكاية هي الوحيدة التي نقلت هذا الموتيف، بل هناك حكايات شعبية كثيرة تواتر فيها هذا الموتيف.

وفي السياق نفسه – أقصد سياق الإعلاء من شأن اليهودي – تأتي حكاية "الفطيرة يأكلها صاحب الحلم الجميل"، التي يتم الاتفاق فيها على أن ينال صاحب الحلم الجميل فطيرة ليأكلها. وكانت المنافسة بين يهودي ومسيحي ومسلم، فأما المسيحي فيأتيه السيد المسيح في المنام ويصطحبه إلى الجنة، وأما المسلم فيأتيه النبي محمد ويصطحبه إلى النار، وأما اليهودي فيأتيه النبي موسى ويشير إليه بأكل

الفطيرة. فالحكاية تعلي من شأن اليهودية على حساب المسيحية والإسلام، فأجمل الأحلام هو ذلك الذي يأتيه فيه موسى، وليس محمدًا أو عيسى.

وقد تعطي بعض الحكايات اليهودية الحق لليهودي في قتل العربي، على نحو ما نجده في قصة "القادة في إسرائيل". ففي هذه القصة يقتل اليهودي عربيًا ببندقيته، ولما أدانه العرب بالقصاص، استغاث الشاب اليهودي برئيس طائفة اليهود، فأعانه شيخ (هو رئيس طائفة اليهود، دون أن يعرف الشاب حقيقة هذا الشيخ)، وتوسط له عند الوالي، فحصل منه على الإعفاء لليهودي. ومما لا شك فيه أن مساعدة شيخ الطائفة اليهودية للشاب اليهودي للعفو عنه، يعد اعترافًا رسميًا من الدولة بالسماح لليهود بقتل العرب، واستخدام العنف ضدهم.

وتحاول حكاية "للناقة جمل" أن ترسخ لصورة اليهودي الشجاع والجريء والذكي في الوقت نفسه؛ لتحل محل صورة اليهودي الجبان. فأهل القرية الذين يخشون الحاكم القاسي، يترددون في إبلاغه عما أفسدته ناقته في حقولهم، وترددهم كذلك في طلبهم منه بضرورة نقل ناقته من هذا المكان إلى مكان آخر؛ خوفًا من غضب الحاكم. غير أن أحد اليهود يمتلك من الجرأة ما دعاه إلى الذهاب إلى الملك – رغم خوف الناس من الملك وهروبهم من أمامه – وأراد أن يخبره بما فعلته ناقته، ولكنه لما وجد حال القرية وخوفهم وهروبهم من مواجهة الملك، فإنه – وفي ذكاء شديد – حوّل شكايته إلى طلب – انتقامًا من أهل القرية – من الملك بضرورة البحث عن جمل لناقته؛ حتى لا تشعر بالسأم.

فالحكاية تحاول أن ترسخ لصفتين عند اليهود، هما جرأة اليهودي وشجاعته، وذكاؤه وسرعة بديهته في الوقت نفسه، الأمر الذي يجعله يتفادى غضبة الوزير عندما لاحظ انصراف أهل القرية عنه وعن الشكوى التي كانوا بصدد نقلها إلى الحاكم.

كما نرى حكاية شعبية تحاول أن تغير صورة اليهودي البخيل، بأن تجعل من اليهودي الغني رجلاً كريمًا، يتصدق على الفقراء في السر، دون أن يرغب في الإفصاح عن نفسه. ففي حكاية "الغني البخيل وصانع الأحذية"، وهي حكاية - تم تسجيلها بواسطة السيدة تسيبو رابين، وهي ربة منزل في تل أبيب، وقد سمعتها من الحاخام برنشتين- تدور حول شخص يهودي غني لا يتصدق على الفقراء، وقد شاع صيته في القرية بأنه بخيل، ولا يحب التصدق على الفقراء. في حين كان هناك يهودي آخر يعمل صانعًا للأحذية، ورغم فقره فإنه كان دائم التصدق على الفقراء. فلما مات اليهودي الغني، قرر يهود القرية - وعلى رأسهم الحاخام - أن يدفنوه بالقرب من السور دون أن يصاحب أحد منهم جنازته. وبعد عدة أيام جاء بعض الشحاذين إلى اليهودي الفقير - صانع الأحذية - يطلبون منه المساعدة، فأجابهم بالنفي؛ لعدم امتلاكه ما يعطيه لهم؛ إذ لم يعد يمتلك شيئًا يعطيه للفقراء. عندئذ استدعى الحاخام ذلك اليهودي الفقير وسأله عن سبب توقفه عن العطاء. فأجابه أن الشخص الذي كان وراء تصدقه على الفقراء منذ فترة طويلة، كان ذلك اليهودي الغني الذي مات، فقد كان دائمًا ما يعطيه المال ويطلب منه أن ينفقه على الفقراء، شريطة ألا يعلم أحد بذلك السر. ولكنه اضطر الآن إلى الإفصاح عن ذلك؛ بسبب موت ذلك الرجل، وعدم قدرته على التصدق على الفقراء. لذلك اصطحب الحاخام أهل قريته إلى قبر اليهودي الغني المظلوم، وأبدوا اعتذارهم له، وطلبوا العفو منه، ثم أوصى الحاخام بأن يدفن بعد موته إلى جواره بالقرب من السور[١].

فالحكاية مطعمة بالعديد من العادات والتقاليد اليهودية، ولكنها قبل كل هذا تنقل لنا صورة جديدة لليهودي، تتمثل في ذلك اليهودي المعطاء، الذي ينفق ببذخ على فقراء قريته، في تكتم وسرية تامة، ويفضل أن يحافظ على سره هذا رغم كل ما يقترفه أهل قريته في حقه في حياته أو بعد مماته. ولا يتم الكشف عن تلك

---

(١) د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، ص٢٤٤، ٢٤٥.

الصورة المعطاءة له إلا بعد وفاته، وانقطاع نبع العطاء عن الفقراء، عندئذ يضطر اليهودي الفقير إلى البوح بالسر، رغم تحذيرات اليهودي الغني له. وإلى جانب تلك الصورة الإيجابية – المخالفة للصورة الواقعية المأخوذة عن اليهودي، التي تتمثل في اليهودي البخيل، القليل التصدق على الفقراء، المتكالب على جمع ماله، والمحافظ على هذا المال دون إنفاق له– إلى جانب تلك الصورة الإيجابية نجد صورة إيجابية أخرى لليهودي، تتمثل في اليهودي الفقير، الذي يتسم بالأمانة في حرصه على توزيع المال والتصدق بكل ما منحه إياه اليهودي الغني، والتكتم على سره، احترامًا لرغبته، ولكن بمجرد أن تأتي الفرصة للاعتراف بأحقية اليهودي الغني الميت في أن ينال حقه من التكريم من أهل القرية، نجده يفعل ذلك دون تردد، رغم الهالة التي وضعه فيها أهل قريته من الاحترام والإكرام، لاعتقادهم أن ما ينفقه من ماله، لا من مال اليهودي الغني.

وقد تخص بعض الحكايات الشعبية اليهودية الإسلام بالهجوم عليه، والتهكم من نبيه. ففي حكاية "محمد متعلق بالإسلام"، تطلق فتاة يهودية اسم محمد على حمارها، وهو اسم جارها الذي تصوره الحكاية على أنه دائم القلق لها، – ونحن نعرف ما لهذا الاسم من إجلال عند المسلمين– فيحتكمان إلى القاضي، الذي يقبل الرشوة من الفتاة، فينتهي الأمر بإعفاء الفتاة بالحمار، أما الجار المسلم فقد توقف عن مضايقتها.

وفي نكتة "اليهودي الجبان"، يؤدي كره المسيحي لليهودي إلى معايرة يهودي بذلك اليهودي، الذي قُتل بالأمس بضربة. وبذكاء شديد يرد عليه اليهودي، بأن الرجل الذي قتل بالأمس، بعد أن أخلعوه منطاله اكتشفوا أنه كان مسيحيًا.

وقد تربط حكاية أخرى العربي بالخداع، على نحو ما نجد في قصة " من المذنب". فالعربي الذي كان يعمل أجيرًا، يلجأ إلى مخادعة القط، الذي كان دائم التهام لحم ذلك العربي. ولما أراد العربي أن ينتقم من القط، فإنه تظاهر بالقيام

بأداء الصلاة، فأحضر سجادة الصلاة، ووضع تحتها عكازًا. ولما اقترب القط ليلتهم اللحم، قطع العربي صلاته، وضرب القط بالعكاز، فاشتكى القط إلى الملك سليمان من مخادعة العربي له، باستخدام الصلاة وسيلة لخداع الآخرين. وقد تصادف أن سمعت هذه الحكاية في صباي برواية أخرى خالية من هذا الخداع، وإن حل محلها الطابع الفكاهي البسيط. فالمسلم كان يصلي، ولكنه - أثناء صلاته - رأى القط يقترب من إناء اللحم ليلتهمه. فعندما أراد أن يصرفه، دون قطع صلاته، فإنه كان يبدأ قراءة سورة الفاتحة، فقال بصوت واضح "بس"م الله الرحمن الرحيم، أي أنه نطق الجزء الأول من "بسم". فانصرف القط جاريًا، معتقدًا أن الرجل يقصد طرده. فكلمة "بس" وجمعها "بسس" أو بسوس" العامية تعني القط والقطط، وهي أي "بس" تستخدم كذلك في طرد القطط وتخويفها.

وتدور حكاية "الجثة تكشف القاتل" حول تلك الشراكة التي جمعت بين عربي ويهودي، فيقوم العربي بقتل شريكه اليهودي. ويقول اليهودي قبل موته إن شجرة العنب سوف تنتقم له بعد موته. يقوم العربي بدفن اليهودي تحت شجرة العنب، وبعد مرور سنتين تثمر شجرة العنب في غير أوان الإثمار، فيقطف العربي الثمار، ويهديه إلى الملك، فإذا بالدم ينزف من العنب؛ عندئذ يعترف العربي بقتله اليهودي، وتقبل زوجته الدية.

وتقابل هذه الرواية حكاية مصرية، عنوانها: "الشيخ عبد الرحمن بو بطيخة"، التي تدور حول صديقين، كانا يمشيان معا في الصحراء، فعرف أحدهما أن صديقه معه خمسون جنيها، فراح يفكر في قتله ليستولي على ما معه من أموال. فسأله عمن سينقذه من القتل لو أراد قتله، فأجابه: "المتجلي يخبر المتولي"، أي أن الله/المتجلي سيخبر الناس/ المتولي. فيقتله ثم يأخذ ما معه من أموال، ثم يدفنه. ويحدث أن الملك يصاب بمرض، يصف الطبيب علاجه في "بطيخة"، فيبحث الشعب عن البطيخ؛ لأنه كان في غير موسم زراعة البطيخ. وبعد مرور فترة لم

تقلل عن العام، قرر الصديق القاتل زيارة قبر صديقه المقتول، فوجد شجرة بطيخ كبيرة، وبها بطيخة كبيرة جدًا، فاقتطعها وأخذها هدية للملك، الذي بمجرد ما قبلها، وأعطاها للخادم كي يشقها، انسال الدم منها، الذي غطى القصر كله. فأمر الملك بالقبض على ذلك الرجل، الذي أخبرهم بالحقيقة، فأمر الملك بشنق الصديق القاتل.

إن الفرق واضح بين الحكاية المصرية والرواية اليهودية لها. فالرواية اليهودية تطبعت بالطابع السياسي الديني، فالعربي هو ذلك الصديق الخائن، الذي يقتل صديقه اليهودي. فالعربي هو الخائن والمغتصب لحق اليهودي المغلوب على أمره. أما الحكاية المصرية فإنها اتَّسمت بالتعميم، لم تحدد دينًا أو عرقًا فيها. فالصديقان مجرد صديقين، ليس هناك ذكر لليهودية أو الإسلام في القصة، فالقصة لم تأخذ ذلك المنحى الذي أخذته - بل أكدت عليه - الرواية اليهودية، فقط أخذت من الواقع الديني فكرة الإعلاء من الذات الإلهية ووقوفها بجانب الضعيف؛ بهدف إثبات الحق. وإلحاح الحكاية على وصف القاتل بالعربي والمقتول باليهودي ذو مغزى، تسعى الحكاية إلى ترسيخه في نفوس الجمهور، الذين معظمهم من النشء الصغير.

كما استهدف هذا القسم من الحكايات الشعبية الإسرائيلية تشويه صورة المصريين، وتكوين صورة سيئة عنهم يتناقلها الوجدان الشعبي الإسرائيلي. وهي في الغالب حكايات تم تأليفها في فترة متأخرة؛ لتحقيق الهدف نفسه. ففي قصة "صديقان"، التي يحتويها أرشيف الفولكلور الإسرائيلي، كان هناك صديقان يدرسان في أمريكا، أحدهما أمريكي والآخر مصري، وكان للمصري خطيبة تنازل عنها للأمريكي لأنها أعجبته، فلما أعلن المصري إفلاسه وفقره، طرده الأمريكي من المسكن. ثم استعان المصري بأبيه، فأرسل إليه أموالاً، فاغتنى المصري، وفي النهاية تزوج المصري من أخت الأمريكي[1]. وهذه الصفة - التي تريد أن ترسخ

(١) فرج قدري الفخراني: مرجع سابق، ص ٢٨٦.

نها الحكاية اليهودية – منافية لطبيعة العربي عامة، والمصري خاصة؛ حيث إن دوافع الغيرة والنخوة تقف حائلاً دون ذلك، رغم أن ظاهر القصة يوحي بأن المصري عندما تنازل عن صديقته، فعل ذلك وفاء لصديقه الأمريكي، أي أن ظاهرها يوحي أنها امتداح لشخصية المصري. غير أن باطنها يريد أن يفرغ شخصية المصري من أهم صفات المصري، أعني النخوة والشهامة. فالوفاء – حسب المفهوم العربي– يكون بالمال والروح، وبكل شيء سوى العرض والأرض.

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما دلالة أن تحرص حكاية ما على وصف شخصية بأنها صاحبة الحق (اليهودي)، في مقابل الشخصية المغتصبة (المسلم أو المسيحي أو العربي)؟ إن دلالة هذا أن هذه الحكايات ليس لها من اليهودية شيء، فالحكايات العالمية، ومنها العربية بالطبع، كانت ذات طابع إنساني، لم تخص بالهجوم دينا دون دين، أو عرقًا دون عرق. وإنما هذا الهجوم على الآخر، والتقليل منه يمثل سمة أساسية في الروايات اليهودية؛ بهدف غرس القيم اليهودية، وطبع هذه الروايات بالطابع اليهودي، ومحاولة إثبات يهودية هذه الحكايات؛ لترسيخ هوية إسرائيلية أو يهودية.

وما تنبغي الإشارة إليه – في هذا السياق – أن محاولة تقديم صورة مشوهة عن العربي لم تقتصر على الثقافة الشعبية اليهودية، وإنما نجد لها نظيرًا في الثقافة الشعبية الأمريكية. وهو ما يؤكده إدوارد سعيد؛ حيث يرى حرص الثقافة الشعبية الأمريكية على تشوية صورة العربي بعد عام ١٩٤٨ وذلك على نحو مغرض. وقد مثلتها صورة العربي المترحل، ثم العربي الذي يضع يده أعلى رأسه؛ دليلاً على الهزيمة، وكان ذلك عقب عام ١٩٦٧. في حين أصبحت صورته تتمثل في شخص يقف في محطة البنزين بعد حرب ١٩٧٣؛ دليلاً على العربي الذى يمتلك النفط، ويهدد إسرائيل والغرب وأمريكا، وهو ما ينذر بخطر شديد على الجميع[1].

---

(١) إدوارد سعيد: الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٤٣٦ وما بعدها

(٥)

يمكن لنا أن نختم حديثنا عن تهويد التراث الشعبي العالمي بالحديث عن التراث العربي المسلوب، من خلال عدد من الموتيفات العربية التي تتواتر روايتها على ألسنة الرواة اليهود العرب، الذين هاجروا إلى إسرائيل. فـ"عالم الموتيفات عالم كبير جدا، فالموتيفات تهاجر بحرية من مكان إلى آخر، وقد امتص اليهود كثيرًا من العناصر والموضوعات والأفكار من فولكلور الشعوب التي عاشوا بينها"[١]. والحكاية الإسرائيلية التالية توضح ذلك؛ إذ تدور حول حديث الملك للزاهد (والملك يشبه إليا)، سآخذك الآن إلى ربك لأريك أكثر الرجال خطيئة، وأكثرهم طيبة. وطلب الملك من الزاهد أن ينتظر أمام الباب، فأول رجل سيخرج هو أكثر الناس خطيئة، وفي المساء فإن آخر من سيعود هو أكثر الناس طيبة. وامتثل الزاهد للأمر، وجلس في انتظار من يمر به، فإذا بصياد ومعه ولد صغير يخرجان في طريقهما للصيد، وسأل الولد الصياد عما إذا كان هناك شيء أكبر عددًا من الرمال، أو أمواج البحر، أو النجوم في السماء. فقال له الصياد: إن رحمة الله أكبر من كل هذه الأشياء جميعا. وفي المساء ذهب الزاهد ليجلس أمام الباب نفسه، منتظرًا لكي يرى أكثر الرجال طيبة وخيرًا، وإذا به يرى نفس الصياد وابنه يمران من الباب. وشرح الملك للزاهد سبب ذلك أنه بسبب الجملة الواحدة التي قالها الصياد عن رحمة الله، فقد تحول المخطئ الكبير لكي يكون أكثر الناس طيبة وخيرا[٢].

إن موتيف تغيير قضاء الله بسبب عمل طيب يُقدم عليه الشخص، الذي كاد أن يقع عليه القضاء السيئ، كثير التواتر في الحكايات الشعبية العربية ذات الطابع الديني، والتي يطلق عليها الرواة المصريون مصطلح "الحديث". وهي حكايات / أحاديث (أعني تلك التي تعتمد على ذلك الموتيف الشعبي) غالبًا ما تدور حول

---

(١) د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، ص٨٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٦.

النبي موسى – عليه السلام –الذي يأخذ دور الملك (أو إيليا في الروايات الإسرائيلية). ففي حكاية/ حديث "سيدنا موسى وعمر الراجل الغلبان"، يطلب الرجل الفقير من موسى – عليه السلام – أن يسأل ربه عما إذا كان الله –عز وجل– يريد أن يخبره شيئا. فلما سأل موسى ربه، أجابه أن عمر هذا الرجل عشرة أيام فقط، سيموت بعدها، وسيكون مصيره جهنم، وطلب من موسى أن ينصح الرجل بأن "يلم دينه". فأخذ موسى هذا الرجل – بعد أن أخبره بعمره– وراح يبحث له عن زوجة، فنزلا على رجل فقير، لديه ست بنات، رفضنه البنات الكبريات الخمس لسوء خلقته، ووافقت الابنة الصغرى، قائلة: "ماالخدوش ليه.. مش هاجيب منُه ولد يوحد الله!!". تزوجها الرجل وعاشا معا عمرا طويلا، وأنجبا أولادا، فلما مر عليه موسى بعد فترة طويلة، لم يعرفه، ولكن الرجل عرفه، ودعاه، فلبى دعاءه. فاستغرب موسى لما عرف حقيقته، فلما سأل موسى ربه –على جبل الطور– عن السبب في إطالة عمر هذا الرجل، رغم أن الله سبق أن أخبره بأن عمره عشرة أيام فقط، وها هو قد مرت عليه سنوات كثيرة ولم يمت بعد. عندئذ أجابه الله " اديته عمر أربعين سنه ف نظير المره اللى خدته[١]، قالت مش هيدينى منه ولد يوحد الله، فانا كتبت له ... كتبت له ف الكلمة عمر أربعين سنه لقدام".

وفي حكاية/ حديث "سيدنا موسى وعمر الظالم"، نجد الرجل المؤمن – الذي يقع عليه ظلم الرجل الظالم– يستنجد بموسى – عليه السلام – ويسأله عن عمر هذا الرجل الظالم. فيذهب موسى إلى جبل الطور، ويسأل ربه عن عمر هذا الرجل، فيجيبه الله –عز وجل– أن عمره ثلاثون عاما. فلما أخبر موسى الرجل المؤمن بعمر الرجل الظالم، استغاث بربه قائلاً: " أعوذ بالله ... السميع العليم ... أصبر على هذا المظلمه تلاتين سنه؟"، فأبلغ الرجل زوجته المؤمنة بعمر الرجل الظالم، فكررت الجملة السابقة، ثم أخبرت ابنتها بعمر الظالم فكررت الابنة الجملة

(١) ف نظير المره اللى خدته: من أجل الزوجة التى تزوجته.

نفسها. وفي اليوم نفسه -الذي أخبرهم فيه موسى عمر الظالم- يموت الرجل الظالم. فلما عرف موسى ذلك وسأل ربه، أخبره أن استعاذة الرجل المؤمن أسقطت من عمر الظالم عشر سنوات، وكذلك استعاذة الزوجة المؤمنة، واستعاذة الابنة المؤمنة.

لقد استولى الباحثون الإسرائيليون على هذا الموتيف الذي أظنه عربيًا أو إسلاميا، واعتبروه موتيفا يهوديا؛ ومن ثم اعتبروا كل الحكايات الشعبية التي يتواتر فيها هذا الموتيف حكايات شعبية يهودية أو إسرائيلية.

ومن نماذج الاستلاب الإسرائيلي للمأثور الحكائي الشعبي العربي، الحكاية المرحة التالية في روايتها الإسرائيلية، التي تقول: إن حاخاما يهوديًا جاء إلى فصل في مدرسة برفقة لجنة المدرسة، ودخل الحاخام معهم إلى الفصل، فلمح ولدًا لا ينصت إلى الشرح كما يجب، فأراد أن يؤنبه، أو أن يسترعي انتباهه، دون توبيخه توبيخًا شديدًا في نفس الوقت. "فقال له داوود: من حطّم الوصايا العشر؟... من حطم الألواح؟ فقفز الولد - الذي لم يكن ينصت جيدًا، وقال: "لست أنا..." ثم تورد وجهه. استمر الحاخام في حديثه مع تلاميذ الفصل، وعندما خرجوا، التفت رئيس لجنة المدرسة إلى الحاخام، وقال له: "أيها الحاخام، لست أدري، ولكني أعتقد أنك في كامل قواك العقلية"، قال الحاخام: ماذا تعني؟ أجابه الرجل: أنت تعرف عندما اتهمت داوود بتحطيم الألواح، قال الحاخام "نعم".. قال رئيس اللجنة "وبذلك رأيت كيف تورد وجهه عندما رد عليك.. إنني أعتقد أنه فعل ذلك حقا.. إنني أعتقد أنه آثم"(١).

ومن الحكايات الشعبية العربية المرحة التي سمعتها، والتي أعتبرها أصلاً للرواية الإسرائيلية السابقة، تلك الحكاية المعنونة ب"من قتل كليبر؟". وهي تدور حول موجه التاريخ الذي زار مدرسة، واصطحب معه ناظر المدرسة إلى أحد

---

(١) د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، ص١٩١، ١٩٢.

الفصول (فصل تالته أول)، فسأل الموجه أحد التلامذة: من قتل كليبر؟، فراح التلميذ في بكاء شديد نافيا أن يكون هو الذي قتل كليبر، ثم تكرر هذا الحدث مع كل التلامذة الذين سألهم الموجه. فلما يئس منهم الموجه، ترك الفصل غاضبًا، فأسرع خلفه ناظر المدرسة، قائلاً له: هل أنت متأكد أن الذي قتل كليبر من فصل "تالته أول"؟

وكمـــا هو ملاحظ فإن الرواية الإسرائيلية لم تضف سوى أسماء أو نعوت أو ألقاب يهودية، مثل داوود، والحاخام، وألواح داوود. وباستثناء ذلك، لا يوجد أي تأثير يهودي أو إسرائيلي في القصة.

وهنا يمكن أن أختم حديثي في هذا الفصل بأمرين، أولهما ذلك التحذير الذي وجهه الباحث الإسرائيلي "رافائيل باتاي" إلى دولة إسرائيل وإلى الإسرائيليين، بضرورة توجيه العناية إلى المأثور الشعبي اليهودي وجمعه؛ خوفًا عليه من الضياع والنسيان، لعلنا ندرك قيمة ما يمكن أن يؤدي به تهمشينا لقيمة المأثور الشعبي العربي، والسعي إلى جمعه وتوثيقه وأرشفته، يقول رافائيل باتاي:

"إن على إسرائيل – الدولة والشعب – أن تكون على حذر شديد من الخطر الذي يحيق بفولكلور المجتمعات اليهودية الحية بتأثير الثقافة الجديدة الناشئة في إسرائيل. لقد كان يبدو في عام ١٩٤٥ أن فولكلور الأقليات اليهودية في أوربا مهدد بالنسيان، بينما كان فولكلور اليهود الشرقيين الذين كانوا لا يزالون يعيشون في سلام نسبي في بيئتهم المسلمة التي تحافظ على التراث، يبدو آمنا لأجيال قادمة. والآن، وبعد مرور خمس عشرة سنة، فإن خطر انقراض التراث الشعبي لليهود الشرقيين أصبح أعظم من ذي قبل، ومثل ذلك الذي حاق باليهود الأوربيين.. لم تعد هناك مجتمعات يهودية في اليمن أو في العراق، وفي البلاد الشرقية الأخرى، لقد قل عددهم بشكل كبير، ولم تعد لهم حياتهم الاجتماعية السابقة. وفي إسرائيل التي استوعبت في السنوات الأخيرة قرابة نصف المليون من اليهود الشرقيين، فإن

جو المجتمع والثقافة الغربية الغالبة غير مفضل لاستمرار التراث الشعبي الشرقي، أكثر منه للبقاء المستمر للفولكلور اليهودي الغربي"(١).

الأمر الثاني الذي أود الإشارة إليه هو هذا الكم الهائل من الموتيفات الشعبية الموجهة لصالح تحقيق الهدف الصهيوني، والتي تتواتر روايتها على ألسنة الرواة الإسرائيليين، سواء كانت موتيفات ذات أصول عربية أو إسلامية أو ذات أصول أخرى، أو كانت من صناعة اليهود أنفسهم لتحقيق الأهداف نفسها. من هذه الموتيفات:

- صاحب الفندق – الذي غالبا ما يكون يهوديًا – يصبح ثريًا بسبب حقيبة تركها عربيان.
- تاجر يهودي يستغل دعاية المسيحي والمسلم لصالحه.
- رئيس طائفة اليهود يحصل على الإعفاء من الوالي ليهودي قتل أحد العرب عن طريق الخطأ.
- يهودي يتطوع أن يرأس وفدا ليطلبوا من الحاكم أن يمنع ناقته عن حقولهم، فتراجع الوفد خوفا من الحاكم، فما كان من اليهودي إلا أن يطلب من الحاكم أن يضم لناقته جملا؛ كي لا تصاب بالسأم.
- شجرة العنب تنزف دم القتيل اليهودي المدفون تحتها، بعد أن قتله شريكه العربي.
- مسيحي يحاول أن يسخر من يهودي تلقى ضربا، ولكن اليهودي يرد عليه بحنكة.

(١) نقلا عن د. أحمد علي مرسي: الفولكلور والإسرائيليات، ص٩٢.

- فتاة يهودية تطلق اسم محمد على حمارها؛ سخرية من جارها محمد، الذي يطاردها، فيتوقف عن مطاردتها.
- شريعة اليهود تعين طفلة على حب والدها، وتعتذر له عندما تخطئ، مما يجعل الأب يحب اليهود.
- عربي يطرد العامل المسيحي؛ لأنه يختلق كل يوم اثنين عيدًا للحج.
- يهودي ومسيحي ومسلم يشتركون في فطيرة، فاتفقوا أن يأكلها صاحب أجمل حلم، فكانت من نصيب اليهودي.
- الملك يتعافى من مرض بسبب المشروب الذي أعطاه له يهودي، فيحنق عليه الوزير المسيحي، ويحاول الإيقاع بينه وبين الملك، ولكن الوزير المسيحي يقع في شر أعماله، ويلقى حتفه......[١] إلى غير ذلك من الموتيفات الشعبية، التي تتواتر على ألسنة الرواة الإسرائيليين.

---

(١) نقل بتصرف عن د. فرج قدري الفخراني: ص١٠٣- ١١٣.

ملحق الحكايات الشعبية للفصل الثالث

حديث

"سيدنا موسى وعمر الراجل الغلبان"(*)

وحَّد الله ... لا إله إلا الله ... كان فيه واحد غلبان زى ماتقول زى عمر، واللى غلبان زى عمر، راح زى ماتقول آه ... قعد فـ الجبل وحده مامعهش حد، فبيعدّى سيدنا موسى، فبيقول يا سيدنا موسى، قلُّه: آه، قلُّه: آنا عاوزك تلاغى ربك، وتقلُّه: الراجل ده مالوش عندك حاجه؟ قلُّه آنــا عاوزك تلاغى ربك، وتقول يا رب الراجل اللى قاعد فـ الجبل ده مالوش عندك حاجـــه؟، قلُّه ماشى، فـــراح، يا رب، قلُّه اتأدب يا موسى، قلُّه الراجل اللى قاعد فـ الجبل مالوش حاجه عندك، قال الراجل اللى فـ الجبل ديده، قل له فاضل من عمرك عشر تيام، وهتخش النار، يعنى فاضل من عمرك عشر تيام وهتكِّبس فـ النار، بس قلُّه فـ العشر تيام دى خلِّيه يلم دينه[1]، خليه يلم دينه، فعدّى ع الراجل وقلُّه هذا النظام، قلُّه وحياة النبى، امشى معايا، ونقى لى واحده[2] ... قلُّه: تعالى، فضلوا ماشيين ماشيين لحد ماوصلوا عند واحد غلبان كده زى عمر، وقلوا له: يا عمى عمر، سلام.. عليك السلام، إحنا طالبين منك القرب قلُّه فـ مين؟ قلُّه فى أى بنت من عندك، قلُّه آنا عندى سته آهو، اللى تقول آخده، تتوكل على الله معاك، جاب الست بنات على

(*) المؤدي: عمر حسين على حسن ــ ٨٠ سنة ــ أمــي ــ فلاح ويعمل مسحراتياً وأجيراً ــ متزوج ولديه أولاد ــ مسوتة ــ مركز يوسف الصديق ــ تم التسجيل معه مساء ٢٩ / ١ / ٢٠٠١ ــ والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) خلِّيه يلم دينه: كي يعود إلى دينه.

(٢) نقي لى واحده: اختر لى زوجة أتزوجها.

صف ... اللى يقلّها ده؟، تقلُه إخ أعمل بـــه آه، ده؟ تقول إخ، أعمل به آه وده؟ إخ أعمل بـــه آه؟ لحد ماوصلوا للبنت الصغيره، تاخدى ده؟ قلت له قوى، ماخدوش لاه، مش هجيب منه ولد يوحّد الله؟ راحت طلعت معاه فلما طلعت معاه، فتح عليها الله سبحانه وتعالى، وامتلك الخير، وربنا عطاه بعد ماكان ف جبل، امتلك زى ماتقول مملكه أو عماره أو أى حاجه من الحاجات دى وربنا عطاه، ولما ربنا عطاه انبسط، فجه يوم من الأيام سيدنا موسى معدّى مايعرفوش بقى، ولا يعرف عنه حاجه، فالراجل عرف سيدنا موسى، فبيقلُه اتفضل، قلُه حاضر، فراح عزم عليه، وقضّى[1] له واجب وبتاع، وسيدنا موسى برده مش عارفه، فبيقلُه يا سيدنا موسى قلُه نعم، قلُه ماتعرفشى الراجل اللى قُلت له كذا كذا؟ قلُه أعرفه، قلُه ماهوّ آنا، قلُه طيب وازّاى؟ قال: آنا أعرف، روح قول لربك، ففضل ماشى لما وصل لجبل الملاغاه وبيقول يا ربى، قال اتأدب يا موسى، قلُه الراجل اللى انت قلت عليه ده فاضل من عمره عشر تيام، وهيخش النار، وقلُه لم دينك، إزّاى إنه قاعد، وربنا وعطاه الخير كله، قلُه اتأدب يا موسى آنا باسمع دبة النمله، ده ادّيته عمر أربعين سنه ف نظير المره اللى خدته(١)، قالت مش هيدينى منه ولــد يوحد الله، فانا كتبت له ... كتبت له ف الكلمه عمر أربعين سنه لقدام، قلُه أشكر الله رب العالمين.

(١) ف نظير المره اللى خدته: من أجل الزوجة التى تزوجته.

حديث

"سيدنا موسى وعمر الظالم"(*)

كان ف عصر سيدنا موسى فيه ظالم قــوي. فالظالم القوي ده ظالم راجــل مؤمن ... المؤمن ده هوّ مؤمن بالله، وبسيدنا موسى ... لأن النبأ ده لما نزل مين ... نزل من الله ... ونزل على مين ... على سيدنا موسى ... فآمن. آمن هُوَّ واسرته. أسرته كتيره؟ كــان هُوَّ ووليته، وبنته. فَعدَّى عليه سيدنا موسى ... عارفين انّ سيدنا موسى ... نبي ... هوّ اللي عــرض الأحاديث دي، والإيمان ... فَآمن ... فسأله ... قلُّه: يا سيدنا ... موسى ... إنّ فيه ظالم قــوي ... فيه ظالم قــوي ... وإذا رديت مظلمتي يزيدني ... ظلم ... يزيدني ... ظلم ... يعني ممكن يقضي علي خالص. فتسألّي ربّ العزه باقي مــن عمره كام سنه؟ حتى أصبر على هــذا المظلمه ... قلُّه: إن شاء الله هجيب لك النبأ ده. فسيدنا موسى لا يكلم ربه إلا فاه ... إلا في جبل الطور ... إن غاب يوم ... يومين ... تلاته ... اربعه ... أسبوع ... مايكلّمش ربنا ألا فــي جبل الطور. قَلَّك جبل الطور ده خاشع متصدع مــن خشية الله ... قَلَّك: زي كفــة إيدك(١) ... الجبــل ده ... لا فيــه لا علو، ولا وطي ... كفة واحده ... على مستوى ... راح. فمشي جبل اسمه جبل الطور ... الملاغاه(٢) بتاع سيدنا موسى ... صليت ع النبي ... فمشي سأل ربه قلُّه: إنه

(*) المؤدي: صلاح السيد محمد مسوتة بريد عبد الله أبو بكر منصور شاهينى عبيد حرباوى: مواليد ١٩٥٨ ــ تزوج مرتين ولديه ولد من زوجته الأولى (ابنة عمه) ــ حاصل على الابتدائية ــ أمــي ــ فلاح ــ مسوتة ــ مركز يوسف الصديق ــ فيوم ــ تم التسجيل مساء الأحد ٢٠٠١/٨/٥. والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) زى كفة إيدك: أي أن أرضية هذا الجبل متساوية لا تجد فيها علواً أو انخفاضاً.

(٢) جبل الطور ... الملاغاه: إذ لاغى فيه الله ــ عز وجل ــ موسى عليه السلام ــ أى كلّمه.

عبدك مؤمن بالله، وبسيدنا موسى ... مؤمن بالله ... وبسيدنا موسى ... إنه ظالم ظالمه ... فهمت؟ ظالم ــ خدت بالك ــ ظالم قوي ... ظالم مؤمن بالله[1]، وبسيدنا موسى ... فقال: تسألي رب العزه باقي من عمره كام؟ يا سيدنا ... يا ربي ... باقي من عمر هذا الظالم كام سنه؟ حتى يصبر على هذا المظلمه ... رب العزه نادى عليه، قلّه: باقي من عمر هذا الظالم تلاتين سنه ... آه ... سنه ... كـان سيدنا موسى قال: لا إله إلا هــو ... لا إله إلا هوّ فهمت؟ فمشي ... خـد زي ماتقلّه آه ... عشر خمستاشر يوم[2]. لما عدّى مــن قدّام الراجل ... هُوَّ عــدى، والراجل سأله ... فقلّه: باقي مــن عمره كام يا سيدنا موسى؟ قلّه: باقي من عمره تلاتين سنه. قال: أعوذ بالله ... السميع العليم ... أصبر على هذا المظلمه تلاتين سنه؟ جات مراته: قلت له: باقي من عمره كام يا سيدنا موسى؟ قلّها: تلاتين سنه ... قلت له: أعوذ بالله نصبر على هذا المظلمه تلاتين سنه؟ جات بنته المؤمنه دي ... قلت له: باقي من عمره كام يا سيدنا موسى؟ قلّها: تلاتين سنه ... قلت له: أعوذ بالله السميع العليم نصبر على هذا المظلمه تلاتين سنه؟ فهمت ... قالت: أعوذ بالله السميع العليم نصبر على هذا المظلمه تلاتين سنه؟ ولم يجدوا سيدنا موسى ف البلده[3] ... فيوّ مشي من هنا والظالم مات ف نفس اليوم من هنا ... يعملوا آه ... بقى ... فالناس عارفه المظلوم، وعارفه الظالم ... جيرانهم. أول مامات طلعوا يخبّروه؟ ! يفرّحوا ... فالعلماء قلّك ... كان هَيْشِت بأمر الله[4] ....

هَيْشِتْ بأمر الله ... قلّك كان هيطلع من آه ... من هدومه[5]. فقلّيم: باقي من عمره تلاتين سنه ... هكذّب موسى ولاّ ربه؟ مات كيف؟ فالعلماء قلّك: كان

(١) ظالم مؤمن بالله: ظلم شخصاً مؤمناً بالله.

(٢) المعنى: استغرق فترة بين العشرة أو الخمسة عشر يوماً حتى مر على هذا الرجل ثانية.

(٣) يقوليا المؤدي مصحوبة بصفقة عالية.

(٤) كان هيشت بأمر الله: كاد أن يفقد ــ هذا الرجل ــ صوابه.

(٥) هيطلع ...... من هدومه: تعبير اصطلاحي شعبى للدلالة على أنه وصل إلى درجة عالية من الضيق والتشكك.

هيشت بأمر الله. فالحكمه عند مين بقى؟[1] فازاي بقى الحكمه ... إن مفروض بقى حتى المؤمن ده وضعيف ... الإيمان بينقص ويزيد، ولكن سبحان الله المؤمن حتى لو فرض له حق عند ربنا ما بيضيعش. شوف بيطالب حتى بموتة آه ... الظالم. ماهوّ فيه واحد بيموت ... واحد بيبقى كارهه ... ممكن يفرح بينه وبين ربنا ... ممكن قدام المجتمع يعمل نفسه[2] ... دا حكمه ... لكن سبحان الله ... شوف المؤمن. قلّك العلماء كان هيشت بأمر الله ... حتى إنّ جاله سيدنا موسى بعد كام يوم ... عدّى من قُباله بظروفيا[3] ... فنادوا عليه ... قلُواله: يا سيدنا موسى إنك جبت لنا نبأ عظيم، واحنا مآمنين بالله، وبسيدنا موسى ... انك جبت لنا نبأ الظالم إنه عمره تلاتين سنه، وإنه مات ف نفس اليوم ... فلازم تجيب لنا النبا من الله ... فهمت بقى ازاي؟

فالعلماء ... قلّهم: إن شاء الله هجيب لكم النبأ من الله ... راح يكلّم ربه قلّه: يا ربي إنه عبدك المؤمن بالله وبسيدنا موسى ......[4] عمر الظالم تلاتين سنه ... فهيشت بأمر الله. فقال: هكذّب ربي ولاّ سيدنا موسى؟ ...... إنه باقي من عمره تلاتين سنه، ومات ف نفس اليوم ... فالعلماء ... افترسوا الكلمه اللي هوّ بيقلّه: " تقدم " ... مابيقلّوش ... " تأدب " ... قلّه: تقدم يا موسى يا ابن عمران ولا تخف ... دا رب العزّه ... لأنه بيقلّه: تقدم كلمة مضمومة بشويش ... يعني قرّب ماتخفش ... تقدم مضمومه ... يعني آه ... تعالى ما تخفش بس مضمومه ... ما اكتشفهاش العلماء انها تقدم، وماقلوش اتأدب ف تاريخ عمره ... واحد يقلّك: " اتأدب " ف الكلب لسود ... وماحصلش العلماء قلّك ... بيقلّه: تقدم، ولكن العالم يفكر بيقلّه آه ... " اتأدب " قلّك: لو ربنا قلّه اتأدب ... كان يقدر يحرقه من غير

---

(١) هنا أجابه الباحث قائلاً: " عند ربنا ".

(٢) يقوليا المؤدي مصحوبة بابتسامة.

(٣) عدى ...... بظروفها: مرّ صدفة ــ دون موعد ــ.

(٤) هنا كلمة غير واضحة المخارج والحروف. ويشير إلى ذلك التنقيط.

مايقُلّه: " اتأدب " اتأدب آه؟! هوَّ بيعيب فيه؟ دا بيكَلّم ... دا مــرعــوب م الله سبحـــانـــه وتعالـــى ... فبيقُلّه: تقـــدم يا موسى ... تقدم يا موسى يا ابن عمران ولا تخف ... انه ظالما ظالما صحيح ... والمؤمن مؤمنا صحيحا. فيمت بقى؟ قلّه: يا ربي ... الراجل ......[1] نقص من عمره عشر سنوات، والمرأه استعاذت بالله نقص من عمره عشر سنوات، والبنت استعاذت بالله فكان انتهى أجله ... إن الله على كل شيء قدير ....

(١) هنا كلمة غير موجودة على الشريط؛ غير أن الباحث يظن أنها: " الرّاجل استعاذ بالله ".

حديث

"الشيخ / عبد الرحمن بو بطيخه"(*)

بعد ما توحد الله ... فيه واحد ياعمي ... حرايمي قاعد ف الجبل ... قَطّاع طرق قاعد ف الجبل يقشّط ...(١) قاعد يقشّط ... فجاي واحد عليه ... سلام عليكم ... إزيك يافلان؟ قلُّه: الله يسلمك ... قلُّه: يا أخي أنا معايا خمسه مليم ف جيبي ... هاوسيني ... قلُّه: هاوسينك كيف؟ قلُّه: والله بيقولوا زيقـــي ميقـــي ... هاوسيني ف جيبي قلُّه: والله العظيم أنا معايا خمسين جنيه لازقين ف جيبي ... كأنه مامعايا فلوس ... قلُّه: طب واللي يمسكك يموتك ... وياخد الخمسين جنيه منك ... قلُّه: تموتني؟! ... المتجلي يخبر المتولي ... المتجلي. يعني ربنا سبحانه وتعالي ... المتجلي يخبر المتولي ... قلُّه: طظ يامتجلي ... طظ يامتولي ... طظ يامتجلي ... طظ يامين ... متولي ... جـــا ماسكه كاسر رقبته، وجـــا فاحت له(٢) ف الجبل، وجا دافنه، وخد الخمسين جنيه منه ... وحدت الله ... وروح يا أيام ... وإن كانت عدت سنه، ولا بتاع ... وبعدين الملك تعبان ف حالة تعب ... وطلب بطيخه ... فالبلد هاجّه كلها ... البلد هاجّه كلها تدُوَّر علي بطيخه تودّيها للمك ... علشان اللي يودي بطيخه للمك ... هياخد هديه. فمن ضمن صاحبنا ماشي ... يدور ... ف الزراعه. فجه عند الجبل وافتكر، وافتكر صاحبنا اللي موته ... افتكر صاحبنا ... اللي موته، فقال: والنبي لاروح انضر صاحبنا اللي موِّته زمان ديده ... فراح لقي

(*) المؤدي: الحاج / عبد القوى التونى ــ قرية الصبيحي، مركز يوسف الصديق، تم التسجيل معه ظهيرة الخميس ١٦ / ٨ / ٢٠٠١ ــ والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) يقشّط: هنا علق المؤدى بقوله: " المثل اللى قاله سيدك خميس اهو ... ". ــ يقشّط: يسرق.

(٢) فاحت له: حفر حفرة.

عرش بطيخ ف الجبل فـــارش علي ياجي قيراط[1]، ولقيه فيه بطيخه ... قال: أيــوه دي اللي عايزها ... دي اللي هاخد فيها هديه، ونبيعها ... فخد البطيخه ياعم، وروّح، وطلع علي الملك ...ياملك ... قلُّه نعم ... قلُّه: النبي قبل الهديه ... قلُّه اتفضل ياراجل ... خش. الملك روحه ف البطيخه ... دخل الراجل جُوَّه، وجابها وجابوا قنجر أو جابوا صحن ... طبــق، ومسكــوا البطيخه ... شقــوا ... قعدوا يشقوا البطيخه... وأول ماضرب السكينة ف البطيخه... البطيخه جات ... دم[2]... دم. مافيش أكتر م الجلد ... اللي قشرة بطيخه، ومن جُوَّه دم صافي ... جُوَ ماسكينه. قلواله: القصه بتاعتك دي يا راجــل آه؟ قصتك آه؟ قلُّهم القصه ديدي... ف اليوم الفلاني... قاعد ف الجبل ... يقشّط، وعدّى عليَّ واحد ... فبقلُّه: أنا معايا خمسه مليم هاوسيني ... قلّي: أنا معايا خمسين جنيه، والله أكنها[3] ماهي فلوس ... قُلْت له، واللهي يموتك: قلّي: المتجلي يخبر المتولي ... قلْت له: طظ يا متجلي ... طظ يامتولي، ومسكته كسرت رقبته، وموِّته، ودفنته ف الحته دي ... ف الجبل ديده ... فبعد ما دفنته ... الملك طبعا طلب بطيخه ... فداير ادور زي أهــل المدينه مابيدوَّروا علي بطيخ ... فجيت عند الحته ديدي وافتكرت الراجل اللي موِّته ... رحــت لقيت عرش بطيخ، والعرش البطيخ فيه بطيخه ... فقطعت البطيخه يا مولانــا وجبتها لسيادتك اهيدي، وعلي كده ... قلُّه ... جو شانقين الراجــل، وجو مموِّتينه ... ف جُرَّه آه ... ف جُرَّه المتجلي والمتولي.

---

(1)عرش بطيخ ... فارش ...: أن مساحته كبيرة.

(2) هنا كلمة غير واضحة المخارج.

(3) أكنّها: كأنها.

مثل

"السر ف بير"(*)

وحد الله ... كان فيه زمان واحد ... اسمه "تركان"، وتركان ده كان ملك، وماملك ألا الله سبحانه وتعالى، وتركان ده كان ودانه طويله أطول من ودان المعزه، فطبعاً كل مايجيب حلاق يحلق له ... يأه ... يشوف يلاقى ودانه طويله ... يضحك عليه، ويطلع بَره يقول للناس تركان له ودان ... تركان ليه ودان أطول من ودان المعزه طبعاً السر مايطلعشى أكتر من تلات تيام، يروحوا واخدين أه ... الحلاق ويروحوا آه حابسينه، يروح الحلاق التانى يحلق للملك وأول مايشوف ودانه، يقول: تركان له ودان، وودانه أطول من ودان المعزه، بيجى أه ... بيجى آه، مدخله السجن ... والحلاق التالت والرابع، المهم آه جا لك ف يوم من الأيـام واحد حلاق حلق له ماضحكش، قلُه: انت ازّاى ماضحكتش؟، انت ماشفتش ودانى طويله؟ قلُه: لأ: دا انت ودانك حلوه يا ملك، دا انت مش عارف آه، راح مدى له هنيه، وبقت هُوَّ اللى يحلق للملك على طول، بس ماقدرش آه يكتم عليه السر، راح أه بحت بير[1] " سرّك ف بير يا ملك " راح بحت بير، وحط فيه،...، بير ف الجبل، ويقُلك تركان ليه ودان، تركان ليه ودان وأطول من ودان المعزه، ويضحك، المهم طلعت غابه م اللى بيصنعوا منها المزامير، راحت طلعت غابه ف وسط البير ده، والغابة طولت، وراحت الناس تعمل منها مزامير، وينفخوا فيها، الزمامير تقول: تركان ليه ودان، تركان ليه ودان طويله وأطول من ودان المعزه، تركان ليه ودان أطول من ودان المعزه، كل زماره ينفخوا فيها تقول على طول كده لوحدها، المهم: راحوا أه جابوا الحلاق، قلوله: انت قلت السر، راح

(*) المؤدي: محمد دكرورى عبد الحفيظ ــ ٣٢ سنة ــ غير متعلم ولكنه يعرف القراءة والكتابة ــ فلاح ــ متزوج ولديه أولاد ــ مسوتة ــ فيوم ــ تم التسجيل معه يوم ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٠ ــ والعنوان من اقتراح الباحث.

ــ يمكن أن يصنف هذا المثل فى المثلات التعليمية.

(١) بحت بير: حفر بئراً.

الملك عامل تحريات بالجيش بتاعه وراح عند البير ولقوا السر ف البير صحيح، لقوا طالعه الغايه، المهم أفرج عن آه ... أفرج عن اللى ف السجن، وساب الحلاق، وحل البتاعه اللى على دماغه، وبيَّن ودانه وبعت برده، تركان له ودان، وودانه أطول من ودان المعزه، والسر أفشى ف البلد ... وتوته توته خلصت الحدوته ....

مثل

"اعمل الخير وارميه البحر"(*)

كان فيه واحد مابيخلفش ... وبعـديـن ... راح لواحـد شيـخ ... فبيقله ع الحكايه ... فقله: والله اعمل الطيبه، وارميها البحر ... فراح عمل ... قله: يعني آه ... قله: اعمل أكل ... بتاع أسبوع، وخلى ان كان عندك ف المحل ... الراجل ده كان تاجر قماش ... فراح بقى يعمل أكل، والست بتاعته ... والراجل ياخد الأكل ... وياجي ف البحر ... ويرميه ... آخر ليله ... فيه ... هيسمع الراجل اللى عندك بقى ... اللي بيودّى الأكـل ... بيودّى الأكـل بقى ده ... خليه يسمع اللي ينادى م البحر... فسمع مُنادي من البحر ... بأنه ربنا هيعوض عليه بولد ... يبقى هيكون ... يعنى ... مستجيب لله ... اللي يقول عليها ... هتمشى ... ربنا سبحانه وتعالى ... هيستمع كلامه ... اللـي هيقله عليه ... هيستمع كلامه ... فسمع منادى من البحر ... بانه ربنا هيعوّض ع الراجل ديده ... بولد فهيستجاب ... ربنا سبحانه وتعالى هيستجاب لكلامه. فالولد ديده فضل آه ... يعنى الست جات حملت. والولد فضل حارس العمليه ديدى. لحد ماالست جات توضع. فراح جاب كلب قرمنطي، وقال للوليه الدأيه[1] ... خدى عشرين جنيه ... تلاتين جنيه، وادينى الولد، وحطى لهم الكلب، وقولى لهم الست وضعت كلب. فالوليه من الطمع، والود من الطمع، والطمع غرّه، وعمّاه ... فخدوا الولد ... خد الولد، وخد بعضيه، وطفش. فالراجل القماش قام برباية الكلب ... قال: الحمد لله ع اللي عطاه

(*) المؤدي: على مشرف عبد الباري خبير – ٦٠ سنة – كان يعمل أميناً للجمعية التعاونية الاستهلاكية بإطسا – متزوج ولديه أولاد – مدينة إطسا – فيوم – تم التسجيل معه مساء السبت ٢٠٠١/٩/١٥ – والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) الدأيه: شخصية نسائية مهمة فى القرية المصرية؛ تقوم بعدة أعمالٍ هامة كختان الفتيات، وتوليد النساء، والدخول مع العروسة لحظة الزفاف، ...... إلخ.

لنا ربنا ... فيروح الدكان. الكلب يروح وراه ... هُوَّ له ميعاد محدد ... يفضل ... يمشي وراه ... يفتح ... يمشي وراه ... وف يوم الولد ده راح مصر. والولد كبر، وبقى عنده ياجى عشره اتناشر سنه. فحب يلبى له بقى. فنزل ف جزيره ... ف مصر كده، وقِلُّه: يا رب احنا عايزين سرايــا هنا ... زى ... أحسن مــن سراية الملك ... فقال: يا رب ادى لفلان الفلانى ماهوَّ مابيقُلْش بقى باسم ابوه ... ماهوَّ لو قال: باسم فلان ... هيدى لابوه لكن هُوَّ بيقول قول لفلان ... فربنا استجاب له ... لقوا العماره، والعمليه مستويه قوى. فَقِلُّه طب قِلُّه: يا رب ... يدى له ثروة البلد دى كلها. وهُوَّ اللي يحكم فيها، ويأمر فيها بأمر ... فأصبح إنه هُوَّ بقى أكبر تاجر ف البلد ... فَقِلُّه: قول يا رب إنَّ اجوز بنت الملك ... فقال: يا رب يجوز بنت الملك. فراح اتقدم للملك ... كان ف الوقت ديده ... كل اللي بيتقدم لبنت الملك، ومايحلش الحزر بتاعها ... بتقطع رقبته ... فدى استجابت ... على طول ... لما استجابت، وجات العروسه روَّحت، واتقفل عليهم هم لتنين باب. الولد طبعا سابوه بقى برَّه ... ف صاله أو ف قوضه. فقَلت له: انا عايزه افهم منك الحكايه ديدى جات كيف؟ واجَوِّزتنى كيف؟ فالولد كان صاحي ... فسمع السهرايه، وهُوَّ بيسهريها للعروسة ... فالولد اتذكَّر وعرف إنَّ ده كان بيشتغل عند ابوه، وده طبعا سرقه ... وابوه كده آه ... مش هُوَّ ديده. فالولد راح فتح الباب، وطلع ... ووقف قدام الباب، وقال: يا رب إذا كان الكلام اللى قاله الراجل ده ... هُوَّ الحقيقى، وانا مش ابنه الحقيقى ... يبقى هات ... العروسه تتقلب بغله، والعريس يتقلب قرد، والعماره دى تاجي علوها ف وطاها[1] ... علوها ف وطاها. فربنا استجاب له ... طلَّع العروسه بغله، وطلَّع العريس قرد.، وراح راكب البغله، وجر القرد وراه، واتمسحت الآه ... اتمسحت العماره ... فنزل ... البلد. أما نزل البلد ... لقى الراجل القماش ... والكلب هو جنبه ع البنك[2]، والدكان رايق[3]، ومافيش حاجه. فجاب البلغه ربطها

(١) تاجي علوها ف وطاها: هدم العمارة وأن يأتى أعلاها فى أسفلها.
(٢) البنك: الحاجز الخشبى أو الأسمنتى الذى يفصل داخل المحل عن خارجه.
(٣) الدكان رايق: تعبير اصطلاحي شعبى للدلالة على قلة زبائن المحل الذين يترددون عليه.

قدام الدكان، والقرد وراهـــا، ودخل الدكان ... سلام عليكم ... عليكم السلام. فقال: يا ربى اذا كان دا ابويا صحيح ارزقه بزباين. فبص لقى الزباين ... حقيقة ... كترت ... الراجل له ميعاد بيقفل الساعه اتنين بالضبط، ولازم يروَّح ... الست بتاعته قـــاعـــده مستنياه ... مافيش لا أكل، ولا شرب ألا لما يروَّح. فعوَّق عـــن ميعاده[1]. فلما عوَّق عـــن ميعاده ... غـــاب ياجى ساعه ... زباين ... كتيره ... فقال يا ابنى اتفضل معانا ... نغديك عندنا النهارده. فخده، وخد البلغله، وخد القرد وراه، وروَّح. فالوليه بتقُله ... آه ... آنا قاعده مستنياك ... وانت اتاخرت وبتاع ... قلَّها: والله إحنا ربنا رزقنا بواحد ضيف، وبعدين هُوَّ اللي أخَّرنا، والزباين جات على وشُّه[2] ... فقعَّدوا الولد، وبعدين جابوا يتغدَّوا ... ده يبص لده، وده بيص لده، والكلب جنبيهم، والبغله والقرد ... قلُّهم: والله كان فيه واحد ... وراجل قماش، وماكانشي مراته بتخلِّف، وأعمل آه ... وراح لواحد شيخ، والشيخ قلُّه: اعمل الطيبه، وارميها البحر. فعمل إسبوع ... أكل، ورماه البحر، وبعدين مراته ولدت كلب ... الوليه تبص للراجل، والراجل يبص للوليه. ماحدِّش عمل كده ألاَّ هُمَّ. فقَلُوا اله: الحكايه آه؟ قلُّهم: إن جات للحقيقه ... آنا ابنكم ... والقرد ده ... هُوَّ اللي شغَّال عندكم ... لانه ده خاين، ومش كويس، والبغله دى ... دا دى بنت الملك ... فاحنا هنقوم نتكل على الله دلوقت هنطلع على مصر ... ربنا هيقلب البغله دى عروسه مجليه، والقرد ده هيقلبه بنى آدم زى ما كان، وربنا هيكرمنا ... هنجيب العروسه معانا، والقرد هنموِّته. خدُوا بعضيهم وطلعوا على مصر. قابلوا الملك. قلُّهم: انا عايز أقابل الملك ... جا قدام العماره ... قعدوا يشحتُوه[3] ... قدام الملك قعدوا يشحتوه ... قلُّهم: انا عايز أقابل الملك. فقال: يا رب عايز أقابل الملك. فالملك نزلُه ... آه يا ابنى؟ فيه آه؟ قلُّه: انت مش كان عندك عروسه، وجوِّزتها؟ قلُّه: أيوه ... قلُّه: فاه هى؟ قلُّه: انا مش عارف ... قلُّه: يا رب اقلب العروسه ...

---

(١) فعوَّق عن ميعاده: تأخر عن موعده.

(٢) الزباين جات على وشه: تعبير اصطلاحى شعبى للدلالة على حسن حظه.

(٣) قعدوا يشحتوه: حاولوا طرده.

عروسه. فراحت العروسه ... البغله اتقلبت عروسه متجلّيه زى ماروّحت ف ليله الزّفه. والقرد اتقلب عريس زى ماروّح ف ليله الزفه ... فقال للملك القصه ... الحكايه ... الحكايه والروايه. فراحوا مقطّعين ... مموّتين القرد ... الراجل بقى ... اتقلب الراجل بقى ... مات، والبغله بقت عروسه، والعروسه مجلّيه ... وكتب له عليها، وجاب ابوه، وجاب امه، وجَوْ ... دى آه ... قصه من ضمن ... الحواديت.

حدوتة

"ست الحسن والجمال وأختها صرام مدلدل"(*)

صلّي ع النبي ... كـــان فيه آه ... بنت اسمها ست الحسن والجمال ... المهم البت آه ... أمها ماتت. فابوهــا آه ... البت بقت تروح عند جارتهـا الأول ... كــل يــوم آه ... تروح عند جارتها ... جارتها وزتها آه[1] ... عشان هيّ تموّت امّها ... قلت لها: خلّى امك تخش جوّ ال... قولى لها: يا امّايا ... مش عارف كانت عايزه آه مــن الصندوق ... قلت لها: قولى لها: يا امّايا ... هاتى آه ... مــن الصندوق ... البت خلّت امهــا راحــت تجيبه م الصندوق، وجــات قافله علــى امهــا ف آه ... ف الصندوق ... المهم امها ماتت. فجات جارتهم ديدى عايزه تجوّز ابوها بقى ... البت تروح هناك، تقلّها: قولي لابوك اتجوّز. تيجى تقلّه: يا بابا اتجوّز ... يقلّها آه: آنا مش راضى ازّعلك، ومش راضى آه ــ أجيب لك مرّه أب ... تروح عندها. تقلّها: قولى لابوكى اجوّز ... المهم راحت قالت لابوها: يا ابويا اجوّز ... قلّها: اجوّز مين؟ ... قلّها: أمّا تطّولى سبت العيش[2] ... راحت حطّت كرسى من فوق كرسى وركبت عليه، وطالت آه ... سبَت العيش. فالمهم راحت قلت له: آدينى طلت سبَت العيش ... قلّها: طيب انــت

(*) المؤدية: كريمة أحمد حميدة ــ ٢٦ سنة ــ متزوجة وليس لديها أولاد ــ وزوجها متزوج من امرأة أخرى ــ غير متعلمة ــ لكنها تعرف القراءة والكتابة بشكل بسيط (مش قوي ــ على حد قولها) ــ ربة منزل ــ أصلها من قرية كحك بحري ــ مركز يوسف الصديق ــ فيوم ــ ثم تزوجت في قرية أبي مسوتة ــ أبشواي ــ تـم التسجيل معهـا صبـاح الأحـد ٢٩ / ٧ / ٢٠٠١ ــ والعنوان مــن اقتراح الباحث (وإن كانت معظم المؤديات تذكر الجزء الأول من العنوان فقط).

(١) جارتها وزتها: أو عزت إليها.

(٢) سبت العيش: إناء يصنع من السَعف الأبيض؛ ويستخدم لتخزين وحفظ العيش، ويسمى "الطبق"

عايزانى اجوّز مين؟ ... قلت له: عايزاك تجوّز جارتنا بنت جارتنا ... ع اللى هىّ بقى الوليه اللى وزتها على امها ... المهم آه: اجوّزهـــا. طبعاً هىّ لها أخ واحد ... اسمه الشاطر محمد. طبعاً مرّه ابوهـــا جابت ولد وبنت... البنت اسمها صور مدلدل، والولد اسمه آه... اللقرع ... فكده آه... عندهم جله ...[1] كـــده آه ... عندهم عجله ... كـــده آه ... عندهم عجله. قالوا: اللى يودّى العجله الغيط مين؟ ... قالوا: ست الحسن والجمال ... تـــروح ست الحسن والجمال تودّى العجله ف الغيط، وتوكلها وتقلّها: يا عجيلتى يا بنت نينتى ... هُمّ ياكلوا الناعم والنعيم، وانا اكل الخِشن والخشيْن ... تيجى منزّلالْها آه ... صينيه ... تاكل الصينيه، وتحمد عليها ربنا، وتيجى مروّحه ... يـــوم ف يـــوم مرّه أبوها قلت له آه ... يـــاد يا أقرع ... قلّها: آه يا امّايا؟ ... قلت له: البت دى بتروح الغيط، وتيجى كده وشها مطربخ وحلو ... هىّ بتعمل آه؟ امشى معاها الغيط. جه مشى معاها الغيط. تقلّه: روح اشرب م البحر يا اقرع ... يقلّها: لأ. اجرى مش عـــارف اعمل آه ... يقلّها: لأ ... عايزه تهرّبه ... مارْضيش يمشى ... قلّها: قلت له: طب اعمل حاجه، ومانقلْشي لامّك؟ قلّها: لأ. جات قايلالْها: يا عجيلتى يا بنت نينتى همّ ياكلوا الناعم والنعيم، وانا اكل الخِشن والخشيْن ... راحت منزّلالْها صينيه ... قعدت تاكل هوّ وهىّ واللقرع ... واللقرع آه ... قلّها: شايفه الجنزوره يا ست الحسن والجمال؟[2] ... رفعت وشها فوّق ... جه واخد حتّه، وجه حاططها ف سيّالته[3] ... روّح البيت ... قلّها: يا امّايا ... قلت له: آه؟ قلّها: اللى بتعمله اهى ... اللى بتاكله ف الغيط اهو... قلت له: طيب. جات خلّت واحد جارهم ... قلت له: انت عليك تدور ...

---

(١) وهنا حضر زوج هذه السيدة، فأخبرها الأطفال بقدومه؛ ونظرًا لأن التسجيل تم دون استئذانه ففضل الباحث والمؤدية استكماله في وقت آخر؛ وبالفعل فقد تم استكمال الحكى في يوم آخر.

(٢) المقصود: أنه أراد أن يخدع أخته ـــ غير الشقيقة ـــ ست الحسن والجمال، بأن يجعلها تنظر لأعلى، ويقوم ـــ هو ـــ بإخفاء قطعة مما تأكله.

(٣) حاططها ف سيّالته: اقتطع جزءًا ووضعه في جيبه الجانبي.

تقول آه: أضرب الرمل واشوف، وانى هعمل نفسى عيانه، وانت تيجى آه ... تشوفنى ... تقول: دا نفسها تاكل كبده بتـــاع عجله مافيهاش ألا هلال ابيض ف ابيض ... هلال ابيض ف بطنها[١] ... طبعاً آه ... راح الراجل دار، وقعد يقول ... أبيّن البخت[٢] واشوف ... جو نادهين عليه[٣] ... تعالى يا عم شوف الوليه دى عيّانه ... قلّهم: الوليه دى عايزه تاكل كبده بتاع عجله سودا ... مافيهاش ألاّ هلال ابيض ف بطنها ... راحوا قلوالها: يا ست الحسن إحنا هندبح العجله لمرة ابوكى ... زعلانه؟ قلت لهم: لأ هروح أوديها الغيط النهارده، وبكره آه ... ابقوا ادبحوها. خدتها الغيط، وقعدت تعيّط شوىّ، وتقلّها ... قلت لها: إن دبحوك ... ماتدّبحى ألا بأمرى ... وان سلخوك ماتسلّخى ألا بأمرى، وان طيّبوك... ماتطّيبى أى بأمرى، وتكونى ف حنكى وف حنك ابويا وف حنك الجيران زى العسل، وتكوني ف حنك مراة ابـــويـــا، وصور مدلدل واللقرع زى الخرا[٤] المهم راحوا آه ... يدبحوا ف العجله... كسّروا سكاكين العزبه. مافيش ولاّ سكينه رضـــت تدبحهـــا ... قلّوالها: يا ست الحسن قولي لها: ادّبحى ... قلت لها: ادّبحى، وأمرك لله ... جـــات مدبوحه ... جـــو عند السلخ ... ماعرفوش يسلخوهـــا ... يا ست الحسن قولى لها اسّلخى ... قلت لها: اسّلخى ... وأمرك لله ... سلخوها، وطيّبوها، وقعدوا ياكلوا ... دكهى تاكل ... مرّه ابوهـــا، وتقول: يخ زى الخرا[٥]، وصور مدلول تقول: يـــخ دا زى الخرا، واللقرع يقول: يخ دا زى الخرا ... والجيران: ياكلوا ويقولوا والله دا لحمها حلو ... المهم آه ... شوىّ وابوها راح الغيط ... فقالت: اللى

---

(١) المقصود: أن هذه "العجله" سوداء اللون ــ كلها ــ فيما عدا جزء منها صغير ــ في بطنها ــ أبيض يشبه الهلال.

(٢) أبيّن البخت: نداء ضاربات الرمل، والمقصود: أنها تعرف الغيب.

(٣) جو نادهين عليه: نادوا عليه.

(٤) المقصود: أن يكون طعمها غير مقبول في أفواه هؤلاء. (والمؤديـــة قالتها مصحوبة بصفقة خفيفة ــ بيديها ــ)

(٥) ريخ زي الخرا: تعبير اصطلاحي شعبي للدلالة على سوء هذا الشيء.

يـــودّى الغدا لابوه مين يا اوْلاد ... قَلت لها: انـــى اللى هودّيه... مشت تودّيه، وخدت اللبريق، وخدت الغدا، ومشت تودّيه...عدّت ع النخله قَلت لها: اسقينى يا ست الحسن ... قَلت لها: حاضر ... ماسقكشى لاه؟ دا انت حلوه، ومفرّعـــه، وشكلك حلو ... قَلت لها: يجعل طولـــى ف شعريـــك، ولاهوش ف جسديك ... بقت شعرهـــا طويل، وهىّ قصيّره ... عدّت على الغراب ... اسقينى يا ست الحسن والجمال ... قَلت له: ماسقكشى لاه؟ يا اسمر يا حلو انت ... قَلّها: يجعل سمارى ف عيْنيك ولاهش فى وجهيك ... بقت بيضه وحلوه وشعرها طويل ... المهم آه... مشت لحد مالقت جماعه آه... بيكيّلوا ف غلّه ... ف سمسم ... قَلت لهم ... قَلوالها: يا ست الحسن ... ماتعرفيش هنكيّل قد كيف؟ قَلت لهم: خمس أرادب ... كيّلوا جَوْ خمس أرادب ... جَوْ عاطين لّها كبّايه ... عدّت على جماعه بتاعوت فول... قَلوالها: ياست الحسن ماتعرفيش هنطلّع كام أردب؟ قَلت لهم: هتطلعوا سبع أرادب... كيّلوا ... طلّعوا سبعه ... جَـــوْ عاطين لّها كبايه ... خدتهم، ومشت ... لقت آه ... ولیّه عجوزه قاعده. ازيك يا ستى العجوزه ... قَلت لها: الله يسلمك ... تعالى يا ست الحسن فلّيني ... قعدت تفلّي فيها ... تُحط الفولـــه ف حنكها، وتقلّها: الله قملك حلو يا ستى العجوزه... تقلّها: يحلّى دنياتك، ويبيض ليلاتك...لحد ماخلّصتهم...قَلت لها: آه ... خلّصت يا ستى العجوزه. قَلت لها: طب روحى إن لقيتى البير رايق... طبّى، وان لقيتيه عكر ماتطّبيش[1] ... قَلت لها: طيب. راحت لقته رايق ... طبّت... راحت الوليه بقت تقلّه: يا بير... يا بير لبّسها دهب كتير ... يا بير يا بير لبّسها خواتم كتير... لحد ماطلعت م البير آه... تشْغى دهب[2] ... روّحت عليهم البيت... ده يقلّها: جبتيه مناه يا ست الحسن؟ وده يقلّها: جبتيه مناه؟ قَلوالها: روحى يا صور مدلول ودّى الغدا لابوك، واعملى زيها ... راحت صور

---

(١) إن لقيتيه عكر ماتطّبّيش: إذا وجدت البئر عكرًا لا تنزلي فيه.

(٢) تِشْغى دهب: امتلأ جسدها بالذهب فصارت تلمع.

مدلدل عدّت ع الغراب ... قلّها: اسقينى يا صور مدلدل ... قلت له: كاتك الهم يا اسود يا وحش ... قلّها: يجعل سوادى ف وجهيك، ولاهش في جسديك... عدّت ع النخله: اسقينى يا صور مدلدل... اسقينى يا صور مدلدل ... قلت لها: كاتك هم يا طويله يا وحشه ... قلت لها: يجعل طولى فى جسديك، ولاهش فى شعريك... بقت طويله، وشعرها قصيّر... مشت آه... لقت كوم خنفس راقد ... خدت كوم الخنفس ف كيس، وجات ماشيه ... راحت لقت العجوزه ... قلت لها: خدى يا صور مدلدل تعالى فلّينى ... قعدت تكسّر ف البتاع ... ف الخنفس[1] وبعد كده آه ... تقلّها: يخ ياما قملك وحش يا ستى العجوزه... تقلّها: يوّحش دنياتك، ويسوّد ليلاتك ... لحد ماخلّصت وقلت لها: طب روحي ... إن لقيتى البير عكر... طبّى فيه، وان لقيته رايق... ماتطّبيش... راحت وجات قلت له: عكر... قلت لها: طبْ ... طبّى ... راحت طابّه ... بقت تقلّه: يا بير ... يا بير لبسها تعابين كتير ... يا بير لبّسها حواوي كتير[2] ... طلعت تشغى تعابين وعقارب وحواوى وحاجات من جوّه ... راحت مروّحه ... ينفّضوا فيها بالمقشّه ما جايب[3] ... ينفّضوا بالعصايا ما جايب ... آه... واحد اسمه الشاطر محمد جارهم ... جه آه... عايز يجوّز ست الحسن والجمال. جه آه ... ست الحسن والجمال. مرّه ابوها عايزه تجوّز بنتها. قلت لها: يا ست الحسن ... قلت لها: أيوه ... قلت لها: انت تروحي تاخدى الطاحين وتْرُوحى تطحنيه ... قلت لها: ماشى ... راحت بقى يا نارى ... خدت الطاحين ... ف يوم فرحيا، ودكهى لبّست صور مدلدل ... الفستان، وجات مقعّداها ع الكرسى، والشاطر محمد جـه قعد جارهـا ... مـش عارفها بقى ... لاقيها لابسه، وحلوه ...

---

(١) الخنفس: الخنافس. (والمؤدية تقولها بنبرة متقززة. ثم ضحكت المؤدية والحاضرون).

(٢) حواوي: حيّات (جمع حية).

(٣) ينفضوا فيها بالمقشه ماجايب: حاولوا تنظيفها ــ وإزالة ما عليها من حشرات ــ بالمقشة، ولكن دون جدوى.

يجعلها بقى ست الحسن. القط بقى. عندهم قط كده ف البيت ... ييجي يقول: "تونو ست الحسن ف الطاحونة بتطحن، وصور مدلدل ع الجمل تتمخطر". يقولوالُه: بِس[1] ...يعاود يقول تانى... المهم لحد آه... شوىّ، ودكهى عرفها... وجه سايبها... جات ست الحسن يا نارى آه ... لقت الشاطر محمد مشى، ولقت الفرح فض[2] ... جات آه... مرّه ابوها غلّبتها... لبِست يا نارى جلد كلبه، ومشت ف جدر الحيط[3] ... فضلت ماشيه ماشيه لحد ماراحت عند بيت الشاطر محمد، وقعدت قدامـــه ... فهوّ طلع لِقيها ... عملت نفسها كلبه بقى ... جه واخدهـــا، وجـــه مدخّلها جوه ... أم الشاطر محمد وليه كبيره ... تقُلُّه: لو كُت اجوّزت يا ابنى ... ماكُنّاش لقينا واحده تخبِزْلنا ... يقوموا م النوم يلقوا الخبيز مخبوز، وملدّن[4] وراقد... يستعجبوا... تقلُّه: يا ابنى مش لوكُت اجوّزت مش كنا لقينا حد يغسلّنا هدومنا ... يقوموا م النوم يلقوا الغسيل مغسول، ومنشور وحلو... لحد ماجا ف يوم وقال: انا لازم اسهر للكلبه دى، واشوفها بتعمل آه؟ فضل سهران ... سهران لحد ما آه ... دكهى قلعت الجلد وعجنت وخبزت ولدّنت، وقعدت تلبس الجلد بتاعها ... وتانى قلّها: عليك الأمان ثم الأمان ... ماتلبسى الجلد إلاّ لما تقولى لى: إنت إنس ولاّ جن؟ قالت: انا ست الحسن والجمال... طب عملتى ف نفسك لاه كده؟ جات حاكياله ع القصه اللى انا حكتها لك دى من أولها لآخرها ... جا مجوّزها وعاشوا ف تبات ونبات، وخلّفوا صبيان وبنات، وكُت هناك وجيت وكلت ورك الديك.

---

(١) بِس: كلمة تقال لطرد وإبعاد القطط.

(٢) لَقت الفرح فض: وجدت أن الفرح قد انتهى

(٣) مشت ف جدر الحيط: مشت بجوار الحائط.

(٤) ملدّن: خبز يتم وضعه في الفرن لفترة أطول كي يكون أكثر صلابة عن الخبز العادي

حدوتة

"ست الحسن والجمال وأختها صرام مدلدل"(*)

واحد مخلّف بنتين ... بنت اسمها الست الحسن والجمال، والتانيه اسمها صرام ادّلدل ... روحي يا صرام ادلدل ... تعالى يا صرام ادلدل، والتانيه ... روحي يا ست الحسن والجمال ... تعالى يا ست الحسن والجمال ... فدكهى ... ست الحسن والجمال بتروح تِقْضى كل حاجه، وصرام ادلدل محرّسينها شوية فراخ[١]. فجات ست الحسن والجمال ماشيه ف الصبح ... قابلتها النخله ... تقُلّها: صباح الخير يا ... طويله ياحلوه يا اللي بتسبَّحى لربّك. قَلت لها: روحي يِجْعَل طولى فى شعريك، ولا يجعله في جسديك ... قابلها: ابو قردان قَلت له: رايح فين يا ابيض يا حلو؟ ... قَلّها: روحي يجعل بياضي فى جسديك، ولا يجعله فى عينيك ... قابلها الغراب ... قَلت له: رايــح فين يا اسود يا حلو يا اللي بتتمخطر ع الصبح؟ قَلّها: روحـــي يجعل سوادى ف عينك، ولا يجعله ف جسديك ... فاتت على بتاع السمسم ... كل عام وانتَ طيب، قُلّه: ادُّوها كيله ... فاتت على بتوع الفول ... كل عام وانتَ طيب ... قال: ادُّوها كيلة ... راحت لبتاع الـــ ... راحت للعجوزه. قلت لها: تعالى فلّينى يا بنتى ... تعالى ... تقعُد تفلّيها [٢]، وتقُلّها: ياما قملك حلو يا ستى العجوزه ... تقُلّها: يحلّى دنياتك يا بنتى ... تُحط شوية السمسم على شوية الفول، وتطقطق كده[٣]، وتقُلّها: ياما قملك حلو يا ستي العجوزه ... تقُلّها: يحلي دنياتك يا بنتي ... قَلت لها: روحي البير ... إنْ لقتيه رايق ... اشربى، وان لقتيه عِكر ... ماتِشْربيش. راحت هناك لقِت البير رايق ... يا بير يا بير لبِّسها

(*) المؤدي: محمد متولي سليمان ــ ٣٥ سنة ــ فلاح ــ أمي ــ متزوج ــ قرية النزلة ــ أبشواى ــ فيوم ــ تم التسجيل معه ظهر الأربعاء ٢٠٠١/٧/١٨ ــ والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) محرّسينها شوية فراخ: ترعى الدجاج (والسين تنطق صادا).

(٢) تقعُد تفليها: تقوم بتنظيف شعرها مما بها من حشرات. (والقاف فى " تقعُد " غير منطوقة، والعين تنطق بالتضعيف).

(٣) تطقطق كده: تصدر أصواتاً نتيجة لاصطدام حبوب الفول والسمسم بالأسنان.

م الحرير الكتير ... يا بير يا بير ... لبَّسها م الدهب الكتير ... يا بير يا بير لبَّسها م الغوايش الكتير ... ميِّلت وشِربْت. خــدت بعضيها، وروَّحــت ... سبحان ماخلق ... صوَّر فيها ... بياض بجمال ... بشعرهــا طويــل، وحلو، وحلوه كلها، فزْت مرة ابوها[١] بتقلّها يا بنتى انت عملت ف نفسك آه؟ زى ماعملت ف نفسك كده ... خدى اختك وروحى اعملى زيّها ... قلت لها: والله انا عملت كذا كذا ... راحت قابلتها النخله ... قلت لها: انت عماله تتماوجي[٢] كــده لاه؟ يا طــويلــة يا وحشه ... قلت لها: روحي يجعل طولى فى جسديك، ولا يجعله فى جسديك[٣] ... قابلها ابو قردان ... قلت له: رايح فين يابو قردان ياابيض ياوحش ... قلّها: روحي يجعل بياضى فى عينك ولا يجعله ف جسديك قابلها الغراب ... عمّال تتمخطر لاه كده ع الصبح ... يا غراب يا اسود يا نوح؟ قلّها: روحي يجعل سوادى فى جسديك، ولا يجعله فى عينك ... راحت لبتاع السمسم ... راحوا عفسوها بشوية تراب[٤] ... راحت لبتوع الفول عفسوها بشوية تراب ... راحت للعجوزه ... بتقلّها: تعالى فلّينى[٥] يا بنتى. تطقطق على ضراضيرها[٦] وتقلّها: ياما قملك[٧] وحش يا حنّى العجوزة... قلّها: يحلّى... يوحّش دنياتك يا بنتى تطقطق على ضراضيرها، وتقلّها: ياما قملك وحش يا ستى العجوزه ... تقلّها: يوحّش دنياتك يــا بنتى ... قلت لها: روحي ان لقيتى البير رايق ... ماتشربيش، وان لقتيه عكِر ... اشربى ... راحت هناك ... يا بير يا بير لبّسها م العقارب الكتير ... يا بير يا بير لبّسها التعابين الكتير ... يا بير يا بير لبّسها الحواوى[٨] الكتير ... ميِّلت

---

(١) فزْت مرة ابوها: قالت زوجة أبيها.
(٢) تتماوجي: تتحركين يميناً وشمالاً.
(٣) هنا أخطأ المؤدى وأراد أن يقول: " ... ولا يجعله فى شعريك ".
(٤) عفسوها بشوية تراب: ألقوا عليها، أو رموها بالتراب.
(٥) تفلّينى: نظفى لي شعرى.
(٦) تطقطق على ضراضيرها: تأكل هذه الحشرات على أسنانها، وتصدر أصواتاً.
(٧) تقولها المؤدية مصحوبة بضحكة خفيفة منه.
(٨) الحواوى: الحيّات ــ جمع حية.

لقت البتاع ... عكر ... شربت ومشت ... سبحان ماخلق وصوّر فيها ... وحشه خالص ... حرّسوها بشوية فراح، وبعدين واحد جـه يخطب، وهُمَّ عاوزين يجوّزوا لُه صرام ادّلدل ... قـال: لأ انا هاخد دى ... قالوا: لأ احنا ماهنجوزشى الصُغيّره قبل الكبيره ... على كده ارتفقوا ... وقالت: هش ... ضربة تطيَّر ... ماحد صغيّر ... قالوا ... سمعت؟. قلت له: هش ضربة تطيَّر ... ماحد صغيَّر ... قلوله: سمعت يا عم؟ قلّهم: لأ ... لكن انـا خـدت دى ... خطبوا له مين ... ست الحسن والجمال ... على كـده خـد بعضيه، ومشى ... جه يوم الفرح ... هىَّ راحت تطحن ... وعملوا له ... جهّزوا له دى على طـول ... وعرّسوهاله[1] ... وماشيه، وركّبوهـا فـ الخطر[2] القط ... جه القط بقى آه ... هيجّنن[3] ... ماشيين بالعروسه فـ الخطر كده، ويطّبلوا، ويزمّروا ... يطبّل ويزمّر والقط هيجّنن ... نو نو نو ... ست الحسن والجمال بين الطواحين بتطحنى، وصرام ادّلدل قاعده فـ الجمل تتمخطرى ... طبّل زمر ... طبّل زمّر واخدينها فـ زفه على طول ... نو نو نو ... ست الحسن والجمال بين الطواحين بتطحنى، وصرام ادّلدل فـ الجمل تتمخطرى ... قالوا: هُش[4] استنوا لما نسمع القط بيقول آه؟ ... طلّوا كده فـ الجمل ... لقوا صرام ادّلدل ... قلّهم: لأ ... عاودوها تانى ... عاودوا تانى، جابوا ست الحسن والجمال كانت بتطحن، وراحوا عرّسوها وخدوها على طول، ومشوا ....

وخلاص على كده

---

(١) عرّسوهاله: زيّنوهاله.
(٢) الخطر: الهودج.
(٣) هيجّنن: كاد أن يفقد صوابه.
(٤) هُش: كلمة تقال للحيوانات لكي تقف عن السير. (والمؤدي يطيل في نطق الهاء وهو ما عبر الباحث عنه بإطالة حرف الهاء " هُـــش ").

الفصل الرابع

صورة اليهودي بين شكسبير والأدب الشعبي العربي

نحاول في هذا الفصل أن نتوقف لتقديم دراسة مقارنة بين صورة اليهودي في مسرح الإنجليزي وليام شكسبير (١٥٦٤م - ١٦١٦م)، ونظيرتها في الأدب الشعبي العربي. وسيتم واحدة من اختيار أشهر مسرحيات شكسبير، التي بلورت صورة عالمية أو نمطًا عالميًا لشخصية اليهودي، وهي مسرحية "تاجر البندقية/ ١٥٩٤م"، التي قدمت لنا نموذج اليهودي "شايلوك"، والمقابل العربي لهذه المسرحية، من خلال حكاية شعبية عربية شفاهية، قمت بجمع روايتين لها من مصر، وهي حكاية بلورت لنا رؤية شعبية تلتقي مع مسرحية شكسبير، في بلورتهما لصورة اليهودي في كل منهما. إن هذه الحكاية الشعبية العربية ذات الروايات المتعددة، سواء داخل مصر أو خارجها، تتجاوز كونها مجرد عمل شعبي يقدم رؤية عن اليهودي؛ إذ إنها تمثل نسخة عربية شفاهية لنموذج "شايلوك"، لا نستطيع الحسم معه عما إذا كان نموذج شكسبير يمثل الأصل له الذي أثر في كل النماذج التالية عليه، أو العكس هو الذي حدث. أي أن الأصل الشعبي الشفاهي سابق على مسرحية شكسبير؛ ومن ثم تأثر شكسبير في مسرحيته بهذا الأصل؛ خاصة إذا أدركنا أن الروايات الشفاهية للحكاية الشعبية العربية لرواة أميين، لا يعرفون القراءة أو الكتابة؛ ومن ثم انتفاء إمكانية اطلاعهم على الأصل الشكسبيري لهذه المسرحية. إن هذه المقارنة ربما تجيب للدارسين عامة، ولدارسي شكسبير خاصة، عن سؤال الأصول أو المصادر، التي استقى منها شكسبير

مسرحه، خاصة مسرحية "تاجر البندقية"، التي اختلفت حولها الآراء؛ ومن ثم التعرف على حقيقة دور وليام شكسبير في تأليف مسرحياته، وبين ما إذا كان له حق التأليف وابتكار الأفكار، أم أن دوره ينحصر في مجرد إعادة الصياغة فحسب.

وقبل أن نخوض في دراسة هذه المقارنة، فإننا سنقدم تلخيصا لمسرحية "تاجر البندقية" أولا.

ملخص المسرحية:

تتناول المسرحية موضوعين مرتبطين ببعضهما البعض، أولهما "زواج باسانيو وبورشيا"،وهي قصة مهدت للقصة الأخرى التي تمثل محور الأحداث في المسرحية، وهي قصة وفاء الصديق "أنطونيو" لصديقه "باسانيو"، الذي ارتضى أن يستلف من اليهودي مهر "بورشيا" – خطيبة باسانيو– مقابل رطل لحم من جسمه، إذا لم يسدد المبلغ المطلوب في موعده المحدد.

أما بالنسبة للقصة الأولى، فإنها تدور حول رغبة باسانيو في الارتباط ببورشيا الجميلة والغنية، والكثيرة الشمائل، فـ"شمائلها تفوق جمالها"، ووريثة المجد، فهي ابنة أمير بلمونت، غير أن عدم امتلاكه لمهر فتاته؛ إذ إنه بدد ثروته، جعله يتردد بعض الشيء، في الذهاب لطلب خطبة بورشيا، خاصة بعد علمه بكثرة الخُطَّاب عليها. ونظرًا لعدم امتلاك صديقه "أنطونيو" للمال فى الوقت ذاته؛ إذ إن كل ثروته كان يتاجر بها، فكانت ثروته كلها محملة في السفن للمتاجرة بها.

ورغم ذلك فقد طمأن أنطونيو صديقه بأنه سيذهب إلى البندقية كي يستلف من بعض تجارها المال المطلوب؛ حتى يتمكن صديقه باسانيو من اشتراء الهدايا، ويظهر بالمظهر الحسن أمام خطيبته. فذهب إلى البندقية، وهناك كان يوجد تاجر يهودي اسمه

"شيلوك"، وهو تاجر كان يكره المسيحيين، وكان يتعامل بالمراباة في الأموال؛ لذا كان يكره أنطونيو كثيراً؛ لأن الناس تحبه، فهو كان يقرض المال دون مراباة.

إن أنطونيو يتحمل شماتة شيلوك في لجوئه إليه، في سبيل صديقه باسانيو، فيلجأ اليهودي إلى معايرته، بأنه طالما تحمل من أنطونيو سخريته منه، والآن هو الذي يأتيه طالبا منه الاقتراض:

يا أيها السنيور (أنطونيو)!

لطالما قابلتني في بورصة (الريالتو)

وطالما سخرت بي ولمتني على الربا

وطالما احتملت ذاك صابرا!

فالاحتمال طبع هذه العشيرة!

كم قلت إني كافر وسفاح وكلب!

وكم بصقت فوق جوخ سترتي

لأخذ ربح من حلال ثروتي!

هل أنت محتاج إليَّ الآن؟

هل جئت تسأل الغريم بعض المال؟[١]

---

(١) وليم شكسبير: تاجر البندقية، ترجمة: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨، ص ٧٤. (علماً بأن كل الاقتباسات من هذه المسرحية، اعتمدنا فيها على هذه الترجمة)

فيطلب منه أنطونيو أن يقرضه المال، إقراضه لعدو لا لصديق، إذ إن هذا الإقراض لا يعني تغيير وجهة نظره فيه. فيلجأ اليهودي إلى الاحتيال حتى يتمكن من تحقيق مخططه، مشيرًا إلى أن هذا الموقف ربما كان سببا في امتداد حبال الود والإخاء بينهما، وبأنه سيعطيه ما يحتاج من مال، دون ربا أو أرباح. فيطلب من أنطونيو أن يوقع على العقد، وأنه من باب النكتة ينص العقد على أنه في حال تأخير أنطونيو عن السداد، يقع عليه عقاب قطع رطل لحم من جسمه، حسب المكان الذي يختاره شيلوك. ونظرًا لتأكد أنطونيو من عودة قوافله التجارية قبل الموعد المحدد، فإنه يرضى بالتوقيع، خاصة أن اليهودي أبدى – ظاهرا– تجاوزه عما سلف من تعامل سيء بينهما، وأنه طوى صفحة الماضي معه، وبأنه بدأ صفحة جديدة معه.

ويسمي شيلوك ذلك العقد ب"العقد الفكِه"؛ إذ إنه – وحسب قول اليهودي نفسه للاحتيال على الصديقين، بعدما حاول باسانيو إثناء صديقه أنطونيو عن التوقيع؛ خوفا من احتيال اليهودي – هو مجرد شيء من باب الطرفة، فلو كان يرغب في اللحم لاشترى لحم ضأن أو أبقار، ولكنه اشترط لحم أنطونيو فقط من باب الدعابة والفكاهة، لا من باب الجد.

إن الشعار الذي يرفعه شيلوك في حياته، هو المثل القائل: "من يُحكم الإغلاق.. يسلم من الإملاق / ص٩٦". وينعت شيلوك بكل النعوت السيئة، مثل الملعون، البخيل، المرابي، الكافر، الكلب.

في هذه الأثناء، نعرف أن هناك قصة حب جمعت بين جسيكا – ابنة شيلوك – مع حبيبها لورنزو المسيحي، التي تهرب معه، للزواج منه. والغريب أن اليهودي شايلوك لا يبدي حزنه على ابنته، بقدر ما يتبدى حزنه على فقده الأموال والذهب الذي حملته معها جسيكا، بل إن حزنه الأكبر أن تلك الأموال قد تنصَّرت؛ لأنها أصبحت بحوزة ذلك المسيحي. فلقد اقترن ندبه وعويله على ابنته بندبه

وعويله على أمواله، فكانت رغبته في عودتها وبحثه عنها، ليس خوفا وقلقا عليها، وإنما لكي يستعيد أمواله.

"وا بنتاه! وا أموالي.. وا بنتاه!"

"هربت مع نصراني! فتنصرت الأموال!"

"أين القانون وأين العدل وأين الأموال؟"

"كيس مملوء دينارات بل كيسان.."

"سرقتني بنتي.. وا غوثاه!"

"وجواهر.. حجران نفيسان.. "

"سرقتني بنتي.. وا غوثاه"

"أين العدل وأين البنت.."

"معها الحجران... معها الأموال!" (ص١٠٦)

فيجد أطفال القرية مبتغاهم في مطاردة اليهودي في الطريق، مرددين في صياح وسخرية منه: "وا أموالي.. وا أحجاري.. وا بنتاه!". كما نجده يبكي جواهره، لا ابنته، حتى نتأكد من أن سبب بحثه عن ابنته، لا لشيء سوى لكي تعود إليه جواهره، بل نجده يتمنى لو ماتت ابنته قبل هروبها، حتى لا يفقد جواهره وأمواله، كما أنه كان شديد الحزن على بحثه عنها؛ لأن ذلك كلفه أموالاً كثيرة.

وتظهر شماتة شيلوك اليهودي وروحه الانتقامية عندما يعلم بغرق سفن أنطونيو وخسارته لكل تجارته في البحر، فنجده يقول عنه:

"يا له من مفلس مبذر! لا يجرؤ اليوم على الظهور وسط الناس في البورصة! الويل إن يلتزم بالعقد! ويقرض النقود قرضا حسنا! شأن النصارى منكم! الويل إن لم يلتزم بالعقد!" (ص ١١٦)

يتأهب باسانيو – بعد الحصول على السلفة المالية – للدخول في منافسة مع الأمراء حول الزواج من بورشيا. فلقد كانت هناك منافسة شديدة بين المتقدمين للخطبة، غير أن بورشيا لم تُخدع بثراء المتقدمين إليها وأموالهم؛ إذ إن أباها اشترط على من سيحظى بها، أن يختار الصندوق الذي يحتوي على صورتها. فلقد وضعت صورتها في صندوق من الصناديق الثلاثة، أولها من ذهب، مكتوب عليه "من يخترني يحظ بما تبغيه الكثرة"، والثاني من فضة، مكتوب عليه "من يخترني يحظ بما هو أهل له"، والثالث من الرصاص، مكتوب عليه "إن تخترني أعط وخاطر بالأموال جميعا". أي أن المنافسة – بين المتقدمين للخطبة – لم تكن منافسة مادية فحسب، بل كانت إلى جانب ذلك منافسة في الحظ والتوفيق والقناعة. كما أن أبا بورشيا قد وضع إلى جانب ذلك شروطا ثلاثة للشباب المتقدمين للخطبة، يقسم عليها كل شخص قبل خوض المنافسة، هي: عدم إخباره أحدا بما سيختاره، وعدم التفكير قط في الزواج في حالة الفشل، والانسحاب من المنافسة في حالة عدم التوفيق في الاختيار. وقد أقسم الأمراء – بما فيهم باسانيو – على قبولهم هذه الشروط.

وكان أول المتقدمين لبورشيا هو أمير المغرب، الذي يُخدع في بريق الذهب، فيظن أنها داخل صندوق الذهب، مفسرا الجملة المنقوشة عليه "من يخترني يحظ بما تبغيه الكثرة"، على أن من سيختار الذهب سيحظى بالحسناء، فالناس جميعًا، الذين قدموا من أقطار الأرض القصوى – على حد قوله – تبغيها. غير أنه لا يجد صورتها داخل الصندوق، بل يجد جمجمة جوفاء، متروك داخلها رسالة، مكتوب عليها:

ما كل براق ذهب

مثل يدور على الحقب

كم باع شخص روحه

كيما يشاهدني وحسب (ص١٠٤)

وبالتالي ينسحب هذا الأمير من المنافسة؛ لإخفاقه في الاختيار. ثم يأتي – بعد ذلك – أمير آخر اسمه "أراجون"، فيقسم على قبوله للشروط الثلاثة، ثم يختار صندوق الفضة، أي يختار جملة "من يخترني يحظ بما هو أهل له". وبعد أن يتم فتح الصندوق، فإذا به صورة معتوه غمّاز في يده ورقة، مكتوب فيها، "ما أبعد ما يبدو عن طلعة بورشيا". ويظل الأمر على هذا النحو، حيث المتقدمون لخطبة بورشيا، وعدم التوفيق في اختيار الصندوق المناسب، ثم يأتي الدور على باسانيو – فتى البندقية – والتي سبق لبورشيا أن قابلته مقابلة عابرة، أسفرت عن تعلق كل منهما بالآخر دون أن يدري كل منهما بتعلق الآخر به. وعندما يصل باسانيو لخطبة بورشيا، وتسمع حديث الخادم عنه، ومدحه له، تتمنى أن يكون ذلك الشاب هو باسانيو. وبالفعل يكون باسانيو هو الشاب المتقدم للخطبة، فيدور بينهما حديث يفصح فيه كل منهما للآخر بدواخله وأحاسيسه، ثم يستمعان إلى أغنية تغنيها الجوقة، تحتوي على تحذير من الانخداع في كل ما يبرق كالذهب أو الفضة، وتحاول أن تصرف ذهن باسانيو – من خلال التلميح لا التصريح – عنهما إلى الرصاص. وبالفعل يختار باسانيو الصندوق الرصاص، الذي يحتوي على صورة حبيبته "بورشيا"، فيتزوجها، ويتزوج خادمه "جراتيانو" خادمو بورشيا "نيريسا". ورغم إتمام الزواج في الكنيسة، فإن بورشيا – بمجرد علمها بما سيحدث لأنطونيو بسبب وفائه لصديقه، فإنها رفضت ممارسة الحب مع باسانيو قبل أن يزول قلق زوجها على صديقه أنطونيو، ذلك أنها أعطته أضعاف المبلغ لكي يسدده عنه إلى اليهودي أولا، ثم يعود إليها ثانية.

عند هذا الحد تنتهي القصة الأولى، قصة زواج باسانيو وبورشيا، وهي قصة مليئة بالأحداث، ولها عقدتها المستقلة، وحلها الخاص بها. ورغم أنها قد تبدو قصة مستقلة، فإنها تتداخل مع القصة الثانية، أعني قصة استلاف أنطونيو للأموال من شيلوك اليهودي من أجل صديقه باسانيو، بغية أن يكمل له مهرها.

القصة الثانية: قصة "استدانة أنطونيو للأموال من شيلوك اليهودي". وهي قصة تبرز دور الصديق ووفائه له، وتضحيته بجزء من لحمه من أجله. فلكي يتمكن باسانيو من إتمام خطبته من بورشيا، كان لزامًا عليه أن يكون على قدر قامة الأمراء المتقدمين لها، وهو ما كان يتطلب منه أموالاً تبلغ ثلاثة آلاف دينار، وهو لا يمتلك منها شيئا؛ إذ سبق له إنفاق كل ثروته لتبذيره الشديد. وعندما يلجأ إلى صديقه أنطونيو، فإنه لم يرده خائبا، رغم أن كل أمواله كانت تحملها القوافل في البحر للتجارة. ونظرًا لعدم وجود المال تحت يديه، فإنهما يلجآن إلى شيلوك اليهودي كي يستدينا منه المبلغ المطلوب، ويضمن أنطونيو صديقه. وهنا يجد شيلوك مبتغاه في الانتقام من أنطونيو – ذلك التاجر الذي لا يعمل بالربا مع مدينيه، ويحبه أهل مدينته– فيشترط عليه اقتطاع رطل لحم من جسمه حول القلب. ورغم إيهام اليهودي بأن ذلك من باب النكتة، ورغم علم أنطونيو بخداع اليهودي ومكره، فإنه يوافق على ذلك الشرط، وفاء منه لصديقه، وتأكده من أن قوافله ستعود قبل مرور فترة الشهور الثلاثة، التي حددها لهم اليهودي.

ونظرًا إلى سوء الحظ الذي يواجه أنطونيو، فإن كل قوافله قد غرقت في البحر، وهو ما جعل أنطونيو يتأخر في سداد الدَّين لليهودي؛ الأمر الذي جعل اليهودي يتقدم إلى المحكمة بشكوى ضد أنطونيو؛ قبل المدة المحددة بأسبوعين، فتأخذ القضية مجراها، وبالتالي يتمكن مع نهاية المدة – دون تأخر يوم واحد – أن يقتطع رطلا من لحم أنطونيو.

وبعد انقضاء المدة، حاول أصدقاء أنطونيو، خاصة باسانيو وزوجته بعد علمها بتضحية أنطونيو من أجلهما، والقيام بدفع المبلغ، بل دفع أضعافه مرات متعددة، ولكن اليهودي تمسك بالشرط الجزائي المنصوص عليه في العقد، وهو اقتطاع رطل لحم من جسد أنطونيو؛ انتقامًا منه، رغم استعطاف أهل المدينة له. بل يطلب من السجان ألا تأخذه رحمة بأنطونيو، بل نجده يظهر وجهه الحقيقي عندما أصبح في وضع قوي.

"**شيلوك**: يا أيها السجان لا تدعه يفلت.. ولا تحدثني عن الرحمة قط!

فذلك المأفون كان يقرض النقود قرضًا حسنًا!

احرص عليه أيها السجان!

أنطونيو: أرجو أن تسمعني يا (شيلوك) الطيب!

شيلوك: سأنفذ شرط العقد! لا تنطق حرفًا ضد العقد!

فلقد أقسمت أن آخذ حقي وفقا للعقد!

كم كنت تقول بأني كلب ولا أدنى ذنب مني!

فإذا كنت كذلك حقا فاحذر أنيابي.." (ص١٣٩)

وهذا الانتقام لم يكن من باب الصدفة، بل جاء على نحو معد له مسبقا، فلكم تمناه وخطط له كثيرًا، وهو ما تؤكده ابنته جسيكا.

أيام مقامي في المنزل

أقسم في حضرة (توبال) و(كوش)

وهما من أبناء الملة أن القطعة من لحم غريمه

أثمن في نظره..

من قيمة ذاك الدين

حتى لو ضوعفت مرات عدة!

بل إني واثقة أن الخطر يواجه (أنطونيو) (ص١٣٦)

إذًا فاليهودي كان يتحين الفرصة التي يستطيع أن ينفذ مخططه، منذ فترة طويلة، حتى واتته الفرصة.

ولقد كف شيلوك أذنيه عن كل أصوات الرحمة، التي كانت ترجوه العفو عن أنطونيو، نظير أن يأخذ أضعاف مبلغه، قائلا:

"سأنفذ شرط العقد ولا داعي لكلامك!

أنا لست من الحمقى أهل الشفقة والنظر القاصر

فأهز الرأس وأبدي العطف وأتأوه" (ص١٣٩)

وشيلوك يفعل كل هذا رغم أنه يمثل الأقلية الدينية، كما أنه غريب عن الدولة، ولذلك فرغم اعتراض الجميع على إصرار اليهودي على ذلك، بما فيهم المحكمة والدوق والناس، فإن أنطونيو لم يكن أمامه إلا أن يحض الجميع على احترام القانون؛ حفاظا على هيبة الدولة:

"ليس بوسع الدوق

إلا تطبيق القانون!

إذ أنا إن أنكرنا حق الغرباء

فلسوف نحطم قيم العدل السمحة في هذي الدولة

ومدينتنا تعتمد عليها كيما تزدهر تجارتها

مع كل شعوب الأرض! وإذن هيا" (ص١٤٠)

أما الدوق فإنه يصف شيلوك بأنه:

"إني يا (أنطونيو) آسف لك!

فالخصم أمامك ذو قلب كالصخر

لا يعرف معنى الإنسانية والشفقة

خاوٍ منها خالٍ حتى من ذرة رحمة! (ص ١٥١)

وظهر تلاعب شيلوك بالقانون، وبادعائه الزائف أنه حريص على تنفيذ القانون؛ لحماية الدستور.

ونظرًا إلى إحساس بورشيا بأنها السبب وراء كل ما أصاب أنطونيو؛ لتضحيته بلحم جسده من أجل صديقه، الذي هو في حقيقة الأمر من أجلها هي؛ لذا فإنها قررت مساعدة أنطونيو في مأساته، دون أن يشعر أحد بما استقر عليه رأيها سوى خادمتها نيريسا، التي ستكون يد العون لها في تنفيذ مخططها الإنساني. وتتمثل خطة الإنقاذ في ارتداء بورشيا ونيريسا ملابس الرجال، وظهور بورشيا في زي قاضٍ من قبل العالم بلاريو – ابن عمها –، الذي كان من المفترض أن يفصل الحكم في القضية. وبلاريو هذا عالم نحرير في علم القانون، أرسل الدوق إليه يستفتيه في هذه القضية الملبسة.

لقد وصلت بورشيا في زي هذا القاضي الشاب، الذي أرسله بلاريو، وأرسل إلي المحكمة رسالة يعلن فيها تنحيه عن القضية؛ إذ أقعده المرض عن ذلك، ولكنه يوصي المحكمة خيرًا بهذا القاضي الشاب، وبأنه الأقدر على الفصل في هذا النزاع. ولقد دخلت الحيلة على المحكمة، فاقتنعوا بشخصية بورشيا على أنها ذلك القاضي الشاب، دون أن يعرفوا حقيقة جنسها، بل أقنعتهم بقدراتها؛ نظرًا لفصاحتها، وكان أول المقتنعين شيلوك نفسه؛ إذ إنها أبدت دفاعها عن العدل والقانون ودستور البلاد، وهو ما يشي بتنفيذ حكم قطع اللحم من أنطونيو، أي تنفيذ رغبة شيلوك. وكان كلما تحدثت باسم القانون يزداد شيلوك سعادة وفرحا بالقاضي الشاب، الأمر الذي يدعوه فيه ب"دانيال" (ذلك القاضي المشهور عند بني إسرائيل بقدرته على تحويل دفة الاتهام في الاتجاه الذي يريده).

"قد أتى (دانيال) للحكم هنا

إنه (دانيال) حقا!

أيها القاضي الحصيف الشاب

كم أجل حكمتك" (ص ١٦٣)

"ما أشرف هذا القاضي ! ما أعظم هذا الشاب!

....

يا لنزاهة هذا القاضي!

عقلك أكبر سنا من مظهرك!" (ص١٦٤)

وتعلن بروشيا في بداية مرافعتها أن العقد سليم، ويقضي بقطع رطل اللحم من جسد أنطونيو، ويصر شيلوك أن يُقطع اللحم مما حول القلب، ويرفض أن يتحمل نفقة الجراح، الذي يشرف على العملية، فهذا مما لا ينص عليه العقد.

تعتمد بروشيا في محاولة إنقاذها أنطونيو على ذكائها، فتخبر شيلوك بأن يتأهب لقطع رطل اللحم، لكن عليه ألا يسفك قطـــرة دم من أنطونيو، فهذا مما لا ينص عليه العقد أيضا. فسفك قطرة دم واحدة من دماء مسيحي، يعني مصادرة أملاك اليهودي، وفقا لقانون الدولة أيضا، الذي يتشدق به شيلوك نفسه. وهنا يبدأ شيلوك في التراجع، ويعلن موافقته قبول أضعاف المبلغ، نظير العفو عن أنطونيو.

وتزيد بورشيا في تطبيقها العدل، وحرفية القانون، بعدم موافقتها على ذلك التراجع، بل عليه أن يقتطع رطل لحم فقط، لا أقل ولا زيادة، طبقا للمنصوص عليه في العقد المكتوب، وأن مخالفة ذلك ولو كان بمقدار حبة خردل من اللحم بالزيادة أو النقصان، فإن هذا سيعني أن الموت سيكون مصيره. ويستمر شيلوك في مسلسل الخوف والتراجع، فيقبل أصل الدّين نظير العفو عن أنطونيو، وهو ما ترفضه بروشيا؛ تنفيذًا للعدل والعقد. ثم يعلن اليهودي تنازله حتى عن أصل الدَّين، وتتهمه بروشيا – طبقا لقانون البلد – أنه شرع في قتل مواطن، وهو ما يعني مصادرة كل أموال اليهودي، نصفها إلى أنطونيو، والنصف الآخر من نصيب خزانة الدولة، وأن روحه ملك للدوق، فبأيديهم العفو عنه أو الحكم بقتله، ولكن الدوق تعلمه درسا، حين اختارت العفو عن قتله، وتغريمه بعضا من نصف ماله الموجه للخزانة بوصفها غرامة، دون المساس بنصيب أنطونيو. ويعتذر أنطونيو عن قبوله نصف ثروته، بل يقبل وقف أمواله لصالحه ولينفق منها في حياة اليهودي، على أن تعود إلى ابنته بعد وفاة اليهودي، وذلك مقابل شرطين، هما: تنصر اليهودي، والتنازل عن ثروته إلى ابنته وصهره عند وفاته. ويقبل شيلوك

ذلك، ويرجئ توقيع العقد لإصابته بوعكة صحية، غير أن بورشيا تشرف بنفسها على إتمام التوقيع وصحته.

يصر باسانيو وأنطونيو على دعوة بورشيا وإهدائه المبلغ (الثلاثة آلاف دينار) مقابل ما قدمه لهم، ولكنها مع خادمتها يصران على العودة؛ وذلك حتى يتمكنا من العودة إلى المنزل في بلمونت قبل زوجيهما، حتى لا ينكشف أمرهما. غير أن بورشيا ترفض كل الهدايا وتتعلق بخاتم الزواج، الذي أهدته إليه ليلة زواجهما، والذي استحلفته بألا يخلعه من يده قط. وبعد تردد طويل من باسانيو الزوج، يوافق على إهدائها الخاتم، والأمر نفسه يفعله جراتيانو الخادم مع زوجته نيريسا.

وبسرعة شديدة تعود بورشيا وخادمتها نيريسا إلى القصر في بلمونت، دون أن يشعر بحقيقة أمر اختفائهما سوى لورنزو وزوجته جسيكا/ ابنة اليهودي، وتؤكد عليهما بورشيا ألا يكشفا هذا الأمر للزوج باسانيو. وبحيلة من الخادمة نيريسا وسيدتها بورشيا يكتشفان أمر عدم وجود الخواتم في أصابع أزواجهما، وبعد إبداء الاستغراب والغضب من ذلك، والتهديد بالفراق، ثم مصارحة زوجيهما لهما بحقيقة الأمر، تصارح بورشيا الجميع بحقيقة ما فعلته، وبأنها كانت العقل المدبر والمنفذ لكل ما تم في المحكمة، فيشكرها الجميع، باسانيو وأنطونيو ولورنزو وجسيكا. غير أن أكثر السعداء هو أنطونيو، فلقد أوقف نصف مال اليهودي في حياته، ثم جاءته رسالة، تنقل إليه خبر مجيء سفنه سالمة في الميناء. كما أن السعادة غمرت لورنزو وجسيكا أيضا بعد استلامهما عقد تنازل شيلوك اليهودي، الذي تؤول بمقتضاه كل ثروته إليهما عند وفاته.

إن القصتين متداخلتان، بل إنهما كذلك متزامنتان. فقصة الاستلاف تبدأ قبل ارتباط باسانيو ببورشيا، بل إن السبب في عقدة هذه القصة هو هذا الاقتران. فأنطونيو استدان المال من اليهودي ليكمل له مهر خطيبته. لقد كانت بداية القصة الثانية بمثابة بداية لحل عقدة حبكة القصة الأولى، غير أن "كتب كتاب" باسانيو واقترانه ببورشيا، وإن تم ورقيا، فإن بورشيا ترجئه فعليا؛ إذ إنها تصر على عدم مضاجعة باسانيو لها إلا بعد أن تنتهي أزمة صديقه أنطونيو؛ إذ كيف يطيب لهما المنام وصديقهما يمر بهذا الظرف السيئ. من هنا، ورغم أن القصة الأولى توشك على الانتهاء، فإنها تنفتح ثانية، بل لا تنتهي إلا بعد نهاية القصة الثانية. أي أن القصة الأولى هي الأطول زمنيا، والأوسع مكانيا؛ وذلك بسبب تداخل القصتين معا، فعقدة القصة الأولى أدت إلى ولادة القصة الثانية؛ الأمر الذي أدى إلى مط أحداث القصة الأولى. كما أن فك عقدة القصة الثانية يعني فك أزمة القصة الأولى، وانتهاء المسرحية.

** ** ** **

لقد اختلفت آراء الدارسين والنقاد حول دور شكسبير في مسرحية " تاجر البندقية"، بين ما إذا كان مؤلفا لها، وأنها من بنات أفكاره، وبين ما إذا كانت هذه المسرحية ذات أصل شعبي، وانحصار دور شكسبير في مجرد إعادة صياغته لهذه الحكاية الشعبية، المشهورة عالميا تحت هذا العنوان في أكثر من ثقافة عالمية. الأمر الذي أدى إلى استلهام أكثر من مؤلف – من السابقين على شكسبير أو المعاصرين أو التاليين له – لهذه الحكاية. ولقد اختلف المؤيدون للرأي الثاني حول هذا الأصل الشعبي للحكاية، فيما إذا كان أصلاً شرقيًا أم غربيًا، إيطاليًا أم ألمانيًا أم هنديا أم مصريا.

إنني أميل إلى ذلك الرأي الذي يقول إن للمسرحية أصلاً شعبيًا، ولكنني لست من أنصار البحث عن ذلك الأصل الشعبي، وما إذا كان شرقيا عربيا أو هنديا أو أوربيا؛ إذ إنني أعتبرها تراثا إنسانيا عالميا، عرفته ثقافات متعددة، الأمر الذي لم يعد معه البحث عن ذلك الأصل المكاني - الذي انتقلت عنه الحكاية إلى الثقافات الأخرى - أمرا ذا بال. ولكي أدلل على رأيي هذا، فإنني سأقسّم المسرحية - على نحو ما أوردها شكسبير - إلى عدد من الموتيفات الشعبية، محاولاً التعرف على تناولها الشعبي في إطار عدد من الحكايات الشعبية. أي القول إن حكاية شكسبير لم تتعد كونها مجموعة من الموتيفات الشعبية، التي اقتصر فيها دور شكسبير على مجرد إعادة صياغة الحكاية الشعبية في قالب مسرحي، وأن التغييرات - التي تمت من قبل المؤلف - إنما كانت من قبيل التغييرات، التي يمكن أن تنشأ عن التحول الفني للنص من الشفاهية إلى الكتابية هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن التغييرات التي طرأت على الأصل الشعبي للحكاية إنما جاءت على النحو الذي يتماشى وطبيعة تحويلها إلى نص مسرحي.

ولقد توقف أحد الدارسين عند الأصل الشعبي للمسرحية، والقول باستفادة شكسبير من الموروث الشعبي العالمي، أي أن لمسرحية شكسبير أصلاً شعبيًا، أخذ عنه شكسبير موضوع مسرحيته، وانحصر دوره في مجرد بناء حبكة المسرحية[1]. ولقد تم الاختلاف حول ذلك الأصل، الذي استفاد منه شكسبير، ما بين أصل روماني أو لاتيني أو آري أو شرقي، دون أن يتوقف - أو يتوقف غيره من الباحثين - عند احتمالية وجود أصل أو رواية عربية لها، ودراسة تلك العلاقة ما بين التأثير والتأثر بينهما.

---

(١) وليم شكسبير: تاجر البندقية، تعريب خليل مطران، دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة، راجع مقدمة الترجمة العربية.

إن أول الموتيفات الشعبية التي نتوقف عندها في الحكاية، يتمثل في موتيف محاولة الارتباط بابنة الملك، ودخول البطل في منافسة حامية مع عدد كبير من الشباب، الذين يحملون الغرض نفسه، وفي نهاية المطاف فإن البطل يحظى بالبطلة. ففي الحكايات الشعبية العربية، يتواتر هذا الموتيف كثيرا فيها، بصيغ متعددة، فتارة تكون المنافسة بين – الشباب المتقدم لخطبة ابنة الملك – حول من سيفك لغز بنت الملك، شريطة أن يُشنق كل من يعجز عن الحل. ويعجز كل الشباب المتقدم عن فك ذلك اللغز الذي تلقيه البطلة على المتقدمين إليها، ثم يأتي البطل – وقد فشل تسعة وتسعون شابا، وعُلّقت رؤوسهم على باب المملكة – وينجح في فك اللغز؛ ومن ثم يتم الاقتران بالبطلة. وتارة أخرى، يكون بمصارعة البطلة للشباب المتقدمين إليها، من ينتصر عليها، يحظى بها، ويتزوج منها. فتنتصر البطلة على كل المتقدمين عليها، وتقتلهم جميعا، وتعلق رؤوسهم على باب المملكة، ثم يأتي البطل فينتصر عليها، ويتزوج منها. وقد تتمثل المنافسة حول من سيقوم بمعالجة ابنة الملك من مرض خطير يلم بها، ويعجز كل المتقدمين عن معالجتها، فيلقون حتفهم على يد الملك، وينجح – في النهاية – البطل، فيعالجها ثم يتزوجها.

كما يتواتر موتيف الصناديق الثلاثة في عدد من الحكايات الشعبية العالمية. وهو موتيف يتمثل في المنافسة بين الشباب المتقدم لخطبة الفتاة، حول من سيحسن اختيار الصندوق الذي يحتوي على صورة البطلة، ويسيء الشباب اختيار الصندوق المناسب، وينجح البطل في اختيار الصندوق المراد، ويتزوج من البطلة. والأمر نفسه بالنسبة إلى موتيف اقتطاع جزء من لحم أحد الأشخاص، وتعدد محاولات تفادي إحداث ذلك الاقتطاع.

كما أن موتيف تخفي البطلة في زي رجل، وعدم كشف أمرها أمام أهلها أو أمام أي شخص، يمثل موتيفا شائع الاستخدام في كثير من الحكايات الشعبية العربية والعالمية أيضا.

** ** ** **

والآن، وقبل توقفي عند عناصر التشابه والاختلاف بين النص الشكسبيري والحكاية العربية – فإنني سأقدم ملخصا للروايات العربية الشفاهية للحكاية.

ملخص حكاية "تاجر الملح":

فلقد تصادف أثناء انشغالي بجمع الحكايات الشعبية الشفاهية من محافظة الفيوم عامي ٢٠٠٠م، ٢٠٠١م، أن قمت بجمع روايتين شفاهيتين مصريتين لمسرحية تاجر البندقية. وكنت وقتئذ لم أكن قد قرأت المسرحية بعد، فعنونت لهذه الحكاية ب"تاجر الملح". ذلك أن البطل راح يتاجر بالملح؛ حتى يسدد ما عليه من دين لليهودي، فكان أن حمّل مركبًا ملحًا، وراح يتاجر بها في إحدى المدن.

والـــروايتان المصــــريتان الشفـــاهيتان، قمت بجمعهما من الراويين، سيد عبد العال حميدة، وعبد الكريم عثمان[1]، والروايتان لا تختلفان فيما بينهما خاصة في الخطوط العريضة للحكاية. وتذهب الروايتان إلى أن السيد علي الجواهرجي أنجب ابنه الوحيد أحمد (وضروري أن نلاحظ من خلال الاسمين أن الأب وابنه بالإضافة إلى عروبتهما، فهما يدينان بالإسلام)، فلما أوشك الأب على الموت، وشعر بذلك، أوصى ابنه ثلاث وصايا، هي: "ألا يزني إلا في نهاية الليل، وألا يلعب القمار إلا مع شيخ القمارتية، وألا يتزوج إلا بنت الأصول "بنت أحسن ناس حسب

---

(١) يمكن مراجعة روايات هذه الحكاية في ملحق النصوص.

قول الأب"، ثم يموت الأب، فيرث الابن ثروة طائلة عن أبيه، ويحاول اختبار نصائح أبيه، فأراد الزنا، فجاءته امرأة داعرة وجميلة في محل الصاغة، وراودته عن نفسه، فتواعد معها أن يقابلها في بيتها في منتصف الليل (تنفيذًا لنصيحة أبيه)، فلما جاء الموعد المحدد، ذهب إليها، فوجدها نائمة، فاستيقظت' فرأي وجها غاية في القباحة، فلما تيقن أنها السيدة نفسها التي تواعد معها في النهار، ترك لها المائة جنيه – حسب وعدهما – ولم يرتكب الفاحشة معها لدمامتها. أراد – بعدئذ – أن يختبر النصيحة الثانية لأبيه، فقرر أن يلعب القمار، فراح يسأل عن منزل شيخ القمارانية، فلما وصله، وجده في حال يُرثى لها؛ إذ وجده خسر كل شيء، فنصحه ذلك الرجل بألا يقبل على لعب القمار ثانية؛ إذ فيه خسران مبين، فيترك له المائة جنيه، وكان هذان الموقفان جديرين بأن يأخذ عهدا على نفسه ألا يزني وألا يلعب القمار ثانية. ولما حان وقت الزواج تذكر نصيحة أبيه الثالثة "أن يتزوج من ابنة الحسب والنسب"، فراح يسأل عن هذه الفتاة، ووجدها بالفعل وتقدم إليها، فاشترط أبوها مهرًا لها أن تحمل الإبل ذهبا من مشرق الشمس إلى مغربها من منزل هذا الشاب إلى منزل والد خطيبته، وهو ما مثل مشكلة أمام هذا الشاب (أحمد علي الجواهرجي)، فأشار عليه شيخ عجوز أن يدعو هؤلاء العمال –الذين يحملون الذهب على الإبل –على ذبيحة– وهو ما يجعلهم يقضون قسطًا كبيرًا من اليوم في التهام الطعام، وبالتالي فسيتبقى جزء قصير من اليوم يحملون فيه الذهب إلى منزل الخطيبة. وبالفعل نجح الشاب في قضاء مهر خطيبته، والزواج منها. كانت المشكلة الأخرى التي قابلت الشاب أنه أنفق كل ما يملك على إتمام زفافه، وبالتالي لم يعد يتبقى معه مال ينفق منه على حياته الزوجية، أو على مشروعاته، فاضطر دون أن يخبر زوجته أن يلجأ إلى اليهودي؛ كي يستدين منه مائة جنيه. غير أن هذا اليهودي – الذي تسميه الحكاية بالخواجة – علق لافتة مكتوبًا عليها، أن من يرغب في استلاف مئة جنيه لمدة شهر، عليه إذا تأخر في سدادها عن المدة المحددة أن يقطع منه اليهودي رطل لحم. ونظرًا لضيق ذات اليد، والحاجة الشديدة للمال،

وافق الشاب على شرط اليهودي، ووقع على عقد الاتفاق بينهما. عاد – بعدها – إلى زوجته، التي اقترحت عليه أن يعمل بها مشروعًا، فأحضرت له مركبا وملأته بالملح، ونصحته أن يذهب إلى مدينة لا تعرف تجارة الملح، وسوف يشترون منه هذا الملح بأغلى الأسعار؛ نظرًا لحاجتهم إليه وافتقارهم للملح في الوقت نفسه، ثم حددت له موعدًا ما يقرب من الشهر، فإذا تأخر فسوف تذهب إليه. فركب المركب وسافر إلى تلك المدينة، وبمجرد وصوله وعلم بخبره أهل المدينة توافدوا إليه، وكل من أخذ جوالا من الملح، استبدله بجوال من الذهب، وبعد أن انتهى من ذلك، آثر أن يستريح قليلا في هذه المدينة، ثم جلس على إحدى المقاهي، فصادف أن جلس بجواره رجل حشاش، ودار بينه وبين الجالسين على المقهى حديث في أمور الدنيا، انتهى بالحديث عن النساء والزوجات، وتحدث كل منهم عن المهر الذي قدمه إلى زوجته، فلما ذكر لهم ما كان من أمر مهر زوجته، فاغتاظ هذا الحشاش، وأخبره أنها لا تختلف عن أي امرأة، وهنا تراهن هذا الحشاش مع الشاب على أنه من الممكن أن يفعل الفاحشة معها، فأخبره الزوج أن زوجته امرأة عاقلة وعفيفة لا تقدم على مثل هذا الأمر. عندئذ أخبره الحشاش أن الرهان هو مركب الذهب في مقابل المقهى (فالحشاش كان صاحبه)، ثم أعد عدته ورحل إلى زوجة الشاب، وحاول معها بكل الطرق، لكنه فشل، فوجد امرأة عجوزًا، أغراها بالمال مقابل أن تساعده في النيل منها، فصنعت له صندوقا ووضعته بداخله، وذهبت بالصندوق إليها، وأقنعتها أن تترك هذا الصندوق في منزلها لمدة ثلاثة أيام. ولما لم يستطع الحشاش أن يخرج من الصندوق، فإنه لمح قطعة مصاغ ذهبية "مشغلة" لها، فوضعها في جيبه، ثم جاءت العجوز بعد الأيام الثلاثة وأخذت الصندوق بما فيه. فلما عاد الحشاش إلى الشاب، وأخرج له القطعة الذهبية، اقتنع الناس أن الزوجة خانت زوجها، فأصبح المركب من نصيب الحشاش. مضت مدة الشهر والزوج لم يعد إلى زوجته، فما كان من الزوجة الوفية إلا أن تلبس زي الرجال وتذهب إلى زوجها، وهناك علمت بقصة زوجها مع ذلك الحشاش، فقابلت الحشاش ولعبت

القمار معه، وكسبت منه مركب زوجها ومقهى الحشاش وكل ما يملك، ثم تعرفت على زوجها، ثم عادا إلى مدينتهما. بعد عودتهما كان في انتظارهما قضية الخواجة؛ إذ تأخر زوجها الشاب عليه في سداد الدَّين (المائة جنيه)، فحاول الزوج أن يرد المال إليه، لكن اليهودي رفض وأصر على أخذ رطل اللحم من جسمه، حسب الاتفاق المنصوص عليه في العقد. لذلك اضطر الزوج أن يخبر زوجته، فطمأنته ونصحته أن يأخذ ألف جنيه معه، أما هي فقد كانت قاضية مشهورة في المدينة فذهبت إلى المحكمة، وسمعت إلى قاضي المحكمة ومحاولاته مع اليهودي؛ ليثنيه عن شرط رطل اللحم، لكنه فشل في ذلك معه. لما وجدت الزوجة / القاضية ذلك من اليهودي وإصراره على قطع رطل لحم من جسم زوجها، فإنها استأذنت من القاضي وتدخلت لحل القضية، وطلبت من زوجها – دون أن يعرف أحد بأنه زوجها – أن يدفع لليهودي ألف جنيه، بدلاً من المائة جنيه، غير أن اليهودي رفض مصرًا على رطل اللحم؛ عندئذ وافقت القاضية/ الزوجة على طلب اليهودي، شريطة أن يقطع الرطل دون زيادة أو نقصان، وأن أي نقص أو زيادة سيعني أن المحكمة سوف تقتطع هذه الكمية من جسم اليهودي نفسه. هنا بدأ الخوف يدب في قلب اليهودي، فوافق على عدم قطع رطل اللحم، عندئذ حكمت المحكمة عليه بعشرة آلاف جنيه؛ غرامة لتعطيله أعمال المحكمة.

صورة "شايلوك" بين "تاجر البندقية" و"تاجر الملح":

"شايلوك" تاجر يهودي يحمل صورة نمطية لليهودي، فهو بخيل جدًا، يعمل بالمراباة؛ إذ إنه يستغل الأحوال الاقتصادية السيئة لأهل مدينته الفقراء، فيقرضهم المال بالربا، لذلك فهو شخص منبوذ من أهل المدينة، وعلى رأس الكارهين له "أنطونيو"، ذلك النموذج الطيب للتاجر المسيحي، الذي يساعد الناس ويعطف عليهم. وهو كذلك – أي شيلوك – شخص يكره الآخر لمجرد أنه ليس يهوديًا، من

هنا تولد لديه كرهه للمجتمع الذي يعيش فيه، وكذلك كرهه لأنطونيو. ويقول شيلوك اليهودي عن طبيعة علاقته بأنطونيو، ذلك الآخر المسيحي:

أكرهه فهو مسيحي.. ويزيد كراهيتي له

إقراض المال بلا ربح ضعة منه وغفلة

مما يخفض سعر الفائدة على الأموال

في هذه البلدة..

وكذلك فإن شيلوك شخص محب للمال، ويبذل في سبيله كل شيء، وعندما يجد في شخصية أنطونيو عائقا له عن تحقيق المكسب، فإنه يتربص له، ويتحين فرصة الخلاص والانتقام منه، حتى يخلو له الجو فيفعل ما يريد أن يفعله بالفقراء، وهو ما يضمره له في داخله:

يا ليت الفرصة تسنح لي

فأفاجئه في لحظة ضعف

كي أُطعم ذاك الحقد الراسخ منه فأتخمه!

لِمَ يكره شعب الله المختار؟

لِمَ يهجوني وسط التجار؟

لِمَ يسخر من صفقاتي.. من حرصي..

من ربحي المشروع.. ويسميه ربا!

فلتنزل بعشيرتي اللعنة إن سامحته! (ص ٧١)

وعندما تأتيه فرصته، ويطلب منه أنطونيو اقتراض مبلغ من المال، فإنه يوافق شريطة كتابة عقد معه، على أنه في حالة التأخير سيدفع مقابل التأخير رطل لحم من جسمه. وشيلوك شخص مخادع، يوهم أنطونيو أن ذلك الشرط من باب التفكه والتندر؛ إذ ما العائد عليه من اقتطاع رطل لحم من جسم شخص ما؟! ويتبدى ذلك الخداع في العقد المكتوب بينه وبين أنطونيو؛ إذ يوهمه أن ذلك الشرط من باب الدعابة لا الحقيقة:

سأريكم كيف تكون الشفقة

عند موثق عقد الصفقة

هيا وقع عقدًا بالدَّين معي

ولنذكر من باب النكتة

أنك إن لم تدفع دينك

في يوم كذا وكذا.. بمكان كذا وكذا..

وفق المنصوص عليه..

كان عقابك رطل من لحمك

أقطعه منك وآخذه من أي مكان يعجبني

في ظاهر جسدك (ص ٧٦)

وهذا الشرط يشي بالروح العدوانية التي تسيطر على شايلوك، تلك الروح الاغتصابية لحقوق الآخرين، إنها روح يسيطر عليها نهمها للون الدم والقتل والعدوان؛ لتحقيق مآربها. كما يتبدى كل هذا في توظيفه للكتاب المقدس لتأكيد أمر ما يريد التأكيد عليه، على نحو ما حدث في موقفه الديني من الربا؛ إذ راح يوظف

الكتاب المقدس للوصول إلى مبتغاه، رغم المغالطات، وهو تحليل شيلوك للربا، على نحو ما يتضح في استشهاده لقصة يعقوب وزيادة نعاجه عن طريق حسن تفكيره وذكائه في تصرفه مع "لابان"، صاحب الأغنام؛ إذ أصبحت كل الأغنام – فيما بعد – ملكا له، وينتهي من قياسه الخاطيء هذا إلى أن ما يفعله لزيادة ذهبه، هو بالفعل عين ما فعله يعقوب.

لا أستطيع أن أقول غير إنني جعلت ذهبي

يزداد مثل الغنم.. (ص ٧٣).

فاليهود – ورمزهم هنا شايلوك – ينظرون إلى تلك الصفات التي تنتقضها البشرية مثل الخداع والغش والاحتيال والمكر، على أنها صفات دينية مستحبة لديهم، على النحو الذي تؤكده التوراة في تصويرها ليعقوب (أبي إسرائيل). ف (يعقوب في التوراة رجل مادي ذكي لبق. وقد استطاع بهذه الصفات أن يخفي ما به من صفات لا إنسانية مثل الخداع والغش والمكر. ولم تكتف التوراة بتصوير يعقوب على هذا النحو الكريه عندما خدع أخاه عيسى، بل عادت فأكدت له هذه الصفات في معاملته لخاله لابان)(١).

كما يتبدى – أيضا – ميل شايلوك إلى الاحتماء بقانون المدينة عندما يكون القانون لصالحه، وهو ما نلمسه في لجوء شايلوك إلى قانون المدينة، عندما شعر أن القانون في صالحه، وهو ما يعلنه شيلوك للدوق:

"فإذا أنكرتَ الحق ...

كنت تُعرّض دستور مدينتنا والدولة للخطر الداهم" (ص١٤١)

---

(١) جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، الجزء الأول، دار المعارف،الطبعة الثانية، المقدمة ص ٧.

وإلى جانب كل هذه الصفات السيئة التي ألصقتها المسرحية بشخصية شايلوك، التي لمست كل جوانب حياته، للدرجة التي لا تجد معها صفة إيجابية واحدة في شخص شايلوك، فإن المسرحية تلصق به صفة أخرى، بكونه أبا لا يعرف الرحمة أو الشفقة، فلقد طال بخله وعدم رحمته ابنته الوحيدة "جسيكا". فابنته لا تتحمل العيش معه، لبخله الشديد عليها، وتشدده الديني؛ ومن ثم عدم موافقته على تزويجها من حبيبها المسيحي "لورنزو"؛ الأمر الذي دفعها إلى الهروب معه. وتتبدى هذه الروح التي لا تعرف رحمة الأب وعطفه، في حزنه على المال والجواهر، التي حملتها معها جسيكا ابنته في هروبها، وعلى ما ينفقه من أموال في سبيل البحث عنها، لا حزنه على ابنته التي فقدها، للدرجة التي تمنى فيها لو أن ابنته قد توفيت قبل أن تهرب بالجواهر والأموال. وجزء كبير من حزنه كان سببه تطرفه الديني، وهو ما تمثل في حزنه على ماله الذي تنصَّر، وذلك بذهابه إلى لورنزو المسيحي، زوج ابنته، وهو ما نلمسه في بكائه وحزنه على جواهره لا على ابنته:

"ويلي ويلي ويلي! ضاعت مني ماسة، قيمتها ألفا دينار، جئت بها من ألمـــانيا، لكـــأن اللعنة مـــا حلت في أمتنا حتى اليوم، ما أحسست بها إلا اليوم! ألفا دينار يا ويلي! وجواهر ونفائس أخرى، أتمنى لو ماتت (جسيكا) بين يديَّ، وبأذنيها الأقراط! بل ليت الموت يسجيها في نعش فيه دنانيري!... لا أدري كم كلفني هذا البحث! خسران يجلب خسرانا! فاللص مضى بالمال، والبحث يكلف مالا" (ص١١٨)

كما أنه كان كلما سمع بإنفاق جسيكا للمال، أو بيع إحدى الجواهر، فإنه كان يشتاط غيظا.

شخصية شيلوك بعيون يهودية:

لا تختلف نظرة الشخصيات اليهودية في المسرحية إلى شايلوك عن نظرة الشخصيات غير اليهودية، والمسيحية خاصة إليه. فلونسلوت – خادم شيلوك – يراه شخصًا بخيلاً، يتسبب بخله في إلحاق الجوع به، حتى لقد برزت أضلاعه من شدة الجوع. أما جسيكا – ابنة شايلوك – فإنها تخجل من أبوة أبيها اليهودي، ومن طبائعه السيئة؛ إذ تقول:

ما أعظم الخطيئة التي حملتها

حين خجلت من أبوة الأب!

لكنني من صلبه ومن دمه

ولست من طباعه! أواه (لورنزو)! ص ٩١

ورغم هذا فإننا نجد من بين النقاد والدارسين من يبدي إعجابه بصفات إيجابية في شخصية شايلوك، لم يلتفت إليها أحد، على نحو ما يشير إلى ذلك كريستوفر باري. فشايلوك – حسب قول باري – "يختلف عن سائر شخصيات المسرحية باستثناء (لونسلوت) في أنه يتحدث إلى الجمهور مباشرة ويصارح الجمهور بآثامه، أي أنه لا يتنكر ولا يخفي شيئا من دخائل نفسه، ويستخدم عبارات ولغة أبعد ما تكون عن الخداع والتعقيد، ولذلك يبدو في شروره، وسخريته اللاذعة، وبخله الشديد، وكبريائه الجريحة، شخصية مسرحية متكاملة"[(١)]. ثم يؤكد كريستوفر باري أن الربا قد أصبح في عصر كتابة المسرحية ضرورة ملحة من ضرورات المجتمع المديني؛ ومن ثم لم يعد الربا قاصرًا على اليهود فحسب، بل

---

(١) نقلاً عن مقدمة الترجمة العربية في: وليم شكسبير: تاجر البندقية، ترجمة: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م، ص٤٤.

عمل به قطاع كبير من غير اليهود. وباري في هذا يريد أن يبرر أعمال الربا، التي اشتهر بها شايلوك.

خلاصة القول: لقد لعب شايلوك دورًا مهمًا في المسرحية، ولقد بلغ من أهمية الدور الذي لعبه "أن المسرحية كادت أن تسمى باسمه بدلاً من أنطونيو تاجر البندقية، فقد وُجِد في أحد السجلات القديمة ***"Stationers Registers"*** تعريف بهذه المسرحية هكذا: "هذا كتاب تاجر البندقية، أو كما يسمى باسم آخر: يهودي البندقية"، والذي يعكس – في الغالب – العنوان الفرعي الذي يريده لها شكسبير؛ إذ عندما ظهرت في مخطوطة عام ١٦٠٠، جاء عنوانها على النحو التالي: "أكثر التاريخ تميزًا لمسرحية تاجر البندقية. مع وحشية المرابي شايلوك، التاجر المشهور بقطع رطل من لحم عدوه، والفوز ببروشيا عن طريق اختيار الصناديق الثلاثة"(١). ولقد يدلنا هذا النص الموثق على أن شكسبير كان في شك من أن يسمي مسرحيته بإحدى التسميتين نسبة إلى أنطونيو أو شيلوك. وأيا ما كان الأمر فإن شيلوك هو "شخصية" هذه المسرحية، وما عداه من الشخصيات فتبع له"(٢).

إن شكسبير أراد أن يجمع خصائص اليهود وصفاتهم العامة في شخصية شايلوك، "الذي يمثل الشعب اليهودي أصدق تمثيل. ففيه منهم تلك الكبرياء العاتية التي لم تقف لحظة خلال العصور عن أن تثير العداوات، وفيه ذلك الشح المفرط الذي يقود إلى الجشع البغيض، وفيه منهم ذلك الضعف والذلة. فهو في الحق نموذج من آلام اليهود وكراهيتهم. وقد كان هو نفسه موضعا للازدراء الشديد

---

(١) لقد أشار إلى ذلك العنوان الجانبي للكتاب الذي حرره ميخائيل دوبسون، وستانلي ويلز:

- The Oxford Compapnion to Shakespeare. (2005). Edited by Michael Dopson & Stanly Wells. Oxford University Press. P. 288.

(٢) مقدمة الترجمة العربية لمسرحية "تاجر البندقية"، وليام شكسبير، تعريب: خليل مطران، دار المعارف بمصر، (د. ت)، ص١٧.

والإهانات المتصلة من المحيطين به من مسيحيي البندقية"[1]. دون أن ينفي هذا أن المؤلف حمّل شايلوك سمات خاصة وطبائع فاقت - بل ميزته عن - اليهود أنفسهم، في حقده وانتقامه وطمعه وجشعه وبروده ومكره وخبثه، وبرود مشاعره، وعدم الرحمة؛ الأمر الذى جعل من شخصيته نموذجًا يحظى بقدر عالٍ من الشيوع في الأدبيات العالمية؛ مما دفع عددًا من الأدباء إلى محاكاة هذا النموذج أو استلهامه في أعمالهم، أو الكتابة على غراره. فعالميا نجد مسرحية "أوليفر تويست /١٨٣٨"، لمؤلفها تشارلز ديكنز "١٨١٢ - ١٨٧٠"، التي قدمت شخصية "فاغن" بوصفه نموذجًا معادلاً لشيلوك، في بعدها الاجتماعي والديني. وعربيا نجد مسرحية "شايلوك الجديد"[2]، التي كتبها علي أحمد باكثير، والتي أخذت بعدًا سياسيًا؛ إذ يصور فيها كيفية اغتصاب اليهود لأرض فلسطين العربية.

وتلتقي صورة "شايلوك" - التي تم تصويرها في مسرحية "تاجر البندقية" - مع صورته في الحكاية الشعبية الشفاهية المصرية "تاجر الملح". فـ"شايلوك" - الذي تنعته الحكاية بالخواجه، دون أن تسميه باسم - تاجر مرابٍ، يعطي السلفة المالية لموعد شهر، فإذا لم يردها إليه الشخص - الذي استدان منه - في غضون شهر، كان من حق هذا اليهودي / الخواجة أن يقتطع من جسد هذا الشخص المستدين رطل لحم. وبلغت جرأة اليهودي في الحكاية المصرية أن يعلق بذلك إعلانا في لوحة لكي يعرف الناس أمره وشروطه. فاليهودي - كما تقول الحكاية - كتب على "*... يافطه معلقه مكتوب عليها: الخواجه فلان بيدي سلفه ... مية جنيه وعدة الشهر، واللي مايجيبشي المية جنيه دي وعدة الشهر...يقطع من جسمه آه... رطل لحم ... يقطع من جسمه... رطل لحم ...*". ونلمح هنا ثمة تشابها بين صورة اليهودي بين المسرحية والحكاية في تصويرهما لليهودي بأنه شخص تاجر ومرابٍ في آن، كما أنه شخص مغتصب للحوم البشر. غير أن صورة الاغتصاب

---

(١) المرجع السابق: ص١٥.
(٢) يمكن مراجعة ذلك في، علي أحمد باكثير: شيلوك الجديد، مكتبة مصر، (د. ت).

والالتهام للحوم البشر تختلف فيما بينهما، فإذا كانت رغبة شايلوك في التهام لحوم البشر في المسرحية هي حالة استثنائية؛ لكي يشفي غليله من أنطونيو ، ذلك التاجر المحبوب من أهل مدينته، والمحب للخير؛ لذلك فهو لم يجرؤ على التعبير عن رغبته هذه في بداية الأمر، عندما أراد أن يكتب هذا الشرط في العقد المكتوب فيما بينه وبين أنطونيو؛ لذا لجأ إلى المخادعة، وسمّى العقد ب"العقد الفكه" حتى يوهم أنطونيو بأن هذا الشرط من قبيل المداعبة، وليس الحقيقة، إذا كان الأمر كذلك في المسرحية، فإن هذه الرغبة الاستثنائية تتحول في الحكاية المصرية إلى مهنة لليهودي، يعلن عنها بوضوح، بل يعبر عن رغبته في التهام لحم هذا الشاب صراحة بقوله: *"... آنا عايز رطل اللحم وبس... أشويه واكله..."*. وقد بلغ ضعف المجتمع العربي، أنه لم يبد اعتراضا على ذلك، بل سمح له بممارسة ذلك الفعل اللاإنساني الغريب، ولعل السبب في هذا هو تغلغل النفوذ اليهودي في المجتمعات العربية، ونظرًا إلى أن هذه الحكاية لا تزال تُروى في المجتمع المصري – وربما في مجتمعات عربية أخرى –، فإن هذا سمح للراوي العربي أن يضمّن حكايته بعض المضامين الاجتماعية والسياسية الجديدة، والتي يأتي على رأسها صورة اليهودي المغتصب للمال والعرض. ولقد جاء امتهان اليهود في المجتمع العربي لهذه المهنة، رغم سماحة العرب والمسلمين معهم، على النحو الذي منحهم وجودًا وحقا اجتماعيا لم يحظوا به في معظم المجتمعات الأخرى التي وجدوا فيها، حتى نهايات القرن التاسع عشر. فعندما يمر البطل أحمد الجواهرجي بأزمة مالية – وبعد انسداد كل الطرق أمامه، وإنفاقه كل ثروته على مهر زوجته – فإنه لا يجد مفرا من اللجوء إليه؛ للاستدانة منه، فذهب الشاب أحمد الجواهرجي إلى اليهودي، وقال له *" ... يا خواجه فلان ... آنا عايز مية جنيه. قَلُه: انت قريت اليافطه؟ قَلُه: قريتها. قَلُه: اختم ع العقد ده، أو ع الشرط ده. فالولد مَضَى*[1]*، وخد المية جنيه فـ جيبه"* ولما عمل في تجارة الملح، بمساعدة زوجته، التي أعدت له مركبا فإنه تأخر

---

(١) فالولد مضى: وقَّع على هذا العقد.

في سداد الدين عليه، الأمر الذي دفع اليهودي إلى الشكاية في الشاب، للمطالبة باقتطاع رطل اللحم من جسده. وكما هو الحال في المسرحية، فإن اليهودي لم يستجب لطلب الجواهرجي بالعفو عنه، أو مضاعفة المبلغ المُقترَض، نظير عدم اقتطاع اللحم من جسده، لكن اليهودي أصر على تطبيق نص العقد، الذي ينص على اقتطاع رطل لحم من جسد الجواهرجي. كذلك لم يستجب لعرض قاضي المحكمة، عندما عرض عليه قائلا: "*! انت قَلت آه يا خواجه؟ ماتاخدها ميتين؟ قُله: لأ. طب خد تلتمية؟ قُله: لأ. طب خد خمسميه؟ قُله: لأ. قُله: طيب خلينا ... طب استراحه يا محكمه ...*". وفي النهاية تتمكن زوجة الشاب الجواهرجي من تخليصه من اليهودي، بالطريقة نفسها التي تم تخليص أنطونيو بها في المسرحية، التي تتمثل في تزيي الزوجة المحبة لزوجها في زي القاضي، الذي سيحكم في القضية. فوافقت على اقتطاع رطل اللحم المنصوص عليه، شريطة ألا يزيد الرطل جرامًا ولا ينقص جرامًا، وأن زيادة أو نقصانا في الاقتطاع سيعني اقتطاع نفس الكمية من جسد اليهودي بالمثل "*... طب يا خواجه حكمت المحكمه انك انت تاخد رطل اللحم لا يزيد جرام، ولا ينقص جرام ... إن نقص جرام يتقطع مـــن جسمك انـــت رطل لحم، وان زاد جرام يتقطع مـــن جسمك. رطل لحم ...*". عندئذ خاف اليهودي، وتراجع عن أمر اقتطاع اللحم من جسد الشاب العربي المسلم. فعاقبته المحكمة بدفع غرامة عشرة آلاف جنيه، جزاء تعطيله المحكمة، وما ارتكبه في حق الشاب. وقد صور الراوي ذلك المشهد الختامي – الذي يعد بمثابة انتصار معنوي للعقلية العربية في مواجهة القوة الاقتصادية اليهودية – بقوله: "*... الخواجه عند كده آه ... كش. قال: لا. لا لا. قالت: طب تحكم المحكمه بخمس تلاف غرامه... لأنك انت بهدلت راجل، ووقّفت المحكمه علي حسابك اليوم ... قال: ماشي. فغرم الخواجه خمس تلاف كمان ... وابن الجواهرجي طلع براءه ...*". وهي نهاية تشبه – إلى حد كبير – نهاية المسرحية، فالنصان يؤكدان على جبن اليهودي وخوفه، كما ينتهيان بخسارة اليهودي لثروته أو لبعض من ثروته.

ويتمثل الاختلاف بينهما فقط في قيمة الخسارة التي خسرها اليهودي، فإذا كانت عشرة آلاف في الحكاية المصرية، فإنها شملت كل ثروة اليهودي في المسرحية، لولا سماحة أنطونيو، والدوق، اللذين سمحا لليهودي بالاستفادة من بعض ماله.

وإذا كانت الحكاية المصرية قد توقفت عند شخصية التاجر اليهودي فحسب، فإن المسرحية قد عرضت لعدد من الشخصيات اليهودية، هي شخصيات جسيكا ابنة شايلوك، وتوبال صديقه، ولونسلوت خادمه، وجوبو والد لونسلوت.

أما بالنسبة لشخصية **لونسلوت**: فهو شخصية يهودية مرحة، تعتمد على الضحك والغرابة، وهو خادم شايلوك، يكره شايلوك لبخله، ويسخر منه، ويرغب في ترك العمل لديه، كما يرغب في الالتحاق بالعمل عند باسانيو، رغم مسيحيته. ليس في داخله أي حقد أو ضغينة تجاه الآخر، فهو موضوعي في نظرته للآخرين؛ إذ يذكر سلبيات اليهودي، وإيجابيات المسيحي، بل نجده يسخر من شيلوك اليهودي وبخله وحقده، وكثيرًا ما ينعته بالعبراني، تلك الكلمة التي تتحول في النص إلى ما يشبه السُبَّة لشيلوك. ومحاولة من الكاتب في إبراز روح الإنصاف لليهودية بوصفها دينا، ورغبة منه في إبراز عدم تحامله على اليهودية، نجده يظهر لونسلوت في صورة مناقضة لشيلوك، فهو خادم مطيع وأمين، وبارٌ بوالده، يسعى إلى الخير، مرح في طباعه، فهو مهرج المسرحية الأول، ودوره في المسرحية يضفي طابعًا فكاهيًا، ولولاه لنحت المسرحية منحى آخر مختلفا. ويبدو الجانب الإنساني لديه في مساعدته جسيكا – ابنة شيلوك اليهودي – على الهروب من جحيم والدها مع حبيبها المسيحي، رغم يهودية لونسلوت ومسيحية لورنزو.

جوبو: والد لونسلوت، وهو يهودي أيضا، لم يتحامل على الآخر المسيحي، كما أنه لم ينصف اليهودي لمجرد يهوديته.

توبال: لقد كان شخصية ثانوية، وجاءت شخصيته على شاكلة شايلوك فيما يحمله من حقد وكره للآخر الديني. ولقد أراد المؤلف – من خلال شخصيته – أن

يعزز رأيه السيء في اليهود. ودوره في المسرحية لا يتجاوز كونه ناقلا للأخبار الجديدة لشيلوك، السعيد منها والسيء. فهو الذي أخبر شايلوك بنبأ خسارة سفينة من سفن أنطونيو، كما أنه حمل إليه نبأ هروب ابنته جسيكا مع لورنزو المسيحي، وإنفاقهما لأموال أبيها وذهبه.

جسيكا: هي ابنة شيلوك اليهودي، وهي تختلف عنه اختلافًا كبيرًا في طبائعه وفي عاداته، فهي تمثل جيلا جديدًا من اليهود، يرغب في ترك اليهودية، رغبة في إعلان مسيحيتهم. فجيسكا تعلن مسيحيتها؛ اقتناعا منها بالمسيحية، ورغبة في الاقتران بلورنزو المسيحي. وهو ما يلتقي مع تلك الصورة – للجيل الجديد من اليهود – في قصة علي الزيبق المصري في ألف ليلة وليلة؛ حيث إن ابنة عذرة اليهودي تعلن إسلامها؛ رغبة في الاقتران بعلي الزيبق.

فجسيكا تختار أن تهرب مع حبيبها المسيحي (لورنزو)، بعد تركها اليهودية، عن البقاء في بيت أبيها، الذي تصفه بالجحيم، وهو ما عبَّرت عنه عندما صارحها لونسلوت برغبته في ترك بيت أبيها إلى بيت باسانيو للخدمة فيه، فقالت مخاطبة لونسلوت "أنا متكدرة لتركك أبي، وستكون لك وحشة في هذا البيت الجهنمي". فهي لم تتحمل قسوة أبيها وحقده الدفين تجاه الآخرين؛ لذا فقد هربت متحلية بالجواهر والذهب، وحاملة معها صندوقا مليئا بالذهب، ومتنكرة في زي خادم صغير. ولقد رأى فيها حبيبها لورنزو أنها ستكون سببا في دخول أبيها الجنة، إذا دخلها، وأنها إن دخلت النار فسيكون بسبب أبيها، ذلك البخيل الكافر، على حسب قوله:

إن كانت الجنة قد كتبت لوالدها فمن أجل ابنته

أما إذا اعترض الشقاء سبيلها

فلأنها بنت البخيل الكافر (ص ٩٢)

ويراها جراتيانو – صديق أنطونيو وباسانيو – أنها ليست لها من اليهود شيء، فهي مخلصة، وحكيمة، وجميلة.

تلك مثال الرقة.. ليست تلك يهودية

أعشقها من أعماق النفس!

فهي حكيمة.. إن كنت أجيد الحكم

وهي حكيمة إن كان بعيني نظر..

وهي الإخلاص بعينه.. تثبته فيما تفعل..

ولهذا تنزل من روحي

بالحكمة والإخلاص وبالفتنة (ص٩٩)

ومع ذلك فإنها لم ترغب في الفرار إلا لأن أباها شخص لا يطاق، فلقد كانت حزينة ساعة الفرار، فشدة حرصه وبخله، ومكره وحقده لأهل قريته، وتعامله بالربا، ثم التفافه حول ابنته ومنعها من الحديث مع أي شخص؛ لظنه أنها مطمع لكل شخص لثرائه، ولعلمها أنه سيحول بينها وبين حبيبها. لكل هذا آثرت الهروب مع الحبيب عن البقاء معه، رغم ما اعتراها من حالة حزن؛ لفقدها أبيها إلى الأبد؛ لذا نجدها تقول لنفسها:

وداعا يا أبي..

إذا لم تعبس الأقدار سوف أفقدك

وسوف تفقد ابنتك (ص٩٦)

ولا يتمثل التشابه بين المسرحية والحكاية المصرية في نظرتهما إلى اليهودي، وإنما كذلك في اقتناع الزوج في كلا العملين بخيانة زوجته، رغم ثقة كل منهما فيها، ورغم اختلاف الطريقة التي اقتنع بها الزوج بخيانة زوجته بعد تردد طويل من كل منهما. فباسانيو في المسرحية، اقتنع عن طريق خدعة زوجته، التي فعلتها لإنقاذ أنطونيو- صديق زوجها – متزية بزي القاضي، فلما أقنعته بأن يعطيها خاتم زواجهما هدية، دون أن يدري أنه أعطاه لزوجته، فإنها ادَّعت – بعد عودتهما إلى البيت – أنها تحصلت على الخاتم من عشيق لها، ولامته على تفريطه فيه؛ إذ إنها تهب نفسها لمن يمتلك الخاتم. غير أن بورشيا في نهاية الأمر تفصح عن حقيقة شخصيتها، وتخبره أنها القاضي الذي دافع عن أنطونيو، وأنه لم يمسسها بشر سواه. أما في الحكاية المصرية، فلقد تمت الخدعة عن طريق ذلك الشخص الحشَّاش، الذي تراهن معه الزوج أحمد الجواهرجي، عندما أكد له الزوج أن زوجته أصيلة، وتُؤتمن على عرضها وشرفها. عندئذ أكد له ذلك الشخص الحشاش أنه لا توجد امرأة شريفة عفيفة، فتراهنا معا على أن الذي يخسر الرهان سوف يخسر كل ثروته. فلما عجز ذلك الحشاش عن الوصول إلى تلك الزوجة، فإنه اخترع تلك حكاية أكد فيها أنه قابل زوجته، ومارس معها الرذيلة؛ الأمر الذي أدى إلى خسارة الزوج لثروته. وبعد فترة من الوقت، تمكنت الزوجة من تبرئة نفسها، وإظهار الحقيقة أمام الزوج والحشاش والجميع.

إن هذه المتشابهات تؤكد أن الحكاية المصرية والمسرحية يعودان إلى مصدر واحد، أُستقيا منه؛ وهو ما سأعود إلى مناقشته بالتفصيل بعد قليل.

الاختلافات بين المسرحية والحكاية:

على الرغم من كثرة المتشابهات بين المسرحية والحكاية، فإن ثمة تغييرات تتضح من خلال المقارنة بينهما. فبالإضافة إلى بعض الفروق التي اتضحت في

مقارنة صورة اليهودي بين النصين، فإن هناك تغييرات أصابت بنية النصين. بعض هذه الفروق تتعلق بالاختلاف بين طبيعة النص الشفاهي والنص المكتوب (الفردي)، مثل اختزال الشخصيات في النص الشفاهي، في مقابل وفرتها وكثرتها في النص المكتوب. ففي الوقت الذي نجد فيه عدد شخصيات المسرحية يتجاوز العشرين شخصية، بالإضافة إلى شخصيات الضباط ودوق المحكمة، وكلها شخصيات لها حضورها الفاعل في المسرحية، فإننا نجد عدد شخصيات الحكاية المصرية محدود للغاية؛ إذ لا يتجاوز السبع شخصيات، من بينها شخصيات عابرة، وجودها لم يستغرق بضع جمل من الحكاية، كما أن دور بعضها لا يتجاوز سوى ربط الأحداث. فإذا كانت الشخصيات الرئيسية في الحكاية المصرية قد تمثلت في شخصيات ثلاث، هي: الشاب أحمد الجواهرجي والزوجة واليهودي/ الخواجة، فإن الأمر قد تجاوز ذلك في المسرحية، فهناك شخصيات متعددة، تم استحداثها فيها، ولعل مرد ذلك يرجع إلى طبيعة القضية التي أرادت كل منهما إلقاء الضوء عليها. فهناك قضيتان أساسيتان في الحكاية المصرية، أولاهما هي: كيفية البحث عن الزوجة المناسبة، أو "بنت الأصول" على حسب قول الراوي الشعبي، كل هذا في ضوء طاعة الوالدين؛ لذا يختم الراوي الشعبي حكايته المصرية بالتأكيد على هذه القيمة الاجتماعية، بقوله قاصدا الزوجة: "... *تفكير م الناس الأصلا بقي اللي عندها آه ... مخ..... فغرم الخواجه خمس تلاف كمان ... وابن الجواهرجي طلع براءه ... فـ جُرَّة الآه*[1]*... التعليم والأصـــل ... بتـــاع الناس م الوصية بتـــاع الوالدين*". أما القضية الثانية فقد تمثلت في تصوير اليهودي في صورة التاجر المرابي والمغتصب والملتهم للحوم العرب والمسلمين. أما المسرحية فقد تمت إعادة صياغتها في جو مفعم بالرومانسية؛ لذا فقد حافظت على هاتين القضيتين، ولكنها أضافت قضيتين أخريين، أولاهما: قضية وفاء الصديق أنطونيو لصديقه باسانيو، والثانية هي قضية الحب التي ربطت بين لورنزو المسيحي وجسيكا بنت شايلوك

(١) فـ جُرَّه الآه: بسبب هذا.

اليهودي. وتتبدى هذه الرومانسية في تعلق كل من الحبيبين (باسانيو وبورشيا) ببعضهما البعض قبل دخول باسانيو في منافسة مع الشباب المتقدم لخطبة بورشيا. وقد جاء هذا التعلق بينهما، رغم عدم علم كل منهما بمحبة الآخر له. وتتعمق هذه الروح الرومانسية في قصة الحب الثانية في المسرحية، التي ربطت جسيكا ابنة شايلوك اليهودي بلورنزو المسيحي، بكل ما اشتملت عليه من حب وتضحيات من كلا الطرفين. ونعود إلى القضيتين، اللتين أضافتهما مسرحية "تاجر البندقية"، حيث تتمثل القضية الأولى في أن المسرحية جعلت الوفاء فيها من صديق إلى صديقه، وليس من زوج إلى زوجه، وهو ما يمثل اختلافًا كبيرًا بين المسرحية والحكاية، وهو اختلاف نابع عن طبيعة الثقافة التي تنتمي إليها كل منهما. فالتضحية قدمها أنطونيو في سبيل صديق عمره باسانيو؛ لذا ارتضى أنطونيو أن يوافق على اقتطاع رطل لحم من جسمه – حال تأخره عن سداد الدين – عن أن يعجز باسانيو عن سداد مهر الفتاة التي اختارها قلبه. ورغم وجود مثل هذا النوع من الوفاء والتضحية في الثقافة العربية والإسلامية، فإن الحكاية المصرية ارتضت نوعا آخر من الوفاء والتضحية، يتمثل في تضحية الزوج في سبيل زوجته. فالزوجة – التي ظل الشاب يبحث عنها، انطلاقا من نُصح الأب له – لا يمكن أن يضحي في سبيلها سوى زوجها؛ حتى يكون وفاؤها له فقط، لا أن يتحول هذا الوفاء إلى صاحب التضحية الأصلي، وهو ما حدث في المسرحية. فلقد ألزمت بورشيا نفسها – بعد معرفتها لخبر تضحية أنطونيو برطل لحم من جسمه في سبيل صديقة/ زوجها – بضرورة تخليص أنطونيو من هذا المأزق، الذي ترى في نفسها سببًا لحدوثه. أي أن الوفاء تحول من وفاء الصديق لصديقه، إلى وفاء من زوجة إلى صديق زوجها، فأصبح دور الزوج سلبيا، وهو ما لا ترتضيه العقلية العربية. لذا جاءت الحكاية المصرية متماشية مع طبيعة هذه العقلية، فالزوج هو الذي وافق على شرط اقتطاع اليهودي لرطل لحم من جسمه، في سبيل أن يتحصل على مهر زوجته؛ ومن ثم حُق لهذه الزوجة أن تقدر هذا الموقف النبيل لزوجها، فقررت الدفاع عنه، وتبرئته من قبضة اليهودي، وهو ما تم بالفعل على أيديها.

أما بالنسبة إلى قضية الحب التي ربطت بين جسيكا - ابنة اليهودي - ولورنزو المسيحي، فهي جزء من مسألة أكبر، تتمثل في محاولة وليام شكسبير تقديم صورة عن الجيل الجديد من اليهود. ففي الوقت الذي قدّم فيه - بل ألقى الضوء فيه على - نموذج شايلوك اللاإنساني، والمتعصب دينيًا والمتطرف اجتماعيا، وكذلك صديقه اليهودي - أيضا - طوبال، الذي يلتقي معه في كثير من هذه الصفات اللاإنسانية، فإنه قد أراد - في الوقت نفسه - أن يضفي على مسرحيته سمة الموضوعية والحيادية، وبأنه لا يأخذ موقفا عدوانيا أو عنصريا من اليهود؛ لذا سعى إلى أن يقدم الوجه الآخر لليهود، وهو ما تمثل في جسيكا، التي تمثل نمطا مغايرًا - رغم يهوديتها - لليهود، في سلوكياتها وطبائعها الإنسانية. والأمر نفسه حدث مع شخصيات يهودية أخرى، مثل لونسلوت، ووالده الهرم جوبو، اللذين يسخطان على حياة شايلوك؛ لبخله الشديد، وتأثرهما من هذا الشح، الأمر الذي دفعهما إلى تفضيل الارتماء في أحضان المسيحيين، عن أن يستمروا في خدمة ابن ملتهم اليهودي. أي أن المؤلف - إلى جانب تقديمه نموذجًا سيئًا ولا إنسانيًا لليهود، فإنه - قدَّم نماذج مغايرة لليهودية، فقدم نموذج اليهودي الرومانسي والمحب والمخلص لحبيبه، على غرار ما قدمته جسيكا، كما قدَّم نموذج اليهودي الساخر والكوميدي، على نحو ما مثلته شخصية لونسلوت الخادم، كما قدم نموذج اليهودي الحكيم على نحو ما تبدى في شخصية الأب جوبو.

وتلتقي مسألة تقديم نموذج مغاير لليهود عن نموذج شايلوك الشهير مع عدد من الحكايات الشعبية العربية، جسدت بعضها بعض قصص ألف ليلة وليلة، كما جسدت بعضًا منها - أيضًا - بعض الحكايات الشعبية العربية الشفاهية. ومن الحكايات الشعبية العربية التي تلتقي مع صورة جسيكا في مسرحية "تاجر البندقية"، **حكاية "أحمد الدنف وحسن شومان مع الدليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة".** ففي هذه الحكاية نجد المقابل العربي لشخصية جسيكا ابنة شايلوك اليهودي، والتي تتمثل في شخصية "قمر ابنة عذرة اليهودي الساحر". فهي فتاة تمتلك بدلة مذهبة،

ولها بعض الحوائج مثل التاج والحياصة والناموسة الذهبية. وقعت في غرام الشاطر علي المصري، بمجرد أن رأته، بعدما أعاده أبوها الساحر اليهودي من صفة الدب إلى هيئته البشرية، فوقع حبه في قلبها منذ هذه الوهلة، وراحت تستعطف أباها؛ لكي يعفو عنه، واستجاب أبوها لرجائها، شريطة أن يتراجع الشاطر علي عن هدفه الذي جاء من أجله، أعني الحصول على بدلتها وحوائجها الذهبية. غير أن إصرار علي الزيبق قوبل برفض من أبيها، وزيادة حب وولع من قبلها للشاطر علي، فقام اليهودي بتحويل عليا إلى كلب. وقد رغبت في مساعدة الشاطر علي، فراحت تتابع أخباره، حتى عرفت أنه يقيم في منزل السقطي، فذهبت إليه هناك، وعرضت عليهم المساعدة. غير أن الحكاية قد أخذت بعدا دينيا؛ فلقد أساء الشاطر علي – في بداية الأمر – استقبالها، وسبها، قائلا لها:"ما جاء بك هنا يا بنت الكلب/ ص٢٤٤"، وكذلك أساءت استقبالها ابنة السقطي. غير أن الشاطر علي وابنة السقطي – اللذين أساءا استقبالها ليهوديتها – تغير بهما الحال بمجرد أنْ أخبرتهما بإسلامها، ونطقت الشهادتين، وإخبارهما أنها قتلت أباها لأنه أصرَّ على يهوديته، ومانع في دخول الإسلام. وقصة هدايتها إلى الإسلام وقتلها أباها، يحكيها راوي الليالي بقوله: "وسبب قتلها أباها أنه لما سحر عليا كلبا رأت في المنام قائلا يقول لها اسلمي فأسلمت فلما انتبهت عرضت على أبيها الإسلام فأبى الإسلام بنجته وقتلته فأخذ علي الأمتعة.../ ص٢٤٤". عندئذ أشاحت قمر الغطاء عن رأس أبيها، التي أهدتها مع البدلة وحوائجها الذهبية إلى الشاطر علي؛ ليوفي بوعده مع دليلة المحتالة وأخيها زريق السمّاك، ثم وجهت حديثها إلى علي الزيبق، قائلة: "أنا جئت أمهر نفسي لك بالبدلة والقصبة والسلاسل ودماغ أبي عدوك وعدو الله ورمت دماغ أبيها قدامه وقالت هذه رأس أبي عدوك وعدو الله.../ ص٢٤٤". وتنتهي الحكاية بزواج الشاطر علي منها مع الفتيات الثلاث الأخريات (ابنة السقطي – الجارية – زينب ابنة دليلة النصابة).

إن حكاية "**أحمد الدنف وحسن شومان مع الدليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة**"، بها شخصيات يهودية أخرى، غير أن شخصية "قمر ابنة عذرة اليهودي الساحر"، تختلف عن هذه الشخصيات اليهودية الأخرى، بما فيها شخصية أبيها - الذي يشترك في كثير من صفات شايلوك اليهودي - الأمر الذي دفع ابنته "قمر" إلى إعلان إسلامها وطلب الزواج من الشاطر علي الزيبق، والهروب معه، وقتلها أباها. وهو الأمر نفسه الذي حدث مع جسيكا ابنة شايلوك، التي أحبت لورنزو المسيحي، فهربت معه، وتزوجت منه، وأعلنت مسيحيتها.

فابنة اليهودي تحمل صفات الأب في قصة **حكاية "أحمد الدنف وحسن شومان مع الدليلة المحتالة وبنتها زينب النصابة"**، غير أنها بمجرد تخلصها من أسر نسبتها إلى أبيها، فإن ذلك يعني أنها أصبحت أو كشفت عن وجه طيب وإنساني في شخصيتها، الأمر الذي ترتب عليه بحث عن نسب واقتران جديد لها، سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي، وهو ما تمثل في اقترانها (اجتماعيًا) وزواجها من علي الزيبق، كما تمثل (دينيًا) في إشهار إسلامها؛ لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل اليهودية في مصر، حيث الانحسار والانهيار على يد الأجيال الجديدة، وكأن لسان حال الراوي الشعبي المصري يقول بعد إسلام قمر ابنة اليهودي: " إن انهيار اليهودية جاء من الداخل حيث لم يكن للمصري - أي علي الزيبق - دور مباشر في تحطيمه سوى إصراره على المواجهة وتحفيز قمر، التي وقعت في هواه للخلاص من أبيها، لذلك فهي تمهر علي المصري وتلح على علي أن يتزوجها، وتشفع الخليفة عنده "كي يقبل زواجها" وتجعل الخليفة - الممثل الرسمي للدين - وكيلها"[1]. فالملاحظ أن الصورة السائدة عن اليهودي في الليالي سيئة وسلبية، وتسيطر عليها رغبة عارمة من الراوي الشعبي - ومن ثم من الجمهور العربي -

---

(١) عماد علي عبد اللطيف: الطريق إلى المعرفة، قراءة جديدة في حكاية"علي الزيبق المصري"، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان ٦٤، ٦٥، يوليو - مارس ٢٠٠٢م، ٢٠٠٣م، ص ٥٠.

في القضاء على اليهود واليهودية، ويتبدى ذلك في أن معظم الشخصيات اليهودية التي نلتقيها في الليالي تنتهي بالإبعاد عن المجتمع العربي، سواء كان إبعادًا بفعل الموت، أو بفعل الحبس والسجن أو بتغيير الديانة اليهودية إلى الإسلام. وهي نفسها النظرة التي نجدها بوضوح في مسرحية تاجر البندقية في نموذجي الأب شايلوك اليهودي، الذي فُرض عليه تغيير ديانته اليهودية إلى المسيحية، إن أراد الإبقاء على ماله وثروته، أو كما حدث مع جسيكا، التي اختارت – بمحض إرادتها – المسيحية دينًا لها، وترك أبيها وديانته اليهودية؛ لعدم قبولها تطرفه ومغالاته اليهودية.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تأثر شكسبير بقصة ألف ليلة وليلة في بناء شخصية جسيكا؛ خاصة أن طبيعة بنية المسرحية وحبكتها يلتقي مع القصة العربية؟ أقول هذا رغم ظهور أول ترجمة أوربية لليالي في بدايات القرن الثامن عشر، وتحديدًا عام ١٧٠٤م على يد جالاند. صحيح أن تاريخ كتابة مسرحية "تاجر البندقية" يعود إلى ما قبل تلك الفترة، ولكن هذا لا ينفي أن هناك معرفة ما بالليالي في أوربا واستلهاما لبعض من قصصها قد بدأ يحدث منذ القرن الثالث عشر. إذا هل يمكن لنا أن نبحث عن ثمة عناصر مؤثرة في نقل الثقافة العربية قبل ذلك التاريخ؛ لمعرفة مدى تأثير الثقافة العربية في الثقافة الأوربية؟

إن بداية الاحتكاك بين الأدبين العربي والغربي على نحو دقيق تعد بمثابة مشكلة كبرى في تاريخ البحث، وأكثر النقاط موضعا للجدل. غير أن من الباحثين من يرد بداية التأثر بالأدب الشرقي إلى نهاية القرن الحادي عشر في جنوبي فرنسا، عندما ظهر ضرب جديد من الشعر ذو صلة بنوع شعري قريب منه في إقليم بروفانس بأسبانيا، الذي كان منقولا – بالطبع – عن نماذج عربية. يمثل هذا الرأي أحد بؤرتين يفسران طبيعة التأثير الشرقي في أوربا؛ حيث كانت أسبانيا العربية معبرا لانتقال الثقافة العربية إلى أوربا، فانتقل إليها عدد من الفنون الشعبية العربية، مثل الموشحات والأزجال والأغاني الشعبية، التي عرفتها بدورها أوربا. وتتمثل البؤرة الثانية التي انتقل منها التأثير العربي إلى أوربا في المملكة

النورمندية في صقلية؛ حيث إن الشعر العربي – وحسب قول ه. أ. ر. جب – كان يُمارس في بلاط الملوك النورمانديين. وكان للشعر الشعبي العربي الحظ الأوفر في روايته في صقلية، وهو الأمر الذي يكشف – على حد قول أماري – عن صلات وثيقة بينه وبين الشعر الإيطالي القديم الذي نشأ بعدئذ في صقلية، بل إن أوزان الشعر القديم في إيطاليا هي بعينها أوزان الشعر الشعبي القديم في الأندلس(١).

أما بالنسبة إلى تأثير النثر العربي في أوربا، فإن "ما تدين به أوربا في العصور الوسطى للنثر العربي لا يكاد يكون موضعا لجدل، وذلك على رغم أن البحث في تفاصيل هذا الدين لم نفرغ منه بعد، ذلك بأن الإقبال على المؤلفات العربية من فلسفية وعلمية قد تبعه اهتمام بأنواع أخرى من الآداب العربية، وخاصة ما كان منها موضوعه الحكايات ذات المغزى الأخلاقي، أو ما كان موضوعه القصص والخرافات، وهي التي يتألف منها الجزء الأكبر من الآداب العربية الراقية"(٢). ولقد انتهى الأستاذ جب – بنوع من التفصيل – إلى أن عناصر من القصص العربي والشرقي قد انتقلت بالرواية الشفاهية إلى معظم البقاع في أوربا، وظل الناس ينظرون إلى الشرق بوصفه مصدر تلك القصص الشعبية المزدهرة في أوربا طوال القرن الثالث عشر. كما يرى أن الأدب الشعبي الأوربي لا يزال في أقسام كبيرة منه، يحوي حوادث وأساطير من القصص الشرقي. ويتوقف جب عند عدد من القصص العربية التي عرفت طريقها إلى أوربا، بعد أن تمت إعادة صياغتها على يد كتّاب أوربيين كبار، من بينهم بوكاشيو الذي اشتق قصصه الشرقية، في مجموعته قصص الديكاميرون، من تلك المصادر العربية

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه القضية، يمكن الرجوع إلى الفصل الذي كتبه جب بعنوان "الأدب" والذي ترجمه عبد اللطيف حمزة، والمنشور في كتاب "تراث الإسلام"، تقديم قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، العدد (١١٠٧)، ٢٠٠٧، ص ١٤٩– ص ٢٢١.

(٢) ه. أ. ر. جب: الأدب، ترجمة عبداللطيف محمود حمزة، من كتاب "تراث الإسلام، مجموعة مؤلفين، تقديم: قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، المركز القومي للترجمة، العدد ١١٠٧، ٢٠٠٧، ص ١٧٦.

التي انتقلت إليه عن طريق المشافهة، والأمر نفسه حدث مع تشوسر في حكايته "الفرس الغلام"، التي لا تتعدى كونها إحدى قصص ألف ليلة وليلة، والتي انتقلت – غالبا – إلى أوربا على أيدي التجار الإيطاليين، من إقليم البحر الأسود. كذلك فلقد عرفت بعض القصص الشعبية العربية طريق الترجمة إلى أوربا إبان القرن الرابع عشر؛ لتتسلى بها طبقة حديثة من القراء آثرت هذا النوع من القصص الشرقي. ولم يكن سبب هذا الإيثار "راجعا إلى ما امتازت به تلك الآداب العربية من تنوع في الموضوعات، أو تنميق في العرض الأدبي فحسب، وإنما كان ذلك فوق كل شيء راجعا إلى أن تلك القصص العربية كانت أخصب خيالا وأنبل غرضا. وهنا استطاعت العصور الإسلامية الوسطى، والعصور المسيحية الوسطى أن تتقابل في ميدان واحد وأن تتماثل في الذوق الأدبي والأساليب الأدبية"(١). والخلاصة التي ينتهي إليها جب أن القصص العربي تمكن من لعب دور مهم في الآداب الأوربية إبان القرون الوسطى والقرون التي تلتها، متنقلة من مكان إلى مكان وموحية أو ممتزجة بكثير من مبتكرات هذه العصور. ولعل هجرة الأدب الشعبي العربي عن طريق صقلية، ومن ثم عن طريق إيطاليا يعيدنا إلى الرأي الذي يقول بالأصل الشعبي الإيطالي لمسرحية "تاجر البندقية"، وهنا يمكننا طرح فكرة إمكانية وجود أصل شعبي عربي كامل للمسرحية انتقل عبر إيطاليا إلى إنجلترا، وبالتالي استفاد منه شكسبير في كتابة مسرحيته. بعض من هذا الأثر العربي توقفنا عنده على نحو مباشر في قصة "أحمد الدنف" التي عرضنا لها، والأسبق تاريخيا على نص شكسبير، والبعض الآخر ربما يتم كشفه على نحو أعمق بمقارنة الروايات الشعبية العربية للمسرحية/ القصة بنظيراتها الأوربية إن توافرت تحت أيدينا.

** ** ** **

---

(١) تراث الإسلام، المرجع السابق، ص ١٨١، ١٨٢.

مصادر مسرحية "تاجر البندقية":

ذكرت منذ قليل أنه يمكننا القول باطمئنان بالأصل الشعبي لمسرحية "تاجر البندقية"، وأن دور شكسبير فيها ينحصر في مجرد إعادة صياغة ذلك النص الشعبي، الذي سبقه إلى استلهامه أو إعادة صياغته كتاب مسرح وقصص كثيرون، فهي إبداع شعبي عالمي ملك للإنسانية جمعاء. وقد يقول قائل لماذا لم يكن العكس هو الذي حدث، أي أن المسرحية قد كتبت أولا، ثم تحولت إلى نص شعبي بعدئذ؟

فبالرغم من قول كثير من النقاد والدارسين بشعبية ذلك الأصل، الذي استقى منه شكسبير مسرحيته (والمسألة هنا تجاوزت حد الاستقاء أو الاستلهام إلى انحصار دور المؤلف في مجرد إعادة الصياغة للنص الشعبي)، فإنهم اختلفوا حول ذلك الأصل، على نحو ما اختلفوا حول تاريخ كتابتها. أغلب الظن – واستنادا إلى عدد من القرائن والدلائل التي يستند إليها الدارسون – أن المسرحية كتبت ما بين عامي ١٥٩٤ و ١٥٩٨م فهناك رأي يذهب إلى أنه من غير المحتمل أن تكون المسرحية قد كتبت فيما قبل عام ١٥٩٦م؛ إذ إن هناك إشارة (في المسرحية، في المشهد الأول من الفصل الأول ص ٢٧ –٢٩) إلى شخصية "أندرو الثري"، الذي غالبا ما يشير إلى تلك السفينة الإسبانية "سانت أندرو" التي استولت عليها حملة كاديز (الإنجليزية)، في صيف هذا العام. هذا بالإضافة إلى وجود دلائل داخلية (من داخل النص نفسه) أو أسلوبية ومفرداتية، تشير إلى وجود روابط بين وزن المسرحية ومسرحيات"هنري الرابع"، التي – غالبا – كتبت أثناء الفترة نفسها (حوالي عامي ١٥٩٦م– ١٥٩٧م)[1]. ويقترب من هذا ذلك الرأي الذي يحدد عام ١٥٩٧م تاريخا لكتابة هذه المسرحية ما يذهب إليه كل من بيتر كيونيل وهاميش جونسون؛ حيث ينتهيان إلى أن مسرحية "تاجر البندقية" كتبت عام ١٥٩٧؛ إذ تم

---

(1) The Oxford Compapnion to Shakespeare. (2005). Edited by Michael Dopson & Stanly Wells. Oxford University Press. P. 288.

استيحاؤها – إلى حد كبير – من الأحداث الراديكالية والسياسية المعاصرة للكاتب. ففي بواكير صيف عام ١٥٩٤م، كان قد أُتهم، طبيب الملكة، وهو يهودي تعلم البرتغالية، بتآمره مع الحكومة الأسبانية، على أن يقوم بقتل الملكة، بدس السم لها غير أنه تم إنقاذ الملكة، وتم إيقاع العقوبة عليه(١).

من الآراء، التي تقول بالأصل الشعبي للمسرحية، من حاول أن يقوم بتشريح المسرحية إلى عدد من الموتيفات الشعبية المتواترة في الموروث الشعبي العالمي. فلقد انتهى أحد الباحثين عن ذلك الأصل – من خلال العنوان الفرعي لمخطوطة المسرحية – إلى القول باستفادة المؤلف من موتيفين شعبيين، من أكثر الموتيفات الشعبية تكرارًا في الحكايات الشعبية، هما: قصة اقتطاع رطل لحم، وقصة الصناديق الثلاثة. فقصة "اقتطاع رطل لحم"، تعد من أكثر العناصر تميزًا وبروزا في المجموعة القصصية "بيكوروني" للكاتب الإيطالي جيوفاني الفلورنسي، وهي قصة معروفة ب"جيانيتو البندقية وسيدة بلمونت". وهي قصة تشبه – إلى حد كبير – مع المسرحية، ففيها يقوم التاجر بالاقتراض من اليهودي؛ كي يغطي تكاليف زواجه من سيدة بلمونت، فهو الوحيد الذي سيتمكن من الزواج منها، ودفع مهرها. كما أفاد شكسبير من مصادر شعبية أخرى، أو روايات مؤلفة ذات طابع شعبي، تناولت موتيف اقتطاع رطل من اللحم من جسد أحد الأشخاص، منها: رواية "الخطيب" لكاتبها الإيطالي ألكسندر سليفان، التي ترجمت إلى الإنجليزية عام ١٥٩٦م، وإلى قصص "الديكاميرون" لبوكاشيو، وقصة "اعترافات عاشق" للشاعر القديم "جاور". ولقد قام شكسبير – بعد اطلاعه – على هذا الموروث القصصي بإحداث بعض التغييرات الطفيفة، بإحلال شخصيات مكان شخصيات، أو استبدال أحداث بأخرى(٢)، ولكن مع المحافظة على الخط العام للنص الشعبي.

---

(1) Quennell, Peter & Johnson, Hamish. (1996). Oxford University Press, Inc. P.194.

(٢) نقل بتصرف عن: The Oxford Compapnion to Shakespeare. Ibid. P. 288.

والخلاصة التي ينتهي إليها دارسو شكسبير، أن شكسبير لم يكن مؤلفا لهذه المسرحية، بقدر ما قام بإعادة صياغة هذه الحكاية، بل إنه لم يكن أول من ألف بين هذه الموتيفات المتعددة في قالب حكائي واحد، فلقد سبقه إلى ذلك كثيرون – على نحو ما أشرت – بل إن هناك قصة مفقودة، عنوانها "اليهودي" أقدم من مسرحية "تاجر البندقية" بفترة طويلة، ثم مسرحية "يهودي مالطة/ ١٥٨٩"م لكريستوفر مارلو، والذي يعد من أكثر من تأثر بهم شكسبير، ومن المؤكد اطلاع شكسبير على كل هذه الأعمال.

هذا بالإضافة إلى أن هناك من رأى أن مسألة تأثر شكسبير بالسابقين عليه، تجاوزت حد تأثره بمجموعة موتيفات شعبية إلى حد وجود أصل شعبي كامل للحكاية، نقله شكسبير في مسرحيته؛ ومن ثم لم يكن له من فضل فيها سوى إعادة الصياغة للحكاية الشعبية. غير أن هذه كانت مجرد إشارات عامة من بعض الدارسين – دون أن يحكمها دليل – للتأكيد على تعدد الأصل الشعبي لها، فمنهم قائل بأنه أصل شرقي (مصر أو الشام أو إحدى الإمبراطوريات الشرقية الأخرى، وأهمها: الفارسية والبيزنطية)(١). وهناك من يقول إن هذه المسرحية ذات أصل شعبي إيطالي؛ حيث "استعار شكسبير فكرة عقد شايلوك من قصة إيطالية "بيكورون"، نُشرت في خمسينيات القرن السادس عشر"(٢). والقول بهذا الرأي يقربنا من القول بإمكانية وجود أصل عربي لهذه المسرحية في الموروث الحكائي الشعبي العربي. فلا يغيب عن الباحثين ما للأدب العربي من تأثير على أوربا عبر أسبانيا من ناحية، وإيطاليا عبر المملكة النورمندية في صقلية من ناحية أخرى، على نحو ما سبقت الإشارة إليه.

---

(١) وليام شكسبير: تاجر البندقية، ترجمة وتقديم: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨، ص٣٩.

(2) Quennell, Peter & Johnson, Hamish. Ibid. P.194.

ورغم كل هذه المصادر التي أخذ عنها، وأفاد منها شكسبير، سواء كان مصدرا مدونًا، أو مصدرًا شعبيًا شفاهيًا، فإن هناك مصدرًا لم يلتفت إليه النقاد، يتمثل في طبيعة الصورة، التي رسمها الوجدان الشعبي العالمي من خلال لا شعوره الجمعي، عن اليهودي. وهي صورة تركت تأثيرها – بالطبع – في الراوي الشعبي، الذي كون نموذج شايلوك، فجعله نموذجًا عالميًا، لا يقتصر على بيئة دون أخرى، أو مجتمع دون آخر. فالمتأمل لصورة شايلوك في المسرحية أو الخواجة في الحكاية العربية، سينتهي إلى أنها مستقاة من الواقع الاجتماعي، سواء العربي أو الإنجليزي؛ حيث إن هناك أسطورة يهودية ذات أساس عقائدي في اليهودية، ترسخ لأن تكون عجينة فطائر عيد الفصح من دم غير اليهود. الأمر الذي دفع اليهود إلى قتلهم كل من يقع تحت أيديهم من غير اليهود، أثناء الاحتفال بعيد الفصح، ويتمكنون من قتله؛ وهو ما أدى إلى إثارة الخوف من اليهود. والقارئ للواقع الاجتماعي في إنجلترا على مدار تاريخه، سيتأكد أن هذه الأسطورة لم تكن مجرد أسطورة، بل كانت حقيقة مقدسة لدى اليهود، وهو الأمر الذي أدى إلى عدم قبول المجتمعات الإنسانية – على اختلافها – لليهود. ففي إبان القرن الثالث عشر على سبيل المثال شاع بين الإنجليز "أن اليهود اعتادوا إقامة طقوسهم الدينية عن طريق سفك دماء الصبية المسيحيين وانتزاع أعضاء الذكورة منهم؛ ولهذا كان الإنجليز أحيانا يبادرون بمصادرة أموالهم عقابا لهم على سفك دماء المسيحيين الصغار الأبرياء، ولعل أشهر إشاعة عن حادثة سفك دم في إنجلترا من هذا القبيل هي تلك التي قيل إنها وقعت للصبي المسيحي هيو أف لنكولن عام ١٢٥٥م؛ حيث تولى الملك هنري الثاني بنفسه الإشراف على تعذيب وشنق اليهودي المتهم بارتكاب هذه الجريمة النكراء، عندئذ لم يتورع ملك بريطانيا عن السماح بطريقة غير مباشرة للدهماء بنهب يهود يورك وحرقهم والاعتداء على حياتهم..."[(١)].

---

(١) د. رمسيس عوض: اليهود في الأدب الإنجليزي، من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ص٣.

ورغم كل ما حدث لهم في إنجلترا، فإنه كان أقل بكثير مما تعرض له اليهود في مجتمعات أوربية أخرى كثيرة، مثل روسيا، التي قررت طردهـم مـن أراضيها، أو ألمانيا التي قررت تخليص العالم من شرهم، بإحراقهم وإبادتهم.

ولقد أحدث اليهود في المجتمعات العربية حوادث قتل وترويع كثيرة، منها تلك الجريمة المثيرة، التي حدثت في يوم الأربعاء الثاني من ذي الحجة عام ١٢٥٥هـ / السادس من فبراير عام ١٨٤٠م، وقد حوله الفرنسي شارل لوران إلى كتاب بالفرنسية، مدعما بالوثائق. وقد دار هذا الكتاب حول حادثة قتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار، وقد ترجم الكتاب الدكتور يوسف نصر الله من الفرنسية إلى العربية لأول مرة في ١٦ سبتمبر ١٨٩٨م. حيث خطف اليهود - الذين كانوا يقيمون في الشام - قسيسا فرنسي الجنسية، اسمه الأب توما، وخادمه إبراهيم عمار، وذبحوهما في حارة اليهود. وقد أُرسل دمهما على كبير الحاخامات اليهود؛ ليعجنوا به فطائر عيد الفصح، الذي يوزعونه على الأسر اليهودية. وقد انتهى التحقيق إلى اتهام ستة عشر شخصا من اليهود في قتل الأب توما، وخادمه إبراهيم عمار، منهم ثمانية متهمون بقتل الأب توما، هم: داود هراري، وهارون هراري، وإسحاق هـراري، ويوسف هراري، ويوسف لينيوده، والحاخام موسى أبو العافية، والحاخام موسى بخور، وسليمان الحلاق، والباقون متهمون بقتل الخادم، وهم ماهر فارحي، ومراد فارحي، وهارون إسلامبولي، وإسحاق بتشوتو، وأصلان فارحي، ويعقوب أبو العافية، ويوسف مناحم فارحي، ومراد الفتال. وفي أثناء التحقيق توفي اثنان منهم، هما: يوسف هراري، ويوسف لينيوده، ونال منهم أربعة العفو؛ لأنهم أقروا بالحقيقة، هم: موسى أبو العافية، وأصلان فارحي، وسليمان الحلاق، ومراد الفتال. وقد حُكم بالإعدام على العشرة الباقين. ومما يدل على نفوذ اليهود - اقتصاديا وعدديا- في تلك الفترة، أن الاتحاد الإسرائيلي وكّل اثنين من أعظم محاميهم الفرنسيين هما: كراميو ومونتيفيوري، فقدما عريضة لصاحب الدولة محمد علي باشا، يلتمسان فيها إعادة النظر في الدعوى، وجاء قرار

محمد علي بإخلاء سبيل المتهمين، وأمر بإرجاع الهاربين إلى أوطانهم، بدلا من الخوض في إعادة النظر ثانية في القضية. وقد علل ذلك بقوله: "إني أحب اليهود؛ لأنه شعب مطيع يحب الشغل، وإني سأظهر لكم ما يفيد ميلي إليه بكل ممنونية". ثم سلمه المحاميان فرمان العفو، الذي يقول فيه إلى الوالي: "اعف عن المسجونين". فلما ذهبا إلى الوالي، أظهرا تأثرهما من كلمة "العفو" التي تثبت تهمة ارتكاب الجريمة، فأمر الوالي بحذف هذه الكلمة؛ إرضاء للوكيلين، واليهود، وتم الإخلاء عن المتهمين في الخامس من سبتمبر عام ١٨٤٠م[١]. ولم تكن هذه هي الجريمة الوحيدة التي ارتكبها اليهود في حق المسيحيين، أو جيرانهم من ذوي الديانات الأخرى، بل إن هناك الكثير من الجرائم التي ارتكبوها، والتي منها واقعة قتل هنري عبد النور، ابن السنوات الست، وأحد أولاد الطائفة النصرانية من الأرمن الكاثوليك في دمشق. فبعد مرور أحد عشر يوما على اختفائه، تم العثور عليه ميتا في بئر، ومغطى بلـوح خشب عليـه حجارة ضخمة، التي لا يقوى على حملها إلا مجموعة رجال ذوو قوة وبأس. واكتشف الوالي في النهاية أن اليهود هم الذين كانوا وراء ارتكاب هذه الجريمة، بعد محاولاتهم الكثيرة لإبعاد التهمة عنهم.

ولم يقتصر استحلال اليهود لدم غير اليهود على العصر الحديث أو القرون الوسطى فحسب، بل إن جذور الظاهرة ضاربة في تاريخ البشرية، ومنها ما وثقه اليهود أنفسهم. ففي سنة ٣٧ ميلادية، يذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس (- ٩٥) أن الملك اليوناني أنطيوخيوس، الملقب بأبيجان، وفاتح مدينة أورشليم، لما دخل المدينة المقدسة وجد في أحد محلات الهيكل رجلا يونانيا، كان اليهود قد ضبطوه وسجنوه بمكان، وكانوا يقدمون له أفضل المأكولات إلى أن يأتي اليوم المنتظر، فيخرجون به إلى الغابات؛ لذبحه وشرب دمه، وأكل لحمه، وحرق جسده، ثم

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الجريمة، يمكن مراجعتها في شارل لوران: جريمة في حارة اليهود، فطيرة اليهود: عجينة من دم المسيحيين، ترجمة د. يوسف نصر الله، إعداد وتقديم: عادل حمودة، دار الشباب، (د.ت).

يقومون بنثر رماده في الخلاء. وكان هذا السجن تحقيقا لشريعة عندهم، لا يجوز مخالفتها، تدور حول ضرورة أن يأخذ اليهود في كل عام يونانيا، فيطعمونه ثم يذبحونه. ولما جاء هذا العام استعطف هذا الرجل الملك بأن ينقذه فأنقذه[1].

إن كل هذه الجرائم – وغيرها – التي ارتكبها اليهود في حق المسيحيين وغيرهم، ساهم في اقتران اليهودي في المخيلة الشعبية في مختلف المجتمعات الإنسانية، بأنه آكل لحوم البشر، خاصة أن ذلك الاقتران وجد ما يعضده ويقوي حجته في العقيدة اليهودية. ففي التلمود، نجده يقول: "من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، ذمي؛ لأن من يسفك دم الكافر، الذمي، يقدم قربانا لله". ويقول موسى بن ميمون: "الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني، فإذا رأيته واقعا في نهر، أو مهددًا بخطر، فيحرم عليك أن تنقذه منه... ولذلك يلزم قتل الذمي... وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع". لذلك فإن تلك الجرائم المرتكبة من قبل اليهود في حق البشرية، وما رسخها من عقائد، بلا شك ساهم في ترسيخ هذه الصورة عن اليهودي، بوصفه مغتصبا لحقوق الآخرين، للحومهم ونسائهم وأطفالهم وأراضيهم؛ الأمر الذي أدى إلى عدم رغبة الناس في مختلف المجتمعات الإنسانية في الإقامة مع اليهود في مكان واحد، فانتهى الأمر بطردهم من أي مكان يحلون فيه، أو بالعزل الاجتماعي لهم. وفي مصر، كثيرا ما كانت الأجيال السابقة تسمع التحذيرات في طفولتها من أمهاتها أو جداتها من عدم الاقتراب من حارات اليهود؛ حتى لا يتم خطف الأطفال وذبحهم وعمل فطائر بدمهم. من هنا تم ربط اليهودي – في المخيلة الشعبية العربية– بأساطير تدل على التخويف وإثارة الرعب في نفوس الأطفال، والتي منها ربط العجائز – في مصر مثلا – اليهودي ب "السّماوي"، بوصفه مصدر تخويف للأطفال.

---

(١) نقلا بتصرف عن "جريمة في حارة اليهود"، المقدمة، ص١٠.

ويرد عالم النفس يونج ترسيخ هذه الصورة المطبوعة في النفس الإنسانية عـن اليهـود في المخيلة العالمية إلى استقرارها في اللاوعي الجماعي للإنسانية، أو النموذج الأصلي المتوارث ***Archetype***، فيقول: "إن هذا النموذج الأصل هو السبب في وجود الفكرة المبهمة المسحورة عن اليهودي ذي القرون المتعطش إلى سفك دم المسيحي وينفث السموم، وينشر الأمراض ويدعو إلى برلمان عالمي يهودي سري يجتمع بصورة دورية كي يخطط ويتآمر، وكذلك الاعتقاد بأن لليهودي رائحة خاصة به ويمارس السحر الأسود وتفسد عينه الشريرة كل شيء"(١). ويهاجم جوشوا ترانشينبرج، الحبر اليهودي، وجهة النظر هذه، واصفا يونج بأنه لم يجانبه الصواب فيما قال، منتهيا إلى أن أسطورة اليهودي الشرير تعود إلى "وجود صلة وثيقة بين الاعتقاد بأن اليهودي شيطان رجيم، وما أنتجته القرون الوسطى من شعر ومسرح، وهو اعتقاد توارثته العصور والأجيال المتعاقبة، بحيث أصبح اليهود يمثلون قوى الشر المخيفة التي تهدد سلام الإنسانية"(٢). غير أن المتتبع لهذه الصورة – التي تربط اليهودي عالميا بقوى الشر – سيجد أنها أقدم في المخيلة الشعبية من تناولها في أدب القرون الوسطى؛ إذ إنها صورة توارثتها البشرية منذ قبل الميلاد؛ ومن ثم فإن أدب القرون الوسطى لم يكن سوى انعكاس لما استقر وترسخ في العقلية الإنسانية عبر هذه القرون، أو على حد قول يونج، النموذج الأصلي.

---

(١) د. رمسيس عوض: اليهود في الأدب الإنجليزي، مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥.

ملحق حكايات الفصل الرابع

سهراية

"تاجر الملح" (*)

كان راجل صايغ(١)، وراجل مليح(٢) راجل طيب، وعـارف ربنا، وربنا مارزقوش الإ بعيِّل واحد بس فقط، وجمع ثروه فلما جمع الثروه. الراجل حس بنفسه انه تعب كده شوي، وعلَّم ابنه وصرف عليه... قال: يا ابني طبعا آنا هموت النهارده ولاَّ بكره الموت مفاجئني ... تعالي نوصِّيك وصيتين كده، وحطُّهم ف ودنك(٣) ... قلُّه: يا بويـا ... قلُّه: أولا حاجه: آنـا ساعه نموت، وافـوت لك المال ده(٤) وانت وحدك... لا حد هيقاسمك ... لا بنت ولا ولد مافيش ألا ان كان امك ... فالمال ده يغشك، وهتعمل فيه، وهتعمل ... وهتعمل ... أولا حاجه هتشرب خمر، وتاني حاجه هتزني، وتالت حاجه هتلعب قمار، بس فيه حاجه واحده أحسن من كده ... قلُّه: آه؟ قلُّه: عايزك ان اجَّوِّزت تجَوِّز بنت أحسن نـاس، واعاهدك يا شيخ إن شربت خمر ماتشربش إلا مـع شيخ قمرتيه، وان زنيت ماتزنيش ألا فـ آخر الليل(٥) وان لعبت القمار العب مع شيخ القمرتيه... قلُّه: يا بايا... وان اجوزت اجوز بنت أحسن ناس... قلُّه: ماشي ... وصايتك كـده؟

(*) المؤدي: عبد الكريم عثمان ــ ٦٠ سنة ــ حاصل على الابتدائية ويعرف القراءة والكتابة بشكل بسيط ــ فلاح ــ متزوج ولديـه ستة أولاد ــ عزبة البورة ــ قلم شاه ــ إطسـا ــ تم التسجيل معه صباح الاثنين ٢٠٠١/٩/٢٤ ــ والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) صايغ: صائغ ــ بائع مجوهرات (الصاد تنطق سيناً).

(٢) مليح: على خلق عالٍ.

(٣) حطهم ف ودنك: تعبير اصطلاحي شعبي معناه: احفظهم.

(٤) وافوت لك المال ده: أترك لك هذا المال.

(٥) قالها المؤدي بصوت ضعيف جداً، وقد تعمد المؤدي ذلك؛ إذ كان عدد من النساء يجلسن بجوار المؤدي.

قلُه: أيــوه ... قلَه: طيّب زي بعضُه يا بابا ... فجه أبوه ... بعد فتره ... شويّه كده[١] ... لحد عمره ما انتهى، ومات ... فالولد عمل جنازه لابوه ... وخلّص جنازة ابــوه، وفتح الدكان بقي ... نسي، وفتح الساغه[٢]، وجـــات له واحده كــده ع الصبح ... بيلبِّسها ... طبعـــا الصايغ بيلبِّس إيـــد الحرمه

لا مؤاخذه ... بيلبِّسها وبيعمل. فده قعد يسهري معها بكلام ... قالت: طيب آيمته؟[٣] قلّها: مثلا الساعه تلاته بالليل زي ابوه ماهو مواعده ... طيب هتاخدي آه. قلت له: مثلا مية جنيه ... خد المية جنيه، ومشي فلقي لا مؤاخذه ــ البنت دي ولاً الست دي اللي هيزني فيها ... مبهدله آخر بهدله ... قلّها: يا ست انــت اللي قابلتيني الضهر؟ قلت له: آنا اللي خدت منك السِّيغه كذا كذا ... قلّها: يا ست ...[٤] على هذا الوضع لما لقيها مبهدله ... وشرق من غرب ... فربنـــا تاب عليه من آه ... م الصنف ده ... اللي هُوَّ صنف الزنا ... راح. يلعب القمار. فضل يسأل على شيخ القمرتيه. فاه؟ فاه؟ فاه؟ لما راح لشيخ القمرتيه. راح لقيه قاعد ف بيت مزغرف[٥]... قلُه: انت شيخ القمرتيه؟ قلُه: أيوه ... قلُه: طب آنا عايزك تلاعبني. قلُه: طب آنا النهارده عندي لعبه وبكره آه ... تعالالي ماشي. طبعا شيخ القمرتيه ف عماره ... النهارده. فالولد راح له تاني يوم بيسأل ع العماره...قلُواله: لا[٦] دا العماره أصبحت مش له... دا اللعبه اللي لعبها امبارح ... خدت العماره دي ... امّال هُوَّ فاه بيته؟ قـــالوا: بيته ... القوضه دكهيَّ ــ الحوزه دي. فـــراح له: قلُه: يا عم عـــاوزك تلاعبني ... قلُه: تلاعبني على آه؟ كت ف عماره امبارح ولعبت

---

(١) يقولها المؤدي مصحوبة بعدة صفقات بيديه.

(٢) نسى وفتح الساغه: أي بدأ يمارس حياته بشكل طبيعي عقب وفاة والده، فقام بفتح محل الصَّاغة.

(٣) طيب آيمته؟: متى سنلقتي؟ وهُوَّ لم يفصح عن حقيقة الحوار الذي دار بينهما نتيجة للتحرج الاجتماعي.

(٤) هنا كلمة غير واضحة المخارج.

(٥) مزغرف: مزخرف ــ مزين.

(٦) أطال المؤدي في نطقها.

عليها يا ابني وراحت مني ... قُلّه: خد مني الميه جنيه اللي كت هلعبَّيا مثلا اهي وانا تاب عليَّ ربنا... بعزنّيا زكا[١] ... تاب م اللتتين، والتالته شرب الخمر... طبعا اتلم على اصحابه...اللي هُمَّ رفقات سوء، وجه يفتح إزازه ... يقُلّهم: اشربوا انتُ ... لحد الإزازه ماتخلص ... مش هيهُوّن عليه يفتح إزازه ... يقُلّهم: اشربوا انت ... لحد الإزازه ماتخلص. مش هيهُوّن عليه يفتح التانيه ويشرب قبليهم. يشربوا وتيجي لحدُّه وتخلص... يشربوا وتيجي لحده وتخلص. قال: يارب توب عليَّ منها. فتاب عليه م التلات تصناف[٢] ... حَبْ ... يجَوّز ... مين ف المكان ديده بنت أحسن ناس؟... بنت أحسن ناس ... قالوا: بنت مثلا كذا ... فراح له ... ماراحشي الولد ... قـال: طـب آنـا اللي هيوصَّلني للراجل ده آه؟ ...

دا آنا راجل مهما يكون ... اسمي صايغ، وماعنديش قدر الكفاءه نصل للبيه الفلان. هبعت له مين؟ هبعت له راجـل طيب بيروح عنده وبياجي وغالي عليهم ... فقُلّه: يا عمي فلان... قُلّه: إه ... قُلّه: والله آنا طالب القرب ف البنت الفلانيه بنت صاحبك فلان قُلّه: ماشي يا ابني ماعلي الرسول إلا آه ... البلاغ. فراح له ... راح للبيه بقي اللي الولد عايز بقي يناسبه ... اللي هُوَّ الواسطه ده ... قُلّه: يا فلان ... قُلّه: هيه؟ بعد ماتغدوا وشربوا الشاي واسَّيْروا ... قُلّه: والله آنا حامل رساله قُلّه: قول... قُلّه: والله ابن فلان الفلاني ابن أحمد الجوهرجي... ولد مليح وملتزم، وسيرته حلوه يعني، وعايـز يطلب منك القرب ف بنتك ... فلانة. طبعـا البيه ده بـرده كلامُه حلو ... خاف انُّ يكْسِف الراجل[٣] ده اللي بيروح له. صديقه وغالي عليه... خاف يكسفه... قُلّه: شوي كـده لما نرتاح ... دخـل يشور علي مين ... طبعا ع الوليه ... مرته ... اللي أم البنت. فقَلت له: يا أخـي هتدّي بنتك ... تبقي البيـه فلان، وهتدي بنتك لابن الجواهرجي. قلّها: طيب والرجل اللي جـأي لنا

---

(١) بعزنْها زكا: كأنها زكاة مالك.
(٢) التلات تصناف: الثلاثة أنواع.
(٣) يكسف الراجل: يسبّب حرجا له.

ده؟ دا راجــل غالي علينا. مانقدرشي نكسفه آ ... يعني بنت؟ قلت له: معنا الفكه بتاعتها[١] ... قلها: قولي. قلت له: قول مهر بنتي يكيّل فيها من طلوع السمس لمغيبها من صنف آه ... المال... آده؟!! يعني حاجه عشان يطرده بالراحه[*] فجــه الراجــل صاحب البيت اللي هوَّ أبو البنت ... بيقول: يا عمي طبعا آه ... بنتنا ابن علي الجوهرجي مش هيقدر علي مالها علي ... ع المهر بتاعها ... قلُّه: آده ... ماعلي الرسول إلا البلاغ انــت قول، وانا عليَّ اقول، وجزاك الله خير ... قلُّه: والله يا سيدي إحنا طالبين مهر ف بنتنا دي من طلوع السمس لمغيبها صنف مال... يعني لا بهايم ولا شيء...دا عايز فلوس جاهزه دهب ... فلوس ... بتاع. فالراجل بقت ماشي يصَّعَّب[٢] . طــب دا هيجيب مناه؟ طب دا هيقعُد يكيل ... دا اللي بيكيِّل ف دريخة[٣] عشر فدادين بيخلَّصهم دريخة تبن دريخه غلَّه بيخلَّصنْهم[٤] فجه الراجل بيقول لأحمد... يا ابني انت ماعجبكشي ألا بنت فلان ... دا بيقول كذا وكذا ... قال: زي بعضه ... ربنا يدبرها يا حاج وانا هدِّي لك الرد آه ... الليله الجايّه ... الولد قعد يفكَّر ... قعد يعمل كيف؟ أبوه طبعا موصّيْه ... خد بنت أحسن ناس ... فقعد يفكر، فربنا لَمُّه علي راجل كبير[٥] شويَّه كده ... قلُّه:

طب اقلِّك علي معني فكره يا ابني ... انت مش ...[٦] قلُّه: أيوه ... المال اللي عندك ده مش هيحمّل عربيه كر... مهما هتملي...انت قوم اشتري حولي. بس بعد ماياجوا... بعد ماتبعت لهم ... إنهم هياجوا ... جب لهم واحد يسقيهم شاي، وبتاع، وانت روح اشتري حولي، وبعد ماتشتري الحولي هــات الجزار يدبح وبعد

---

(١) معنا الفكّة بتاعتها: معنا حل هذه المشكلة، وكيفية الخروج منها.

(*) يقوليا المؤدي فيها استغراب واندهاش.

(٢) يصَّعَّب: يصدر بفمه مايدل على تضجّره من الموقف ورفضه له.

(٣) دريخه: عُزْمة أو كوم من الغلال والحبوب.

(٤) وهنا علق أحد الحاضرين بقوله لتوضيح معنى كلمة " دريخه ": " عُزْمة غلّه ".

(٥) ربنا لَمُّه على راجل كبير: جمعه الله برجل مسن ذي خبرة.

(٦) هنا كلمة غير واضحة المخارج.

مايديح هـــات شوية طاحين، واعجنيهم واخبز وضيع ف الوقت لحد قبل السمس بشويً كده ... يقلوالك ... نقوم نكيل؟ قلهم: حاضر ... إن شـــاء الله هنكيّل ... ماهم هيصرح بهم الجو الجوف السهرايه والبتاع. فالمهم. قلهم بكره. بعت الراجــل. قله: بكره يا عم يبعتوا اللي هيكيّلوا ... جــو طبعــا قاموا الساعــه ثمانيــه مــن بيوتهم ولاً الساعــه عشره ... عبل ماوصلوا[1] دكهو قام شرى حولي، وجاب الجزار دبح، وسلخ، وجاب نسوان تطبخ، وتخبز وتعمل، وضيَّع الوقت لحد قبل المغرب بحوالي ساعــه. ودكهم اللي هيكيلوا ماعلمهمش بالجو ... فضلوا يكيّلوا ف النهايــه ... آخــر كيله ... بيحطوهــا ف الشوال كات الشمس روَّحت[*] ... خلاص شرطهم آه ... انتهي، وطبعا شرط البهوات ولاً الملوك مابيردّش ... حمّل ومشي، راحوُاله ... لابو البنت بعد العشا ... بحالهم ... بماليتهم. روَّحواله... ماشي... ماشي... جابوا مهرها ... حسب الشروط. طبعا الولد نزح اللي كان عنده[2]، وقعد. فبعت لأبوها قله: احنا عايزين نــروَّح[3] قله: يا ابني حاضر... إن شاء الله هبني لبنتي فيلا ف الحته الفلانيه وآه ونروحهالك. فالمهم ابوهــا قــام بالواجــب وبني لها فيلا، وروح الولد عليها، وماشاء مافعل ... قعد جاره ... مش لاقي حاجه ... الدكان بتاعه خلص الشوية السّيغه والشوية البتاع ... قلت له: احنا هنقعُد نبص لبعض... بنت أصيله بنت ناس... متعلمه ... لازم مانتذلّش لابونا[4] ولا ننذل لحد تاني ... لازم ننضرلنا شغلانه ناكل منها[5]...

---

(١) **عبل مايبعتوا**: ماإن يبعثون.

(*) **الشمس روّحت**: غابت الشمس. (والمؤدي يقولها مصحوبة بصفقة واحدة عالية بيديه دليلاً على نجاح المسعى).

(٢) **نزع كل اللي عنده**: استنفد كل مايمتلك.

(٣) **عايزين نروّح**: نرغب في لمّ الشمل والزواج.

(٤) **ماتنذلش لابونا**: لا نطلب المساعدة منه.

(٥) **ننضر شغلانه ناكل منها**: نبحث عن عمل نتقوّت منه.

عيش يا أخي طـــب مانت كـــت فاتـــح ... خِـــزِي انُ يقلّها[١] ابوكى خـــد المهر بتاعي كله ... الشوية القرشين اللي كانوا عندي ... طبعا راحوا فيك ... قلّها: حاضر ... آنا اطفش كـــده هجيب قرشين ... نسَيّبْ فيهم، وزي مانقولي آه ... نعمل بهم ... نعمل بهم. فدار الولد ... ياجي لفلان يقول: طب دا كان بياخد مني سلف اقول اديني ميه جنيه سلف؟! تكبر ف مخه[٢] ... ياجي للتاني طـــب اقول لعبد الكريم ده ... طـــب اقول لسيد[٣] ... دا كان بياخد مني ودا كان بياخد مني. ففضل ماشي طاشش لطْش[٤] ف البلد. لما دخل بلد زي مصر ... زي الفيوم ... لقي يافطه معلقه مكتوب عليها: الخواجه فلان بيدي سلفه ... مية جنيه وعدة الشهر، واللي مايجيشي المية جنيه دي وعدة الشهر...يقطع من جسمه آه... رطل لحم ...يقطع من جسمه... رطل لحم ...إه!! الولد دخل ... يا خواجه فلان ... آنا عايز مية جنيه. قلُه: انت قريت اليافطه؟ قلُه: قريتها. قلُه: اختم ع العقد ده، أو ع الشرط ده. فالولد مَضَي[٥]، وخد المية جنيه ف جيبه وقلّها: يا ام فلان ... يا ست فلانـــه ... آدي المية جنيه أهـــو ... قَلت له: طيب يا سيدي. المية جنيه ديدي انت هُوَّديك بلد ... عشره إقامه هناك. عشره سفر وعشره إقامة وعشر مجي ف الشهر[٦]. هُوَّ طبعا ماقلّهاش آنا مِسّلفها وعدة شهر، ولا ولا[٧]. فالمهم آه هي راحت بعتت لواحد نجار، وجاب لها خشب... بردها معاها فلوس غير المية جنيه وبناع وجـــاب لها خشب، وعملت مركب وشرت شوية ملح، وقَلت له: روح البلد

---

(١) خزِي انُ يقلّها: استحيا من أن يبوح لها.
(٢) تكبر ف مخه: تعبير اصطلاحي شعبي للدلالة على أنه يزداد إصراراً وتمسكاً بموقفه.
(٣) (عبد الكريم، سيد، ...) أسماء لأشخاص حاضرين يمثّل بهم المؤدي.
(٤) فضل كاشش لطش ف البلد: كناية عن بؤس حاله، وتدهُوُر حالته النفسية والمعنوية.
(٥) فالولد مضى: وقّع على هذا العقد.
(٦) المعنى: سأرسلك إلى مكان تستغرق فيه هذه الرحلة شهراً؛ عشرة أيام ذهاب، ومثلها إياب، وثالثة إقامة.
(٧) وهنا قاطعه أحد الحاضرين بقوله: " قَلت له: بقى: هات لنا خشب نِعْمل مركب ".

الفلانيه دي بينًا وبينها عشر تيام سفر بالمركب، وزي ماتبيعه ... هتتباع وانت قاعد ف البلد دي ... الملح. لا هتغرم[١] ... المهم آه ... فضل ماشي

(واسّلف مية جنيه، وراح طبعا ودًاها للست بتاعته ... الست ناصحه عندها تقدير. قَلت له: احنا هنعملّك مركب، وفلوس معاها برده من والدها جابت خشب ... وعملت مركب. وقَلت له: هنحمّلْها لك ملح ... تروح البلد الفلانيه)[٢]. ف أول البلد مطعم. هتخش ف أول مطعم ... تاكل وتشرب فيه، وتحط شوية ملح عليه فزي ماالمركب هتحمّل كذا ... هتتحمّل كذا. فالمهم قلّها: حاضر... شرت الملح، وعملت المركب، وملت له المركب ملح، وقِلت له: امشي ... اتوكل ع الله ... فضل ماشي لحد مارتسي ع البلد اللي قَلت له عليها. لقي ف أولها مطعم صحيح، وجارهــا قهوه كده فبعدين دخل لقي البلد دي ... والعياذ بالله مكّمّمه كلها ... ماعندهاش مُصلّح الطعام اللي اسمه ... ملح ... بلد مشتهيه الملح. فهُوَّ عبل مادخل كده ... سقّف علي إيده كده جاله الطباخ ... جــاب له الطبيخ، لقيه عادم ملح. طلّع مــن جيبه شوية ملح كده، ورشُهم علي آه ... بتاع الأكــل ... بتاع المطبخ. فجه مطراحه ياكل واحــد بيه ... لقي صنف مش موجود عنده. قال: آده؟! نده ع الطباخ ... ياد يا طباخ ... قلُّه: نعم. قلُّه: مين اللي جاب ملح؟ قلُّه: الراجل ده. نادمْ عليه[٣] ... قلُّه: يا راجل إنت معك كتير م الصنف ده؟ قلُّه: معي مركب محمّله ملح. قلُّه: طب عال[٤] ... خليك لما ناكل ... طبعا كَل البيه، وطّلّع مُنَادي، وقال: يا وْلاد يا أهل البلد مثلا ... بلد شبعانه ... بس الملح مش موجود عندها ... اللي ياخد شوال ملح يملاه شوال مال. فالمهم المركبــه زي ماكانت محمّلــه ملح

---

(١) هنا قطعه أحد الحاضرين بقوله: " هتجيب شوية ملح ... وهتقعُد ... تقعُد تحطهم قدامك ..."

(٢) الجزء المكتوب بين القوسين الكبيرين تكرار للجزء السابق عليه، والسبب في ذلك هُوَّ انتهاء الشريط وبداية شريط جديد مما جعل المؤدي يكرر ماسبق أن رواه.

(٣) نادم عليه: نادى عليه.

(٤) طب عال: هذا شيء جميل.

... اتحمّلت مـــال. اللي ياخد شوال ... يروح يفضيه م الملح، ويروح يملاه مـــال ... يعاود ... يـــرصّه مطراحـــه(١) ... فيزِيْد السميع العليم ... رِحِيْته(٢) بقي ولد متعلم ... ووحداني ... وعقله مايص(٣)، ووحداني بقي ماقرصش عليه الوقت(٤) بقي شويْ ... ومدْلع(٥) ... راح ع القهوه يشرب شاي سِمِع الجماعه العربجيه ... الوسِخيْن(٦) ... اللي يقول آنا اجَّوِّزت امبارح بعشره جنيه، واللي اجَّوِّزت بمية جنيه، واللي اجَّوِّزت بتلتمية جنيه ... آده؟ قلّهم:

يخرب بيوتكم ... كلكم زعلانين ... ع اللي اجَّوِّز بعشره واللي اجَّوِّز بعشريـــن واللي اجوز بمية، أُمال آنا مرَتِي(٧) اللي كيِّل فيها كيَّال من صنف دهب...من طلوع السمس لمغربها. يا عم آ ... دى يعني؟ قلّهم: أصيله وبنت ناس، وكاملة من كل حاجه ... فز واحد حشّاش ابن كلب بقي...قلّه: يعني ماعرفش العب عليها؟ قلّه: والله ان لعبت عليها، ولاً جبت لي منها أماره(٨) ... هدّي لك المركب دي... طب ماشي... المهم ... قلّه: يعني هيَّ ف المكان الفلاني ... قلّه: بيتها ... وعطاه عنوان البيت بالظبط ... راح الحشّاش ديده يجيب منها الأماره ... لقي السرايا مقفّله، ولا حياةْ لمن تنادي، وحرس ... قعد ... هيخش مناد؟ لقي واحده عجوزه معدّيه عليه ... قلت له: مالك؟ قلّها: والله الأمر مايحصل كذا كذا ... وان عطتيني... إن نفدت من هنا ... لكِ حلاوه كذا ... قلت له: بسيطه ...إجري يا عم آه ... هـــات لي خشبتين أعملهم صندوق، وانا ادخّلك جوّه آه ...

(١) يرصّه مطراحه: يرتبه في نفس مكانه.
(٢) رحيته: لأنه.
(٣) عقله مايص: لا يحسن تدبر الأمور، أو التصرف فيها.
(٤) ماقرصش عليه الوقت: لم يعلمه الزمان قيمة الأشياء.
(٥) مدْلع: مرفّه.
(٦) الوسخين: جمع " وسخ " وهي سب للشخص.
(٧) مرتي: زوجتي.
(٨) جبت لي منها أماره: أحضرت لي علامة أو دليلاً على أنها خائنة.

السرايا. فراح جاب الخشب، وجابت نجار، وعملُه صندوق، وحطته علي عربيه كار، وحطت له أكل معاه، وشوية امَيّه، وطبعا راحت للبيه ... يا بيه ... قلّها: نعم يا حاجه ... البيه أصله راجل طيب. قلت له: والله الأمانه دي... عايزة اشيلها عندك ... لأبـــو البنت ... قلّها: دا مكان مزحوم ... وحـــرس وخدم، ومافيش حـــد ... هيحرس أمانتك دي ... أقلّك: وديهـــا عند مين ... عند البنت ... مكان البنت رايـــق، وماحدش بيروح له ... ودّيـــه عند فلانه ... قلت له: حاضر، وهيَّ اللي عايزاها. فالمهم حطته علي العربيه الكار... لحد ماراحت بعكّازها ع الشقه، ودب ... دب ع العماره بتـــاع البنت ... قلت لها: مالك يا حاجّه؟ ... قلت لها: أروح لأبوك يقلّي وديها للبنت، وانا وليه تعبانه... وقلّي: ودي للبنت الأمانه ديدي... خلّيها عندك. فقلت لها: زي بعضه ... فتحت الباب ... قلت لها: دخّليها يا ست، واقفلي الباب ... مافيش حـــد بياجيني، ولا حـــد بيروح لي ... قلت لها: لأ. والله مارتاح ... ولا اسيب حاجتي إلا ف القوضه اللي جارك ... ماشي... ماشي... فضلت تعكز هي والعربجي لحد ماطلّعتيا فاه ... فـــوق ... الصندوق ... دكهو قاعد(١) ...

محبوس ف الصندوق ... فراعي بعينه كـــده ... لقي البنت ناصحه، ومعاها مسدسات وبتاع ... وقاعده تقرا ... قال: طب دا انت هتنشّفي ريقي(٢) ... طب اعمل كيف؟

فلقي ع التسريحه(٣) بتاعتيا فردة آه... حلق...طبعا مكتوب عليها اسميا... أو سلسله ومكتوب عليها اسميا... مد إيده ... خد آه السلسله ... بتاعتيا... اللي فيها المشقلّه(٤) دي اللي بيقولوا عليها ... ومكتوب عليـــا اسمهـــا ... حطّهـــا ف

---

(١) دكهو قاعد: أي أن هذا الشخص مازال بداخل الصندوق.
(٢) هتنشفي ريقي: تعبير اصطلاحي شعبي للدلالة على أنيا لن تحقق له مراده بسهولة.
(٣) ع التسريحه: منضدة تصفيف الشعر.
(٤) المشقلّه: من حلي وزينة النساء تصنع من الذهب، وهي تشبه " الكردان ".

جيبــــه، وقـــال: آهي علامه وبس... ماشي... ماشـي... جات العجوزه بعد تلت تيام آه ... خدت الأمانه بتاعتها... طبعا هُوَّ آه ... خد من ع التسريحه ... لا شاف البنت، ولا البنت شافته ... خد السلسله دي اللي مكتوب عليها اسم البنت، وفردة حلق ... اللي قدّره ربنا عليه ... اللي كان موجود جارها ... ومشي... والعجوزه فتحت له، وخد بعضه وراح له قلُّه: يا عم ... مش أمارة سيغة مرتك دي؟ قلُّه: أيوه ... ماقدِرْش آه ... طبعا خد الآه ... المركب. الناس هايصه بقي... بردها المركبه راقده محمّله، وراقده ... ف البحر... دخــل ع الراجـــل ... قلُّه: شغّلني عندك ف القهوه ... اشتغل صبي ف القهوه ... دكهي استعوقت[١] ... الست بتاعته اختلفت المواعيد ... عاطيا له وعدة عشرين يوم، ولاً شهر... ماجاش. ركبت وراحت[٢] ... عرفت المركبه بتاعتها انها واقفه محمّله... دخلت المطعم ... قلت له: هات لها أكل ... جاب لها أكل ... قلت له: أمّال صاحب المركب ده فاه؟[٣] ماهي لابسه راجل بقي ... ولابسة افندي ... مظبوط ... قلّها: دا صاحب المركب ... الأمر مايحصل كـــذا كـــذا، وبعد ماتحملت المركبه مـــال. قعد يلعب مع واحد مش عارف آه... بتاع القهوه اللي جارنا... قلُّه: طيب بس هات... لما ناكـــل الأول ... يفرجْها ربنـــا[٤] ... كلِت وشربت، وراحــت لبتاع القهوه ... هـــات شاي ... سقفت علي ايدهـــا[٥] جالها المعلم بقي ... اللي هُوَّ بقي راجلها ...

---

(١) دكهي استعوقته: زوجته بدأت تشعر بتأخره عن موعده المحدد. والمؤدي يقولها مصحوبة بصفقة بيديه، وقد علق أحد الحاضرين بقوله: " اختلفت المواعيد ".

(٢) يقولها المؤدي مصحوبة بصوت يقلد فيه صوت السيارة.

(٣) ذكره أحد الحاضرين بقوله: " لبْست راجل ".

(٤) يفرجها ربنا: يفكها الله عليها، وييسر الأمور علينا.

(٥) يقولها المؤدي متقمصاً شخصية هذه المرأة. أو شخصية الذي يجلس على المقهى ويطلب شيئاً. فالمؤدي يقول ذلك مصحوباً بعدة صفقات بيديها.

الخُنْت ده[١] . جاب لها كباية الشاي علي إيدها وجاي ... اتفضل يا بيه ... فين يا واد المعلم بتاعك؟ قلُّه: حالاً ياجي ... ضرب الجرس بتاع التلفون[٢] ... جاله المعلم ... يا معلم ... قلَّها: أيوه ... تلعب ... قلت له: طب لاعبني... طبعا هُوَّ مايعرفهاش ... راجل ولاَّ بنت ... لاعبته ... قلَّها: طب ألاعبك علي آه ... انت معك آه؟ قلت له: معِي تاكسي اهودي أحسن منـــ مركبك ده ... لاعبته ... قلَّها: الاعبك ع التاكسي، وانت تلاعبيني ع المركب ... فلاعبته ... خدت منه المركب[٣] ... فالمهم قلت له: لاعبني ... تلاعبني يا ع العماره بتاعك ... يا ع العماره بتاعتي[٤] ... لاعبته خدت منه العماره[٥] بتاعته قلت له: يا تلاعبني علي نفسي ... يـــا علي الصبي ده ... اللي هُوَّ مين... راجلها ... لاعبته. خدت منه مين... الصبي... قلت له: لاعبني ... قلَّها: الاعبك علي آه؟ ياتاخدني ياالخدك ... فلاعبته خدته ... قلت له: قوم بقي ... قفلت طبعـــا الآه ... القهوه والمركب صحِّت لها[٦] ... والصبي اللي هُوَّ راجلها ... صحّ لها[٧] ... وهُوَّ المعلم صاحب القهوه صحّ لها. قلت لهم: يلَّوا ... طب والقهوه واللعماره دي؟ قلت لهم: مالكمشى دعوه بها... يلُوا... اركبوا...طبعا ربطوا المراكب ف بعضها، ومشوا لحد صاحبنا اللي عمل فيها الفصل[٨] مالقيهم ارتسوا ع العماره بتاعتها...عض ف اصباعه... وقال: ماخلاص جالك الموت يا آه... يا قليل الصبر... جالك الموت يا قليل الصبر

(١) الخُنْت بقى: يقولها بلهجة ساخرة للتهكم منه. و " الخنت " من " المخنَّث ".
(٢) علق أحد الحاضرين بقوله: " كان فيه تلفونات؟ " فرد عليه المؤدي: " أيوه ... موجوده ".
(٣) علق أحد الحاضرين: " لأ. لاعبته ع الصبي الأول ... " فرد عليه المؤدي بصوت حاد: " يا عم اصبر ".
(٤) المعنى: إما أن تكسب عمارتي أو أكسب عمارتك.
(٥) علق أحد الحاضرين أثناء الحكى: " دا هيَّ حمّلت مركب ملح برده ... وبقوا مركبين "، ولكن المؤدي لم يعبأ لتعليقه فواصل روايته.
(٦) المركب صحَّت لها: أصبحت من نصيبها.
(٧) صحّ لها: كسبته ــ أصبح من نصيبها.
(٨) الفصل: الخديعة. (والمؤدي يقولها مصحوبة بعدة صفقات).

... قلت له: تعالي ... تعالي يا صبي ... اغسل نفسك، ودكهو المعلم عرف انْ دخل بيته ... دخل بيته، دخلْته الحمّام ... استَّح، واشْطُف ... ودكهو قاعد كاشش بقي[١] ... قال: دا هتاجيني السكاكين ... قلت له: روح اشْطُف انـت راخر[٢] ... راح اشطف ... قلت له: احكي لي بالظبط قدام الراجل ده ... انت عملت آه؟ ودخلت كيف؟ وودت له الساعه كيف؟ وعملت كيف؟...حكا له بقي بالظبط ... لراجلها م المشمش ومن زرعه[٣] ... قلت له: انت اللي جابتك العجوزه ف الصندوق بتاع العجوزه؟ قلّها: أيوه ... قلت له: طب زي بعضه ... مايجراش حاجه ... خد مفاتيحك برده، واحنـا ولاد أُصله[٤]، وخد مفاتيحك، وخد نفسك، وروح برده ... لشغلك ... خـدْ مفاتيحه بتـاع قهْوِتّه، وسرايته، ومشي ... لشغله. واشـوي والإعلان جـه بتـاع ابـن الجواهرجي الآه[٥] ... بتـاع الخواجـه ... ماسددشي فلوسه[٦] ... قلت له: يا عم انـت كت جايب الفلوس دي منين؟ مش كت قلت لي كت جبتها من ابويـا، ولاً اصرّفت فيها ... قلّها: والله خزيت اقلّك اني ... آنـا مسلّفها كـذا ولاً كـذا ... طيب ... ماشي. رُوْح احضر الجلسه ... رُوْح ... احضر الجلسه بتاعتك ... وخد يا عم الف جنيه معك ... يمكن ... الخواجه يسمح ... الميه بتاعته ياخدها ألف، ومايقْطَعْش من جسمك رطل لحم ... ماكنشي فيه لا كيلو، ولا نص ... كان بالرطل. فالمهم راح للقاضي ... وهيّ لبست افندي ومشت وراه ... أحمد علي الجوهري ... قال: ايوه يابيه ... القاضي بيقول... أحمد علي الجوهري ... قال: أيـوه قلّه: يا ابني انت ماخدتش

---

(١) دكيو قاعد كاشش: كناية عن شدة خوفه.
(٢) راخر: الآخر. (اذهب أنت أيضاً ...).
(٣) م المشمش ومن زرعه: تعبير اصطلاحي شعبي للدلالة على أنه سرد الموضوع من أوله إلى آخره
(٤) ولاد أُصله: أبناء حسب ونسب.
(٥) المؤدي يقوليا مصحوبة بعدة صفقات خفيفة.
(٦) ماسددشي فلوسه: لم يسدد دينه.

مية جنيه وعـــدة شهر م الراجل ده[١] ... ماسددتش لاه؟ قلُّه: والله يا بيه ... "اللميه بتكدب الغطّاس" وانــا خدت مية جنيه اسبَّتَّها[٢] ... فرُحت مشوار بعيد، وجُيْزت فـ إيدي ... فياخد بدل الميه ميتين ... زي ماتقول يا حضرة القاضي. قلُّه: انت قلت آه يا خواجه؟ ماتاخدها ميتين؟ قلُّه: لأ. طب خد تلتمية؟ قلُّه: لأ. طب خد خمسميه؟ قلُّه: لأ. قلُّه: طيب خلينا ... طب استراحه يا محكمه ... كانت هيَّ وصلت ... طبعا القاضي عارفها ... قوم واخدة كارنيــه إنها قاضيه رخري[٣] ... فدخلت ... انــت قدامــك قضية مين؟ قلُّها: والله القضيه بتـــاع واحـــد خواجـــه ... وقضية واحـــد آه ... مغلباني[٤] اشوي ... واحد جواهرجي... قلت له: طب سيبني عنك... أحكم فيها آنا ... فدخلت المحمكه ... محكمه[٥] ...لابسه لبس افندي... محمكه... قامت المحمكه... أحمد علي الجوهري... أحمد ... قلّها: أيوه يا بيه ... قلُّه: طـــب انت لما خدت مية جنيه سلف، ومدّك ... وعطها لك سلف الله ... بعد شهر علي وعـــدة الشهر ... مابعتّلوش[٦] الفلوس لاه؟ والله ... اللي حكاهم للقاضي دكهو ... حكاهم للقاضي دي ... ظروفي كـــذا وكذا ... ولما جُهُزوا فـ إيدي... قلت له: طب ماتدّي له خمسية جنيه؟... قال: ماشي يا بيه. الخواجه قال: لاء[٧] ... طب خد ألف ... الخواجه برده استبرش فيها[٨] انُ آه ... مایاخدش الألف ... طب خد خمسه ... قال: لأ. إن فات رطل لحم[٩] ... إن

---

(١) المعنى: طالما أنك أخذت مائة جنيه من هذا الرجل؛ لماذا لم تسددها له؟.

(٢) اسبِّتها: لعلها تكون سبباً في رزقي.

(٣) رخرى: هي الأخرى.

(٤) مغلباني: سقتني كل صنوف العذاب.

(٥) يتقمص فيها المؤدي شخصية هذه المرأة؛ فيقولها بلهجة الحاجب، وقد جاءت لهجته قاهرية.

(٦) مابعتلوش: لماذا لم ترسل إليه أمواله؟

(٧) يقولها المؤدي بحدة وعنف.

(٨) استبرش فيها: استمر في إصراره ورفضه.

(٩) إن فات رطل لحم: لن أتنازل عن حقي إلا بأخذي رطل لحم من جسمه.

فات... رطل لحم ... أهَه[١] ... يا عم انت تعمل به آه؟ رطل اللحم؟ قال: آنا عايز رطل اللحم وبس... أشويه واكله... قلت له: طب زي بعضه. طب يا خواجه حكمت الحمكه انك انت تاخد رطل اللحم لا يزيد جرام، ولا ينقص جرام ... إن نقص جرام يتقطع مـن جسمك انـت رطل لحم، وان زاد جرام يتقطع مـن جسمك. رطل لحم ... تفكير م الناس الأصلا بقي اللي عندها آه ... مخ ... هُوَّ عمره هيقطع رطل لحم حته واحده لا يزيد جرام، ولا ينقص جرام!![٢] ... حتّه واحده لا يزيد جرام ولا ينقص جرام !!... الخواجه عند كده آه ... كش. قال: لا. لا لا. قالت: طب تحكم المحكمه بخمس تلاف غرامه... لأنك انت بهدلت راجل، ووقّفت المحكمه علي حسابك اليوم ... قال: ماشي. فغرم الخواجه خمس تلاف كمان ... وابن الجواهرجي طلع براءه ... ف جُرّة الآه[٣] ... التعليم والأصـل ... بتـاع الناس م الوصية بتـاع الوالدين ... وهذي شرحها.

---

(١) أهَه: كلمة للدلالة على شدة الاستغراب والاندهاش.

(٢) علق أحد الحاضرين بقوله: " حتّه واحده ".

(٣) ف جُرّه الآه: بسبب هذا.

سهراية

"تاجر الملح"(*)

كان فيه ياما كان... ياساده ياكرام، ومايحلي الكلام[1] ... فيه راجل كان غني، وماغني ألا الله، وربنا رازقه، وجـــه الراجل خلَّف ولـــد والولد ده واحد بس[2] ... لمَّا خلَّف الولد ده ... عنده مال، وخايف علي ماله، وخايف علي ابنه، وابنه ولد حلو. فجه قلُّه: يا ابني آنا خلاص كبرت، وقرَّبت هموت، وانا مش عايزك تقع ف بنت ... مش عايزك تقع ف بنت الناس الهفايا[3] ...علشان... عايزك تقع في ناس عندهم أصل، وياخدوا المال اللي هم عايزينُه ... علشان يا ابني الأصل هُوَّ اللي بيعيِّش الإنسان ... ف راح له ...[4] قلُّه وصِّيْني ... قلُّه: انت تقع ف أغني الناس بحيث انها تكون عينها مغنيه[5] من كـــل حاجه ... فقَلُّه: ماشي ... فجه الراجل قابل وجـــه كريم واتوفِّي، والولد بقت راجـــل، وبقت شاب حلو...

(*) المؤدي: سيد عبد العال حميدة ــ ٤٢ سنة ــ حاصل على الابتدائية، ويعرف القراءة والكتابة بشكل بسيط ــ فلاح ــ متزوج ولديه أولاد ــ عزبة رفيَّع ــ قلم شاه ــ مركز إطسا ــ تم التسجيل معه صباح السبت ٢٠٠١/٩/٢٢، والعنوان من اقتراح الباحث.

(١) هنا همهم أحد الحاضرين بقوله: " أيوه بعزنكْ اسمه آه ... عبد الرحمن الأبنودي " فرد عليه المؤدي قائلاً: " ... الأبنودي " فراح الحاضرون في ضحك عميق.

(٢) علق أحد الحاضرين: " قصة الجَّاهرجي دي؟ " فرد عليه المؤدي: إه ...".... سايغ ". فقال المؤدي: ياعم دي غيرها... دي بتاع المركب ... وعدى بالملح ... فرد عليه هذا الشخص: "ماهو ... هُوَّ ... أصله كان سايغ ". فقال المؤدي: " قصدك كان سايغ وشغال في الجواهر يعني؟ ... ".

(٣) بنت الناس الهفايا: عديمة الأصل والحسب.

(٤) علق أحد الحاضرين بقوله: " قله وصيني ".

(٥) عينها مغنيَّة: قنوعة لا تشتهي كل ما تراه عينها لحرمانها.

ففضل يلف ... يلف علي ناس عندهم أصل وعندهم مبدأ لحد ماوقع ف راجـل[١]، وقلُه: آنا طالب القرب منك ... ف بنتك ... قلُه: يامرحبه ... بس بنتي غاليه. قلُه: وانا قادر الغالي ... مهرك كام يا عم؟ قلُه: آنا عايز مهر بنتي يكيِّل فيها المال بالكيله من السمس للسمس[٢] ... قلُه: ماشي[٣]... كلام انْ هُوَّ بالمعني الأصح ... بيطرده ... ويقلُه: مثلا إنّ المهر كتير. طب وفيه واحده يكيل فيها المال من السمس للسمس؟ فقلُه: ماشي فالراجل راح لواحده عجوزه،

وقلّها: ياستّى ولا ياحنّي[٤]. بالمعني الكلام العرب آنـا رحت لابن فلان ... أو لفلان أبو فلان ... من عيلة فلان ... فقلّي: آنا عايز مهر بنتي يكيِّل فيها المال من السمس للسمس ... قلت له: بسيطه آنا هحلّها لك... قلّها: قولي لي... انصحيني ... قلت له: انـت هتقوم علي حيلك[٥] هتروح تجيب دبيحه وهتجيب طبّاخ، وهتجيب طبيخ، وناس تخبز، وناس تعجن العجين قبل مايخبزوه، وطبعا هُمَّ هياجوا يكيلوا ف المال[٦] ده لما نتغدّي ... لما ناكل ... لما ناكل يا عم عايزين نكيِّل ... لما ناكل ... طبعا وانت هتجيب الطباخ قبلهم،واللي بيخبز قبلهم، وهمَّ ...شدوا حيلكم يا جماعه علشان الجماعه مكروبين[٧] هـم هيفضلوا يخبزوا ويطبخوا لحد بعد الضهر بساعه ولا بساعتين ... يبقوا هيضيعوا عليات اليوم[٨] ... هياكلوا ويشربوا مشروبات لحد بعد العصر. هيقوموا يكيّلوا. هيكيلوالْهم آه ... فقلُه: ان كانت نقلة عربيه كر[٩]، ولا نقلة عربيه شحنه ع العصر اللي كان فيه... ان كانت عربيات ولاً

---

(١) **لحد ماوقع ف راجل:** حتى صادف رجلاً ذا أصل كريم.

(٢) **من السمس للسمس:** يقصد النهار كله. (فالشين تنطق سيناً).

(٣) علق أحدهم قائلاً: "دا الكلام ده عشان آه ... ماينابسبش الولد".

(٤) **ياحنى:** يا جدتي (دون أن يعني هذا أنها جدته بالفعل).

(٥) **هتقوم على حيلك** ...: تقف في التو لإحضار هذا الشيء المذبوح.

(٦) علق أحد الحاضرين: " قلهم لما ناكل ".

(٧) **مكروبين:** أشد استعجالاً.

(٨) **هيضيّعوا عليات اليوم:** سيضيع معظم النهار.

(٩) **نقلة عربيه كر:** حمولة "عربة كارو ".

جمال ماعبل[١] ماهيودوا النقله الأولانيه هيكون المغرب جه ... يبقي هُمَّ ودوا نقله. قَلَّيا: وهمَّ اللي عندي ف حدود النقله ... خلاص. خلاص. اتفقَ طبعا خلص ع اليوم الفلاني اتفق. طبعا انَّ احنا هنعمل آه ... المهر وهيكيِّل فيه المال بتوعـــه ... اللي فايتهم ابـــوه ... محدودين ... فربنا يسهل طبعا آه ... وكلِّهم وقضَّالْهم الواجب اللي هُوَّ آه ... قَلت له عليه العجوزه وجه يكيِّلوا بعد العصر... فعبل ماكيلوا، ووصلت الجمال أو الحاجه اللي بتنقل دي ... كـــان المغرب جه ... قلُّهم ... كده خلاص احنا كنا متفقين من السمس للسمس، وكده اللتفاق بتاعنا يعتبر آه ... انتهي ... ماشي ... مبروك ... طبعا جه حب يعمل الفرح بتاعه ... ماعندوش حاجه ... شويـــة المال اللي كـــان فايتهم ابـــوه ... خدوهم مهر وعايز يعمل الفرح ... ففضل داير لحد مالقي واحد كاتب يافطه[٢] بيقول[٣]...

فطبعا آه[٤] ... فطبعا قلُّه آه ... صدقـــا لكلام الحاج عبد الكريم[٥] برده ... قلُّه: عايزين نآه ... نعمل الفرح ... قلُّه: لأ. مش هنعمل الفرح دلوقتي الإ لما نبني قصر لبنتي ... زمـــان ماكنشي فيه شقق ... دا كـــان فيه قصور ... المْهم قلُّه: ماشي ... ماشي فضل لحد مابني القصر وزغرفه[٦]، وكمِّله من جميع اللوازم بتاعته، وقلُّه: هيه ... جيزت تعمل الفرح؟ قلُّه: حاضر فطبعا الولد اللي هُوَّ خاطب البنت دي ... مامعوش يعمل الفرح ... عطاله وعـــده[٧] ... فدار ف الدنيا لحد مالقي واحد معلَّق يافطه بيقول: الميه جنيه لحد الوقت اللي هُوَّ محدده ... ان جات

---

(١) **ماعبل ماهيودُ وا ...**: ما إن يذهبوا بالحمولة الأولى ... ...

(٢) **يافطه:** لوحه مكتوب عليها.

(٣) هنا نسى المؤدي جزءا من الحكاية فذكَّره أحد الحاضرين بقوله: " بيقول لنسيبه: عاوزين نروَّح ... قله: لما ابني لبنتي شقه ... فبني لبنته شقه ف وسط البحر ... ".

(٤) وهنا طلب المؤدي من هذا الشخص ألا يقاطعه قائلا: " عشان ماتقطعشي عليَّ ... دي سماري هناخد عليها جوايز ".

(٥) **الحاج عبد الكريم:** اسم أحد الحاضرين الذي سبق أن قاطعه.

(٦) **زغرفه:** زخرفة وزينة.

(٧) **عطاله وعده:** حدد له موعدا.

يبقي خلاص ... ماجاتشي ... تبقي برطل لحم من جسم مين... من جسم صاحب الدَّين... فهيعمل آه ... محبور[١] ... طبعا كده شوية المال اللي عنده راحوا، وما ف إيدوش حاجه[٢] ... فقام علي حيله ... لحد آه ... قـــال ... يا عم اديني مية دينار، وراح عمل فرحه، وروَّح العروسه، وقعد شويً فجه الوعد بتاع آه ... الفلوس. لما جه الوعد بتاع الفلوس فطبعـــا آه قعد زعلان ... قلت له: زعلان لاه؟ قلّها: والله مانتش عـــارفـــه آنـــا زعلان لاه؟ للست بتاعته بقي ... اللي هي زوجته ... اللي هوَّ آه ... اجوَّزها. قلّها: دانا كت جايب مية جنيه من راجل ف الحته الفلانيه، وبيقول ان ماجتش الميه جنيه علي وعدها تبقي برطل لحم من جسمك. وانـــا قُلت أمري لله ... جبتها عشان خاطر اعملْ بها الفرح، واقضّي بها مصالح نفسي ... قلت له: طيِّب مايجراش حاجه ... فجات آه ... عملُه الجلسه قلت له: شوف بقي ــ قلّها إه ...[٣] ....

---

(١) محبور: وقع في أزمة وليس أمامه سوى هذا الحل. والأزمة هنا مادية.

(٢) ما ف إيدوش حاجه: لا يمتلك شيئاً.

(٣) هنا نسى المؤدي بقية "المثل" فطلب من أحد الحاضرين. وهوَّ الحاج عبد الكريم عثمان ــ أن يذكره. غير أن الباحث فضّل أن يسرد هذا المؤدي " المثل " مرة أخرى من بدايتها؛ خاصة أن الباحث اكتشف أن " الحاج عبد الكريم " هوَّ المصدر الذي حفظ عنه المؤدي " سيد عبد العال حميدة ".

المؤلف فى سطور

- الاسم: خالد عبد الحليم أبو الليل

- حصل على الليسانس الممتازة في الآداب من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة عام (١٩٩٩)، كما حصل من الجامعة نفسها على درجتى الماجستير عن رسالة عنوانها: "الحكاية الشعبية: دراسة ميدانية فى محافظة الفيوم/ سبتمبر ٢٠٠٣"، بتقدير ممتاز، والدكتوراه عن رسالة عنوانها: "السيرة الهلالية فى محافظة قنا: دراسة للراوى والرواية/ يناير ٢٠٠٨" بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى.

- حصل على منحة دراسية للدكتوراه من المملكة النرويجية للعام الدراسى ٢٠٠٧/٢٠٠٦ فى جامعة برجن؛ لجمع المادة العلمية الخاصة بدرجة الدكتوراه.

- له عدد من الكتب والأبحاث والمقالات المنشورة، منها: كتاب بعنوان "المرأة والحدوتة: دراسة في الإبداع الحكائي الشعبي للمرأة المصرية"، دار العين للنشر، ٢٠٠٨م.

- ثقافة العمل السائدة لدى الشباب المصرى والتغير الاجتماعى: دراسة سوسيوفولكلورية" ، المجلة العربية لعلم الاجتماع / ٢٠١٠

- "حكى الفقراء": صور من خطاب الحياة اليومية للفقراء فى المجتمع المصرى/ ٢٠٠٩".

- الأدب الشفاهى والتاريخ"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٧، ٢٠٠٧

- " نبيلة إبراهيم ودراسة الأدب الشعبى"، مجلة فصول ، يناير ٢٠٠٨.

- هذا إلى جانب ما قام بنشره من أبحاث علمية ومقالات بمجلة الحداثة اللبنانية والفنون الشعبية القاهرية، والثـقافة الجديدة، وأحوال مصرية.

- ألقى عددًا من المحاضرات عن الأدب الشعبى العربى باللغة الإنجليزية فى كل من:

مركز الشرق الأوسط للدراسات الإسلامية بمدينة برجن بالنرويج ، وكان عنوانها : "الفولكلور المصرى والنوع"، مايو ٢٠٠٧.

قسم الدراسات الثقافية وتاريخ الفن بجامعة برجن ، عن:

السرديات الشعبية المصرية: السيرة الهلالية نموذجًا ، نوفمبر ٢٠٠٦.

الحكاية الخرافية: دراسة مقارنة بين مصر والنرويج، مارس ٢٠٠٧.

– شارك فى عدد من المؤتمرات الدولية فى عدد من الدول ، منها:

دبروفنيك، بكرواتيا/٢٠٠٧، المعهد الهولندى الفلمنكى بالقاهرة، ٢٠٠٨، المركز الثقافى الفرنسى بالقاهرة/٢٠٠٤، والمجلس الأعلى للثقافة أعوام ٢٠٠١ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠، ومؤتمر طيبة ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩ ، وكذا بعدد من المؤتمرات التى تعقدها جامعات مصرية كجامعة القاهرة وبنى سويف والمنيا، وجامعات عربية بالمغرب/٢٠١٠ ، والأردن ، ٢٠١١ ، والجزائر/٢٠٠٩ . كما مثّل مصر فى المهرجان الثقافى الإفريقى بالجزائر عام ٢٠٠٩. هذا إلى جانب المشاركة فى الندوات وإلقاء المحاضرات العامة بأطلس الفولكلور ، ومحكى القلعة ومعرض الكتاب فى أكثر من دورة ومؤسسة المرأة والذاكرة، وجمعية بشاير بحلوان، ومحافظة سوهاج.

حصل على عدد من الجوائز الجامعية أعوام ١٩٩٧، ١٩٩٨، ٢٠٠٠، ٢٠٠٤، ٢٠٠٩. له أنشطة جامعية بالإشراف على الملتقيات الطلابية التى تعقدها جامعات مصرية أو عربية، والجماعة الأدبية بآداب القاهرة. ويعمل مستشارًا ثقافيًا لكلية الآداب، جامعة القاهرة.